

الداء والدواء ، تأليف محمد بن ابي بكر ، ابن قيم الجوزيه
-٧٥١هـ. بخط أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن جمال
الفارسي سنة ١٢٤٣هـ.

١٠٣ ق ٢٥ س ٢١,٥×١٦سم

نسخة جيدة ، خطها نسخ معتاد .

الأعلام ٦ : ٢٨٠ ، شذرات الذهب ٦ : ١٦٨

١- الشعائر والتقاليد والاخلاق الاسلامية

أ- ابن قيم الجوزية ، محمد بن ابي بكر -٧٥١هـ

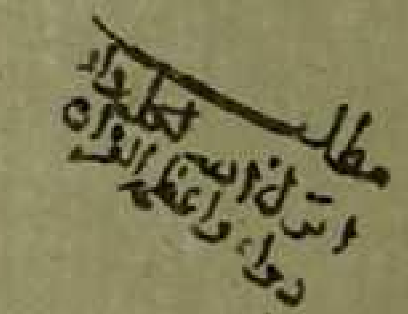
ب- الناسخ ج- تاريخ النسخ .

كتاب الداء والدواء لابن القيم
الجوزي وصلى الله
على سيدنا محمد
وآله وصحبه
وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل شيخ الاسلام شمس الدين ابن القيم الجوزية رحمه الله ما يقول السادة العلماء ائمة الدين رضي الله عنهم اجمعين في رجل ابتلي ببلية وعلم انها ان استمرت به افسدت عليه دنياه واخرته وقد اجتهد في دفعها عن نفسه بكل طريق فما تزداد الا توقدا وشدة فما الحيلة في دفعها وما الطريق الى كشفها رحم الله من اعان مبتلى والله في عون العبد ما كان العبد في عون اخيه افتونا ماجورين رحمكم الله ورضي عنكم وختم لكم بخير فاجاب رحمه الله تعالى الحمد لله ثبت في صحيح البخاري من حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما انزل الله داء الا وانزل له شفا وفي صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل داء دواء فاذا اصاب الدواء الداء برا باذن الله تعالى وفي مسند الامام احمد من حديث اسامة بن شريك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله لم ينزل داء الا وانزل له شفا علمه من علمه وجهله من جهله وفي لفظ ان الله لم يضع داء الا وضع له شفا او دوا الا داء واحدا قالوا يا رسول الله ما هو قال الهرم قال الترمذي هذا حديث صحيح وهذا يعم دواء القلب والروح والبدن وادويتها وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم الجهل داء وجعل دواه سوال العلما فروى ابو داود في سننه من حديث جابر بن عبد الله قال خرجنا في سفر فاصاب رجلا منا حجر فشجه في راسه ثم احتلم فسال اصحابه فقال هل تجدون لي رخصة في التيمم قالوا ما نجد لك رخصة وانت تقدر على الماء فاغتسل فمات فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر بذلك فقال قتلوه قتلهم الله الا سالوا اذ لم يعلموا فانما شفا العي السوال انما كان يكفيه ان يتيمم ويعصر او يعصب على جرحه خرقة ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده فاخبر ان الجهل داء وان شفاءه السوال وقد اخبر سبحانه عن القران فقال تعالى ولو جعلناه قرانا اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته اعجمي وعربي قل هو للذين امنوا هدى وشفاء وقال وننزل من القران ما هو شفا ورحمة للمومنين ومن ههنا لبيان الجنس لا للتبعيض فان القران كله شفا كما قال في الاية الاخرى فهو شفاء للقلوب من داء الجهل والشك والريب فلم

لعله دواء



ينزل الله سبحانه من السماء شفاء قط اعم ولا انفع ولا اعظم ولا انجع في ازالة الداء من القران وقد ثبت في الصحيحين من حديث ابي سعيد قال انطلق نفر من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في سفرة سافروها حتى نزلوا على حي من احياء العرب فاستضافوهم فابوا ان يضيفوهم فلدغ سيد ذلك الحي فسعوا له بكل شي لا ينفعه شي فقال بعضهم لو اتيتم هولاء الرهط الذين نزلوا لعله ان يكون عند بعضهم شي فاتوهم فقالوا يا ايها الرهط ان سيدنا لدغ وسعينا له بكل شي فلم ينفعه فهل عند احد منكم من شي فقال بعضهم نعم والله اني لارقي ولكن استضفناكم فلم تضيفونا فما انا براق حتى تجعلوا لنا جعلا فصالحوهم على قطيع من الغنم فانطلق يتفل عليه ويقرا الحمد لله رب العالمين فكانما انشط من عقال فانطلق يمشي وما به قلبة فاوفوهم جعلهم الذي صالحوهم عليه فقال بعضهم اقسموا فقال الذي رقى لا تفعلوا حتى ناتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنذكر له الذي كان فننظر بما يامرنا فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له ذلك فقال وما يدريك انها رقية ثم قال قد اصبتم اقتسموا واضربوا لي معكم سهما فقد اثر هذا الدوا في هذا الداء وازاله حتى كان لم يكن وهو اسهل دواء وايسره ولو احسن العبد التداوي بالفاتحة لراى لها تاثيرا عجيبا في الشفاء ومكثت بمكة مدة يعتريني ادواء ولا اجد طبيبا ولا دواء فكنت اعالج نفسي بالفاتحة فارى لها تاثيرا عجيبا فكنت اصف ذلك لمن يشتكي الما وكان كثير منهم يبرى سريعا ولكن ههنا امر ينبغي التفطن له وهو ان الاذكار والايات والادعية التي يستشفى بها ويرقى بها هي في نفسها نافعة شافية ولكن تستدعي قبول المحل وقوة همة الفاعل وتاثيره فمتى تخلف الشفا كان لضعف تاثير الفاعل او لعدم قبول المحل او لمانع قوي فيه يمنع ان ينجع فيه الدوا كما يكون ذلك في الادوية والادواء الحسية فان عدم تاثيرها قد يكون لعدم قبول الطبيعة لذلك الدواء وقد يكون لمانع قوي يمنع من اقتضائه اثره فان الطبيعة اذا اخذت الدوا بقبول تام كان انتفاع البدن به بحسب ذلك القبول وكذلك القلب اذا اخذ الرقى والتعاويذ بقبول تام وكان للراقي نفس فعالة وهمة موثرة اثر في ازالة الداء وكذلك الدعا فانه من اقوى الاسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب ولكن قد يتخلف

لعله فلا ينفعه

مطلب الرقية بالفاتحة

لعله حتى كان

عنه اثره اما لضعفه في نفسه بان يكون دعا لا يحبه الله تعالى لما فيه من العدوان
واما لضعف القلب وعدم اقباله على الله وجمعيته عليه وقت الدعا فيكون بمنزلة
القوس الرخو جدا فان السهم يخرج منه خروجا ضعيفا واما لحصول المانع من الاجابة
من اكل الحرام والظلم ورين الذنوب على القلوب واستيلا الغفلة والسهو والذنوب
كما في صحيح الحاكم من حديث ابي هريرة رضي الله عنه ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة
واعلموا ان الله لا يقبل دعاء من قلب غافل لاه فهذا دواء نافع مزيل للداء ولكن
غفلة القلب عن الله تبطل قوته وكذلك اكل الحرام يبطل قوته او يضعفها كما في صحيح مسلم
من حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس ان الله
طيب لا يقبل الا طيبا وان الله امر المؤمنين بما امر به المرسلين فقال يا ايها الرسل كلوا من
الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم وقال يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات
ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث اغبر يمد يديه الى السما يا رب يا رب
ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فانى يستجاب لذلك وذكر
عبد الله بن احمد في كتاب الزهد لابيه قال اصاب بني اسرائيل بلا فخرجوا مخرجا فاوحى
الله الى نبيهم ان اخبرهم انكم تخرجون الي بابدان نجسة وترفعون الي اكفا قد
سفكتم بها الدما وملأتم بها بيوتكم من الحرام الان حين اشتد غضبي عليكم
ولن تزدادوا مني الا بعدا وقال ابو ذر رضي الله عنه يكفي من الدعا مع البر ما يكفي الطعام
من الملح **فصل** والدعا من انفع الادوية وهو عدو البلا يدافعه و
يعالجه ويمنع نزوله ويرفعه او يخففه اذا نزل وهو سلاح المؤمن كما روى الحاكم في صحيحه
من حديث علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعا سلاح
المؤمن وعماد الدين ونور السموات والارض وله مع البلا ثلاث مقامات احدها ان
يكون اقوى من البلا فيدفعه الثاني ان يكون اضعف من البلا فيقوى عليه
البلا فيصاب به العبد ولكن قد يخففه وان كان ضعيفا الثالث ان يتقاوما ويمنع
كل واحد منهما صاحبه وقد روى الحاكم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغني حذر من قدر والدعا ينفع مما نزل ومما لم ينزل وان
البلا لينزل فيتلقاه الدعا فيعتلجان الى يوم القيمة وفيه ايضا من حديث ابن عمر رضي الله عنهما

واللهو ٣

رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم

مطلب الكلام في الدعا

لعله بطونكم

عن النبي

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدعا ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعا
وفيه ايضا من حديث ثوبان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يرد القدر الا الدعا
ولا يزيد في العمر الا البر وان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه **فصل**
ومن انفع الادوية الالحاح في الدعا وقد روى ابن ماجه في سننه من حديث ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يسأل الله يغضب عليه الله يغضب ان تركت سؤاله
وبني ادم حين يسأل يغضب وفي صحيح الحاكم من حديث انس رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم لا تعجزوا في الدعا فانه لا يهلك مع الدعا احد وذكر الاوزاعي عن الزهري
عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الملحين في الدعا
وفي كتاب الزهد للامام احمد عن قتادة قال قال مورق ما
وجدت للمؤمن مثلا الا رجلا في البحر على خشبة فهو يدعو يا رب يا رب لعل الله عز وجل
ان ينجيه **فصل** ومن الافات التي تمنع ترتب اثر الدعا عليه ان يستعجل العبد
ويستبطي الاجابة فيستحسر ويدع الدعا وهو بمنزلة من بذر بذرا او غرس غرسا
فجعل يتعاهده ويسقيه فلما استبطى كماله وادراكه تركه واهمله وفي صحيح البخاري
من حديث ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يستجاب لاحدكم
ما لم يعجل يقول دعوت فلم يستجب لي وفي صحيح مسلم عنه لا يزال يستجاب للعبد ما لم
يدع باثم او قطيعة رحم ما لم يستعجل قالوا يا رسول الله وما الاستعجال قال يقول
قد دعوت وقد دعوت فلم يستجب لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعا وفي مسند
احمد من حديث انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال العبد بخير ما لم
يستعجل قالوا يا رسول الله كيف يستعجل قال يقول قد دعوت ربي فلم يستجب لي
فصل واذا جمع الدعا حضور القلب وجمعيته بكليته على المطلوب و
صادف وقتا من اوقات الاجابة الستة وهي الثلث الاخير من الليل وعند
الاذان وبين الاذان والاقامة وادبار الصلوات المكتوبات وعند صعود
الامام يوم الجمعة على المنبر حتى تقضى الصلاة واخر ساعة بعد العصر من ذلك
اليوم وصادف خشوعا في القلب وانكسارا بين يدي الرب وذلا له وتضرعا
ورقة واستقبل الداعي القبلة وكان على طهارة ورفع يديه الى الله وبدأ
بحمد الله والثناء عليه ثم ثنى بالصلاة على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ثم قدم

فيستحسر

٤ واذا اجتمع مع الدعاء

بين يدي حاجته التوبة والاستغفار ثم دخل على الله والح عليه في المسألة و
تملق ودعاه رغبة ورهبة وتوسل اليه باسمائه وصفاته وتوحيده وقدم بين
دعائه صدقة فان الدعا لا يكاد يرد ابدا ولا سيما ان صادف الادعية التي اخبر النبي
صلى الله عليه وسلم انها مظنة الاجابة وانها متضمنة للاسم الاعظم فمنها ما في السنن
وصحيح ابن حبان من حديث عبد الله بن بريدة عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم سمع رجلا يقول اللهم اني اسالك باني اشهد انك انت الله لا اله الا انت الاحد
الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فقال لقد سال الله بالاسم
الذي اذا سئل به اعطى واذا دعي به اجاب وفي لفظ لقد سالت الله باسمه الاعظم وفي
السنن وصحيح ابن حبان ايضا من حديث انس بن مالك رضي الله عنه انه كان مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم جالسا ورجل يصلي ثم دعا فقال اللهم اني اسالك بان لك الحمد لا اله الا
انت المنان بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام يا حي يا قيوم فقال النبي
صلى الله عليه وسلم لقد سال الله باسمه العظيم الذي اذا دعي به اجاب واذا سئل به
اعطى واخرج الحديثين الامام احمد في مسنده وفي جامع الترمذي من حديث
اسما بنت يزيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اسم الله الاعظم في هاتين الايتين والهكم
اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم وفاتحة ال عمران الم الله لا اله الا هو الحي القيوم
قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وفي مسند احمد وصحيح الحاكم من حديث ابي هريرة
رضي الله عنه وانس بن مالك وربيعة بن عامر رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الظوا
بيا ذا الجلال والاكرام يعني تعلقوا بها والزموها وداوموا عليها وفي جامع الترمذي من
حديث ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اهمه الامر رفع راسه الى
السماء واذا اجتهد في الدعا قال يا حي يا قيوم وفيه ايضا من حديث انس بن
مالك رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا كربه امر قال يا حي يا قيوم
برحمتك استغيث وفي صحيح الحاكم من حديث ابي امامة رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال اسم الله الاعظم في ثلاث سور من القران في البقرة وال عمران
وطه قال القاسم فالتمستها فاذا هي اية الحي القيوم وفي جامع الترمذي وصحيح
الحاكم من حديث سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال دعوة
ذي النون اذ دعا ربه وهو في بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك اني كنت من

لعله الحنان المنان

الظالمين

من الظالمين انه لم يدع بها مسلم في شيء قط الا استجاب الله له قال الترمذي حديث
صحيح وفي صحيح الحاكم ايضا من حديث سعد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
الا اخبركم بشيء اذا نزل برجل منكم فدعا به يفرج عنه دعاء ذي النون وفي صحيحه ايضا
اسم الله الاعظم دعاء يونس فقال رجل يا رسول الله هل كانت ليونس خاصة فقال
الا تسمع قوله تعالى فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين فايما مسلم دعا بها
في مرضه اربعين مرة فمات في مرضه ذلك الا اعطي اجر شهيد وان برا برا مغفورا له
وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يقول عند الكرب لا اله الا الله العظيم الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا الله
رب السموات السبع ورب العرش الكريم وفي مسند الامام احمد من حديث علي بن ابي طالب
قال علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل بي كرب ان اقول لا اله الا الله الحليم الكريم
سبحان الله وتبارك الله رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين وفي مسنده ايضا
من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اصاب
احدا قط هم ولا حزن فقال اللهم اني عبدك وابن عبدك وابن امتك ناصيتي بيدك
ماض في حكمك عدل في قضاؤك اسالك بكل اسم هو لك سميت به نفسك او علمته
احدا من خلقك او انزلته في كتابك او استاثرت به في علم الغيب عندك ان تجعل
القران ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي الا اذهب الله همه وحزنه
وابدله مكانه فرجا فقيل يا رسول الله الا نتعلمها قال بلى ينبغي لمن سمعها ان يتعلمها
وقال ابن مسعود ما كرب نبي من الانبياء الا استغاث بالتسبيح وذكر ابن ابي الدنيا في كتاب
المجابين في الدعا عن الحسن قال كان رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الانصار يكنى
ابا معلق وكان تاجرا يتجر بمال له ولغيره يضرب به في الافاق وكان ناسكا ورعا فخرج
مرة فلقيه لص مقنع في السلاح فقال له ضع ما معك فاني قاتلك قال ما تريد الا دمي شانك بالمال
قال اما المال فلي ولست اريد الا دمك قال اما اذا ابيت فذرني اربع ركعات قال صل
ما بدا لك فتوضا ثم صلى اربع ركعات وكان من دعائه في اخر سجدة ان قال يا ودود
يا ذا العرش المجيد يا فعالا لما يريد اسالك بعزك الذي لا يرام وملكك الذي
لا يضام وبنورك الذي ملا اركان عرشك ان تكفيني شر هذا اللص يا مغيث اغثني

ورب الارض

لعله بدمي

ثلاث مرات فاذا هو بفارس قد اقبل بيده حربة قد وضعها بين اذني فرسه فلما
بصر به اللص اقبل نحوه فطعنه فقتله ثم اقبل الي فقال قم فقلت من انت بابي و
امي فقد اغاثني الله بك اليوم قال انا ملك من اهل السماء الرابعة دعوت بدعائك الاول
فسمعت لابواب السماء قعقعة ثم دعوت بدعائك الثاني فسمعت لاهل السماء ضجة
ثم دعوت بدعائك الثالث فقيل لي دعاء مكروب فسالت الله ان يوليني قتله **فصل**
وكثيرا ما تجد ادعية دعا بها قوم فاستجيب لهم ويكون قد اقترن بالدعاء ضرورة صاحبه
واقباله على الله او حسنة تقدمت منه جعل الله سبحانه اجابة دعوته شكرا لحسنته
او صادف وقت اجابة ونحو ذلك فاجيبت دعوته فيظن الظان ان السر في لفظ ذلك الدعا
فياخذه مجردا عن تلك الامور التي قارنته من ذلك الداعي وهذا كما اذا استعمل الرجل دواء نافعا
في الوقت الذي ينبغي على الوجه الذي ينبغي فانتفع به فظن غيره ان استعمال هذا الدواء
بمجرده نافع في حصول المطلوب كان غالطا وهذا موضع يغلط فيه كثير من الناس و
من هذا قد يتفق دعاؤه باضطرار عند قبر فيجاب فيظن الجاهل ان السر للقبر ولم يعلم ان السر
للاضطرار وصدق الالتجا الى الله فاذا حصل ذلك في بيت من بيوت الله كان افضل
واحب الى الله **فصل** والادعية والتعويذات بمنزلة السلاح والسلاح بضاربه
لا بحده فقط فمتى كان السلاح سلاحا تاما لا افة فيه والساعد ساعدا قويا والمانع مفقود
حصلت به النكاية في العدو ومتى تخلف واحد من هذه الثلاثة تخلف التاثير
فاذا كان الدعا في نفسه غير صالح والداعي لم يجمع بين لسانه وقلبه في الدعا و
كان ثم مانع من الاجابة لم يحصل الاثر **فصل** وههنا سوال مشهور وهو ان
المدعو به ان كان قد قدر لم يكن بد من وقوعه دعا به العبد او لم يدع وان لم يكن قد
قدر لم يقع سوا سأله العبد او لم يسأله فظنت طائفة صحة هذا السوال فتركت
الدعا وقالت لا فائدة فيه وهؤلاء مع فرط جهلهم وضلالهم متناقضون فان طرد مذهبهم
يوجب تعطيل جميع الاسباب فيقال لاحدهم ان كان الشبع والري قد قدرا لك فلا
بد من وقوعهما اكلت او لم تاكل وان كان الولد قد قدر لك فلا بد منه وطئت
الزوجة او لم تطا وان لم يقدر لم يكن فلا حاجة الى التزويج والتسري وهلم جرا فهل
يقول هذا من عاقل او ادمي بل الحيوان البهيم مفطور على مباشرة الاسباب التي

الهاقوام

بها قوامه وحياته فالحيوانات اعقل وافهم من هؤلاء الذين هم كالانعام بل هم
اضل سبيلا وتكايس بعضهم وقال الاشتغال بالدعا من باب التعبد المحض يثيب الله عليه
الداعي من غير ان يكون له تاثير في المطلوب بوجه ما ولا فرق عند هذا الكيس بين الدعاء
وبين الامساك عنه بالقلب واللسان في التاثير في حصول المطلوب وارتباط الدعا به عندهم
كارتباط السكوت ولا فرق وقالت طائفة اخرى اكيس من هؤلاء بل الدعا علامة مجردة
نصبها الله سبحانه وتعالى امارة على قضاء الحاجة فمتى وفق العبد للدعا كان ذلك علامة
له وامارة على ان حاجته قد قضيت وهذا كما لو رايت غيما اسود باردا في زمن الشتاء فان
ذلك دليل وعلامة على انه يمطر قالوا وهذا حكم الطاعات مع الثواب والكفر والمعاصي
مع العقاب هي امارة محضة لوقوع الثواب والعقاب لا انها اسباب له وهكذا
عندهم الكسر مع الانكسار والحرق مع الاحراق والازهاق مع القتل ليس شي من ذلك
سببا البتة ولا ارتباط بينه وبين ما يترتب عليه الا مجرد الاقتران العادي لا التاثير
السببي وخالفوا بذلك الحس والعقل والشرع والفطرة وسائر طوائف العقلا
بل اضحكوا عليهم العقلاء والصواب ان ههنا قسما ثالثا غير ما ذكره السائل وهو ان
هذا المقدور قدر باسباب ومن اسبابه الدعا فلم يقدر مجردا عن سببه ولكن قدر بسببه
فمتى اتى العبد بالسبب وقع المقدور ومتى لم يات بالسبب انتفى المقدور وهذا كما قدر الشبع
والري بالاكل والشرب وقدر الولد بالوطي وقدر حصول الزرع بالبذر وقدر خروج
نفس الحيوان بذبحه كذلك قدر دخول الجنة بالاعمال ودخول النار بالاعمال وهذا
القسم هو الحق وهو الذي حرمه السائل ولم يوفق له وحينئذ فالدعا من اقوى الاسباب
فاذا قدر وقوع المدعو به بالدعا لم يصح ان يقال لا فائدة في الدعا كما لا يقال لا فائدة في
الاكل والشرب وجميع الحركات والاعمال وليس شي من الاسباب انفع من الدعا ولا ابلغ
منه في حصول المطلوب **ولما** كان الصحابة رضي الله عنهم اعلم الامة بالله ورسوله وافقههم
في دينه كانوا اقوم بهذا السبب وشروطه وادابه من غيرهم وكان عمر رضي الله عنه يستنصر
به على عدوه فكان اعظم جنده وكان يقول للصحابة لستم تنصرون بكثرة وانما
تنصرون من السما وكان يقول اني لا احمل هم الاجابة ولكن هم الدعا فاذا الهمت الدعا
فان الاجابة معه واخذ الشاعر هذا فنظمه فقال

علمتني

لو لم ترد نيل ما ارجو واطلبه ... من جود كفك ما عودتني الطلبا

في الهم الدعا فقد اريد به الاجابة فان الله سبحانه يقول ادعوني استجب لكم وقال واذا سالك
عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان وفي سنن ابن ماجه من حديث ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يسال الله يغضب عليه وهذا يدل على ان رضاه
في سواله وطاعته واذا رضي الرب تبارك وتعالى فكل خير في رضاه كما ان كل بلاء ومصيبة
في غضبه وقد ذكر الامام احمد في كتاب الزهد اثرا اني انا الله لا اله الا انا اذا رضيت باركت
وليس لبركتي منتهى واذا غضبت لعنت ولعنتي تبلغ السابع من الولد وقد دل العقل و
النقل والفطر السليمة وتجارب الامم على اختلاف اجناسها ومللها ونحلها على ان التقرب
الى رب العالمين وطلب مرضاته والبر والاحسان الى خلقه من اعظم الاسباب الجالبة لكل خير
واضدادها من اكبر الاسباب الجالبة لكل شر فما استجلبت نعم الله قط ولا استدفعت
نقمه بمثل طاعته والتقرب اليه والاحسان الى خلقه وقد رتب الله سبحانه حصول الخير والشرور
في الدنيا والاخرة في كتابه على الاعمال ترتيب الجزاء على الشرط والمعلول على العلة والمسبب
على السبب وهذا في القران في الف موضع فتارة يرتب الحكم الخبري الكوني والامر
الشرعي على الوصف المناسب له كقوله فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين
وكقوله فلما اسفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم وقوله ان المسلمين والمسلمات الى قوله و
الذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما وهذا كثير جدا وتارة يرتبه
عليه بصيغة الشرط والجزا كقوله ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سياتكم ويغفر
لكم وقوله فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكوة فاخوانكم في الدين وقوله وان لو استقاموا
على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا ونظائره وتارة ياتي بلام التعليل كقوله ليدبروا اياته
وليتذكر اولوا الالباب وقوله لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا
وتارة ياتي باداة كي التي للتعليل كقوله كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم وتارة ياتي
بباء السببية كقوله ذلك بما قدمت ايديكم كقوله بما كنتم تعملون وبما كنتم تكسبون وكقوله
ذلك بانهم كفروا باياتنا وتارة ياتي بالمفعول لاجله ظاهرا او محذوفا وقوله فرجل و
امراتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى وقوله ان يقولوا
انا كنا عن هذا غافلين كقوله ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا اي كراهة

ان يقولوا

ان يقولوا وتارة ياتي بفاء السببية كقوله فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم
بذنبهم فسواها وكقوله فعصوا رسول ربهم فاخذهم اخذة رابية وكقوله فكذبوهما
فكانوا من المهلكين ونظائره وتارة ياتي باداة لما الدالة على الجزا وكقوله فلما اسفونا انتقمنا
منهم ونظائره وتارة ياتي بان وما عملت فيه كقوله انهم كانوا يسارعون في الخيرات
وقوله في ضد هؤلاء انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين وتارة ياتي باداة لولا
الدالة على ارتباط ما قبلها بما بعدها كقوله فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه
الى يوم يبعثون وتارة ياتي بلو الدالة على الشرط كقوله ولو انهم فعلوا ما يوعظون به
لكان خيرا لهم وبالجملة فالقران من اوله الى اخره صريح في ترتيب الجزا بالخير والشر والاحكام
الكونية والامرية على الاسباب بل ترتب احكام الدنيا والاخرة ومصالحها ومفاسدها
على الاسباب والاعمال ومن تفقه في هذه المسالة وتاملها حق التامل انتفع بها غاية النفع
ولم يتكل على القدر جهلا منه وعجزا وتفريطا واضاعة فيكون توكله عجزا وعجزه توكلا بل
الفقيه كل الفقيه الذي يرد القدر بالقدر ويدفع القدر بالقدر ويعارض القدر
بالقدر بل لا يمكن الانسان يعيش الا بذلك فان الجوع والشبع والبرد وانواع المخاوف
والمحاذير هي من القدر والخلق كلهم ساعون في دفع هذا القدر بالقدر وهكذا
من وفقه الله والهمه رشده يدفع قدر العقوبة الاخروية بقدر التوبة والايمان
والاعمال الصالحة فهذا وزن القدر المخوف في الدنيا وما يضاده سوا فرب الدارين واحد
وحكمته واحدة لا يناقض بعضها بعضا فهذه المسالة من اشرف المسائل لمن عرف قدرها
ورعاها حق رعايتها والله المستعان لكن يبقى عليه امران بهما تتم سعادته وفلاحه احدهما
ان يعرف تفاصيل اسباب الخير والشر جميعا مفصلة مبينة من السنة ويكون له
بصيرة في ذلك بما شاهده في العالم وما جربه في نفسه وغيره وما سمعه من اخبار
الامم قديما وحديثا ومن انفع ما في ذلك تدبر القران فانه كفيل بذلك على اكمل الوجوه
وفيه اسباب الخير والشر جميعا مفصلة مبينة ثم السنة فانها شقيقة القران وهي
الوحي الثاني ومن صرف اليهما عنايته اكتفى بهما من غيرهما وهما يريانك الخير والشر
واسبابهما كانك تعاين ذلك عيانا وبعد ذلك اذا تاملت اخبار الامم وايام الله في اهل
طاعته واهل معصيته طابق ذلك ما علمته من القران والسنة ورايته بتفاصيل ما اخبر الله به ووعد عليه

وعلمت من اياته في الافاق ما يدلك على ان القران حق وان الرسول حق وان الله سبحانه
ينجز وعده لا محالة فالتاريخ تفصيل لجزئيات ما عرفنا الله ورسوله من الانبا
الكلية للتحذير والبشر

فصل

والامر الثاني ان يحذر مغالطة نفسه له
على هذه الاسباب وهذا من اهم الامور فان العبد يعرف ان المعصية والغفلة من
الاسباب المضرة في دنياه واخرته ولا بد ولكن تغالطه نفسه بالاتكال على عفو الله
ومغفرته تارة وبالتسويف بالتوبة تارة وبالاستغفار باللسان تارة وبفعل
المندوبات تارة وبالعلم تارة وبالاحتجاج بالقدر تارة وبالاحتجاج بالاشباه
والنظرا والاقتدا بالاكابر تارة وكثير من الناس يظن انه لو فعل ما فعل ثم قال استغفر الله
زال اثر الذنب وراح هذا بهذا وقال لي رجل من المنتسبين الى الفقه انا افعل ما
افعل ثم اقول سبحان الله وبحمده مائة مرة وقد غفر ذلك اجمعه كما صح عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال من قال في يوم سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت عنه خطاياه وان
كانت مثل زبد البحر وقال لي اخر من اهل مكة نحن احدنا اذا فعل ما فعل ثم
اغتسل وطاف بالبيت اسبوعا وقد محي عنه ذلك وقال لي اخر قد صح عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اذنب عبد ذنبا فقال اي رب قد اصبت ذنبا فاغفره
لي فغفر له ثم مكث ما شاء الله ثم اذنب ذنبا اخر فقال اي رب اصبت ذنبا فاغفره
لي فغفر له ثم مكث ما شاء الله ثم اذنب ذنبا فقال اي رب اصبت ذنبا فاغفره لي فقال
الله عز وجل علم عبدي ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي فليصنع
ما شا قال وانا لا اشك ان لي ربا يغفر الذنب ويأخذ به وهذا الضرب من الناس قد
تعلق بنصوص الرجا واتكل عليها وتعلق بها بكلتا يديه واذا عوتب على الخطايا
والانهماك فيها سرد لك ما يحفظه من سعة رحمة الله ومغفرته ونصوص الرجا وللجهال
من هذا الضرب من الناس في هذا الباب غرائب وعجائب كقول بعضهم

وكثر ما استطعت من الخطايا ** اذا كان القدوم على كريم

وقول الاخر التنزه من الذنوب جهل بسعة عفو الله وقال الاخر ترك الذنوب جراة
على مغفرة الله تعالى واستصغار لها وقال محمد بن حزم رايت بعض هؤلاء يقول في دعائه
اللهم اني اعوذ بك من العصمة ومن هؤلاء المغرورين من يتعلق بمسئلة الجبر وان

أبو

العبد

العبد لا فعل له البتة ولا اختيار وانما هو مجبور على فعل المعاصي ومن
هؤلاء من يغتر بمسئلة الارجاء وان الايمان هو مجرد التصديق والاعمال
ليست من الايمان وان ايمان افسق الناس كايمان جبريل وميكائيل ومن هؤلاء من
يغتر بمحبة الفقراء والمشايخ والصالحين وكثرة التردد الى قبورهم والتضرع
اليهم والاستشفاع بهم والتوسل الى الله بهم وسواله بحقهم عليه وحرمتهم
عنده ومنهم من يغتر بابائه واسلافه وان لهم عند الله مكانة وصلاحا
فلا يدعوه ان يخلصوه كما يشاهد في حضرة الملوك فان الملوك تهب لخواصهم ذنوب
ابنائهم واقاربهم واذا وقع احد منهم في امر مفظع خلصه ابوه وجده بجاهه
ومنزلته ومنهم من يغتر بان الله عز وجل غني عن عذابه وعذابه لا يزيد في
ملكه شيئا ولا ينقص من ملكه شيئا فيقول انا مضطر الى رحمته وهو اغنى
الاغنيا ولو ان فقيرا مسكينا مضطرا الى شربة ماء عند من في داره شط يجري لما
منعه منها فالله اكرم واوسع فالمغفرة لا تنقصه شيئا والعقوبة لا تزيد في ملكه
شيئا ومنهم من يغتر بفهم فاسد فهمه هو واضرابه من نصوص القران والسنة
فاتكلوا عليه كاتكال بعضهم على قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال وهو
لا يرضى ان يكون في النار احد من امته وهذا من اقبح الجهل وابين الكذب عليه
فانه يرضى بما يرضى به ربه عز وجل والله تعالى يرضيه تعذيب الظلمة والفسقة والخونة
والمصرين على الكبائر فحاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يرضى بما يرضى به
ربه تبارك وتعالى وكاتكال بعضهم على قوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا وهذا
ايضا من اقبح الجهل فان الشرك داخل في هذه الاية وانه راس الذنوب واساسها
ولا خلاف ان هذه الاية في حق التائبين فانه يغفر ذنب كل تائب من اي ذنب كان
ولو كانت الاية في حق غير التائبين لبطلت نصوص الوعيد كلها واحاديث اخراج
قوم من الموحدين من النار بالشفاعة وهذا انما اتى صاحبه من قلة علمه وفهمه فانه
سبحانه ههنا عمم واطلق فعلم انه اراد التائبين وفي سورة النساء خصص وقيد
فقال ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فاخبر سبحانه انه لا يغفر
الشرك واخبر انه يغفر ما دون ذلك ولو كان هذا في حق التائب لم يفرق بين الشرك وغيره

كأيمان صح

فلا يدعوه أن صح

وكاغترار بعض الجهال بقوله يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم فيقول كرمه
وقد يقول بعضهم انه لقن المغتر حجته وهذا جهل قبيح وانما غره بربه الغرور
وهو الشيطان ونفسه الامارة بالسوء وجهله وهواه واتى سبحانه بلفظ الكريم
وهو السيد العظيم المطاع الذي لا ينبغي الاغترار به ولا اهمال حقه فوضع هذا
المغتر الغرور في غير موضعه واغتر بمن لا ينبغي الاغترار به وكاغترار بعضهم
بقوله تعالى في النار لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى وقوله اعدت للكافرين
ولم يدر هذا المغتر ان قوله فانذرتكم نارا تلظى هي نار مخصوصة من جملة دركات
جهنم ولو كانت جميع جهنم فهو سبحانه لم يقل لا يدخلها بل قال لا يصلاها الا الاشقى
ولا يلزم من عدم صليها عدم دخولها فان الصلى اخص من الدخول ونفي الاخص
لا ينفي الاعم ثم ان هذا المغتر لو تامل الاية التي بعدها لعلم انه غير داخل فيها فلا
يكون مضمونا له ان يجنبها واما قوله في النار اعدت للكافرين فقد قال في الجنة
اعدت للمتقين ولا ينافي اعداد النار للكافرين ان يدخلها الفساق والظلمة
ولا ينافي اعداد الجنة للمتقين ان يدخلها من في قلبه ادنى مثقال ذرة من ايمان ولم
يعمل خيرا قط وكاتكال بعضهم على صوم يوم عاشورا يكفر ذنوب العام كلها
وبقي صيام يوم عرفة زيادة في الاجر ولم يعلم هذا المغتر ان صوم رمضان والصلوا
الخمس اعظم واجل من صيام يوم عرفة ويوم عاشورا وهي انما تكفر ما بينها اذا اجتنب
الكبائر فرمضان والجمعة الى الجمعة لا يقوى على تكفير الصغائر فكيف يكفر صوم
تطوع كل كبيرة عملها العبد وهو مصر عليها غير تائب منها هذا محال على
انه لا يمتنع ان يكون صوم يوم عرفة ويوم عاشورا يكفر الجميع ذنوب العام على
عمومه ويكون من نصوص الوعيد التي لها شروط وموانع ويكون اصراره على
الكبائر مانعا من التكفير فاذا لم يصر على الكبائر تساعد الصوم وعدم الاصرار
وتعاونا على عموم التكفير كما كان رمضان والصلوات الخمس مع اجتناب الكبائر
متساعدين متعاونين على تكفير الصغائر مع انه سبحانه وتعالى قد قال ان تجتنبوا
كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم فعلم ان جعل الشي سببا للتكفير لا يمنع
ان يتساعد هو وسبب اخر على التكفير ويكون التكفير مع اجتماع السببين اقوى

واتم

واتم واسلم منه مع انفراد احدهما وكلما قويت اسباب التكفير كان اقوى واتم
واشمل وكاتكال بعضهم على قوله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه انا عند ظن عبدي بي
فليظن بي ما شاء يعني ما كان في ظنه فاني فاعله ولا ريب ان حسن الظن انما يكون
مع الاحسان فان المحسن حسن الظن بربه انه يجازيه على احسانه ولا يخلف وعده
ويقبل توبته واما المسيء المصر على الكبائر والظلم والمخالفات فان وحشة المعاصي
والظلم والحرام يمنعه من حسن الظن بربه وهذا موجود في الشاهد فان العبد الابق
المسيء الخارج عن طاعة سيده لا يحسن الظن به ولا يجامع وحشة الاساءة حسن
الظن ابدا فان المسيء مستوحش بقدر اساءته واحسن الناس ظنا بربه اطوعهم له
كما قال الحسن البصري ان المؤمن احسن الظن بربه فاحسن العمل وان الفاجر اساء
الظن بربه فاساء العمل وكيف يكون محسن الظن بربه من هو شارد عنه حال مرتحل
في مساخطه وما يغضبه متعرض للعنته قد هان حقه وامره عليه فاضاعه وهان
نهيه عليه فارتكبه واصر عليه وكيف يحسن الظن بربه من بارزه بالمحاربة وعادى
اولياءه ووالى اعداءه وجحد صفات كماله واساء الظن بما وصف به نفسه ووصفه
به رسله وظن بجهله ان ظاهر ذلك ضلال وكفر وكيف يحسن الظن بربه من يظن
انه لا يتكلم ولا يامر ولا ينهى ولا يرضى ولا يغضب وقد قال تعالى في حق من شك في
تعلق سمعه ببعض الجزئيات وهو السر من القول وذلكم ظنكم الذي ظننتم
بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين فهولاء لما ظنوا ان الله لا يعلم كثيرا مما يعملون كان هذا
اساءة لظنهم بربهم فارداهم ذلك الظن وهذا شان من جحد صفات كماله ونعوت
جلاله ووصفه بما لا يليق به فاذا ظن هذا انه يدخل الجنة كان هذا غرورا وخداعا
من نفسه وتسويلا من الشيطان لا احسان ظن بربه فتامل هذا الموضع وتامل شدة
الحاجة اليه وكيف يجتمع في قلب العبد تيقنه بانه ملاق الله وان الله يسمع كلامه
ويرى مكانه ويعلم سره وعلانيته ولا يخفى عليه خافية من امره وانه موقوف بين
يديه ومسؤول عن كل ما عمل وهو مقيم على مساخطه مضيع لاوامره معطل لحقوقه
وهو مع هذا محسن الظن به وهل هذا الا من خدع النفوس وغرور الاماني وقد قال ابو
امامة بن سهل بن حنيف دخلت انا وعروة بن الزبير على عائشة رضي الله عنها فقالت

والاجرام

لعله للعنة

لو رأيتما رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض له وكانت عندي ستة دنانير او سبعة فامرني
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان افرقها قالت فشغلني وجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى عافاه الله فسالني عنها فقال ما فعلت اكنت فرقت الستة الدنانير قلت لا والله
لقد كان شغلني وجعك قالت فدعا بها فوضعها في كفه فقال ما ظن نبي الله لو لقي
الله وهذه عنده فيا لله ما ظن اصحاب الكبائر والظلمة بالله اذا لقوه ومظالم
العباد عندهم فان كان ينفعهم قولهم حسّنا ظنوننا بك انك لم تعذب ظالما ولا فاسقا
فليصنع العبد ما شاء وليرتكب كل ما نهاه الله عنه وليحسن ظنه بالله فان النار
لا تمسه فسبحان الله ما يبلغ الغرور بالعبد وقد قال ابراهيم لقومه ائفكا الهة
دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين اي فما ظنكم به ان يفعل بكم اذا لقيتموه
وقد عبدتم غيره ومن تامل هذا الموضع حق التامل علم ان حسن الظن بالله هو
حسن العمل نفسه فان العبد انما يحمله على حسن العمل حسن ظنه بربه انه يجازيه
على اعماله ويثيبه عليها ويتقبلها منه فالذي حمله على العمل حسن الظن فكلما حسن
ظنه حسن عمله والا فحسن الظن مع اتباع الهوى عجز كما في الترمذي والمسند من
حديث شداد بن اوس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل
لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني وبالجملة فحسن
الظن انما يكون مع انعقاد اسباب النجاة واما مع انعقاد اسباب الهلاك فلا يتاتى
احسان الظن فان قيل بل يتاتى ذلك ويكون مستند حسن الظن سعة مغفرة
الله ورحمته وعفوه وجوده وان رحمته سبقت غضبه وانه لا ينفعه العقوبة
ولا يضره العفو قيل الامر هكذا والله فوق ذلك واجل واكرم واجود وارحم
لكن انما يضع ذلك في محله اللائق به فانه سبحانه موصوف بالحكمة والعزة والانتقام
وشدة البطش وعقوبة من يستحق العقوبة فلو كان معول حسن الظن على مجرد
صفاته واسمائه لاشترك في ذلك البر والفاجر والمؤمن والكافر ووليه وعدوه
فما ينفع المجرم اسماؤه وصفاته وقد باء بسخطه وغضبه وتعرض للعنته واوقع
في محارمه وانتهك حرماته بل حسن الظن ينفع من تاب وندم واقلع وبدل
السيئة بالحسنة واستقبل بقية عمره بالخير والطاعة ثم حسن الظن فهذا حسن

الظن

الهلاك

الظن والاول غرور والله المستعان ولا يستطل هذا الفصل فان الحاجة اليه شديدة
لكل احد ففرق بين حسن الظن بالله وبين الغرة به قال تعالى ان الذين امنوا والذين
هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله فجعل هؤلاء اهل الرجاء
لا الظالمين والفاسقين وقال تعالى ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم
جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم فاخبر سبحانه انه بعد هذه
الاشياء غفور رحيم لمن فعلها فالعالم يضع الرجاء مواضعه والجاهل المغتر يضعه
في غير مواضعه **فصل** وكثير من الجهال اعتمدوا على رحمة الله وعفوه وكرمه
وضيعوا امره ونهيه ونسوا انه شديد العقاب وانه لا يرد باسه عن القوم
المجرمين ومن اعتمد على العفو مع الاصرار فهو كالمعاند قال معروف رجاؤك لرحمة
من لا تطيعه من الخذلان والحمق وقال بعض العلماء من قطع عضوا منك في الدنيا بسرقة
ثلاثة دراهم لا تامن ان تكون عقوبته في الاخرة على نحو هذا وقيل للحسن نراك
طويل البكاء فقال اخاف ان يطرحني في النار ولا يبالي وسال رجل الحسن فقال يا ابا سعيد
كيف نصنع بمجالسة اقوام يخوفونا حتى تكاد قلوبنا تطير فقال والله لان تصحب
اقواما يخوفونك حتى تدرك امنا خير لك من ان تصحب قوما يؤمنونك حتى
تلحقك المخاوف وقد ثبت في الصحيحين من حديث اسامة بن زيد بن حارثة
رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجاء بالرجل يوم القيمة فيلقى
في النار فتندلق اقتاب بطنه فيدور في النار كما يدور الحمار برحاه فيطيف به
اهل النار فيقولون يا فلان ما اصابك الم تكن تامرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر
فيقول كنت امركم بالمعروف ولا اتيه وانهاكم عن المنكر واتيه وذكر الامام
احمد من حديث ابي رافع قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبقيع فقال اف لك اف
لك فظننت انه يريدني قال لا ولكن هذا قبر فلان بعثته ساعيا على ال فلان فغل
نمرة فدرع الان مثلها من نار وفي مسنده ايضا من حديث انس بن مالك قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض
من نار فقلت من هؤلاء فقالوا خطباء من اهل الدنيا كانوا يامرون الناس بالبر
وينسون انفسهم افلا يعقلون وفيه ايضا من حديث قال قال رسول الله صلى الله

يعتمد

عليه وسلم لما عرج بي مررت بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم
فقلت من هولاء الذين ياكلون لحوم الناس ويقعون في اعراضهم وفيه ايضا
عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك
فقلنا يا رسول الله امنا بك وبما جيت به فهل تخاف علينا قال نعم ان القلوب
بين اصبعين من اصابع الله يقلبها كيف يشا وفيه ايضا عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لجبريل ما لي لم ار ميكائيل ضاحكا قط قال ما ضحك منذ خلقت النار
وفي صحيح مسلم عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتى بانعم اهل الدنيا
من اهل النار فيصبغ في النار صبغة ثم يقال له يا ابن ادم هل رايت خيرا قط هل مر
بك نعيم قط فيقول لا والله يا رب ويوتى باشد الناس بوسا في الدنيا من
اهل الجنة فيصبغ في الجنة صبغة فيقال له يا ابن ادم هل رايت بوسا قط هل
مر بك من شدة قط فيقول لا والله يا رب ما رايت بوسا قط ولا مر بي شدة قط
وفي المسند من حديث البرا بن عازب قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة
رجل من الانصار فانتهينا الى القبر فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله
كانما على رووسنا الطير وفي يده عود ينكت به في الارض فرفع راسه فقال استعيذوا
بالله من عذاب القبر مرتين او ثلاثا ثم قال ان العبد المومن اذا كان في انقطاع من
الدنيا واقبال من الاخرة نزل اليه ملايكة من السماء بيض الوجوه كان وجوههم
الشمس معهم كفن من اكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه
مد البصر ثم ملك الموت حتى يجلس عند راسه فيقول ايتها النفس المطمئنة
اخرجي الى مغفرة من الله ورضوان فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقا فياخذها
فاذا اخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى ياخذوها فيجعلوها في ذلك
الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كاطيب نفحة مسك وجدت على الارض
فيصعدون فلا يمرون بها على ملا من الملائكة الا قالوا ما هذا الروح الطيب فيقولون
فلان بن فلان باحسن اسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا الى السماء
الدنيا فيستفتحون له فيفتح الله له فيشيعه من كل سماء مقربوها الى السماء التي تليها
حتى ينتهى به الى السماء السابعة فيقول الله عز وجل اكتبوا كتاب عبدي في عليين

يا جبريل فقال هولاء

ولما يلحد صح

يجيء صح

بها صح

واعيده

واعيدوه الى الارض فاني منها خلقتهم وفيها اعيدهم ومنها اخرجهم تارة اخرى
قال فتعاد روحه فياتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربي الله
عز وجل فيقولان له ما دينك فيقول ديني الاسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذي
بعث فيكم فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولان له ما علمك فيقول قرات كتاب الله
فامنت به وصدقت فينادي مناد من السما ان صدق عبدي فافرشوه من الجنة والبسوه
من الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة قال فياتيه من ريحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره
قال وياتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول ابشر بالذي يسرك
هذا يومك الذي كنت توعد فيقول له من انت فوجهك الوجه يجي بالخير فيقول
انا عملك الصالح فيقول رب اقم الساعة رب اقم الساعة حتى ارجع الى اهلي ومالي قال
وان العبد الكافر اذا كان في انقطاع من الدنيا واقبال من الاخرة نزل اليه من السما ملايكة
سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجي ملك الموت حتى يجلس عند
راسه فيقول ايتها النفس الخبيثة اخرجي الى سخط الله وغضبه قال فتفرق في
جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فياخذها فاذا اخذها
لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج كانتن ريح جيفة
وجدت على وجه الارض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملا من الملائكة الا قالوا
ما هذا الروح الخبيث فيقولون فلان بن فلان باقبح اسمائه التي كانوا يسمونه بها
في الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفتح لهم ابواب السماء
ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط فيقول الله عز وجل اكتبوا كتابه
في سجين في الارض فتطرح روحه طرحا ثم قرا ومن يشرك بالله فكانما خر من السما فتخطفه
الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق فتعاد روحه الى جسده وياتيه ملكان فيجلسانه
فيقولان له من ربك فيقول هاه هاه لا ادري فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث
فيكم فيقول هاه هاه لا ادري فينادي مناد من السما ان كذب عبدي فافرشوه النار
والبسوه النار وافتحوا له بابا الى النار فياتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره
حتى تختلف فيه اضلاعه وياتيه رجل قبيح الثياب قبيح الوجه منتن الريح فيقول ابشر
بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول من انت فوجهك الوجه الذي يجي

السفلى صح

بالشر فيقول انا عملك الخبيث فيقول رب لا تقم الساعة وفي لفظ لاحمد ايضا
ثم يقيض له اعمى اصم ابكم في يده مرزبة لو ضرب بها جبلا كان ترابا ثم يعيده الله
عز وجل كما كان فيضربه ضربة اخرى فيصيح صيحة يسمعها كل شي
الا الثقلين قال ثم يفتح له باب من النار ويمهد له من فرش النار وفي المسند
ايضا عنه قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ بصر بجماعة فقال علام اجتمع
هولاء قيل على قبر يحفرونه ففزع رسول الله صلى الله عليه وسلم فبدر بين يدي اصحابه
مسرعا حتى انتهى الى القبر فجثى على ركبتيه فاستقبلته من بين يديه لانظر ما يصنع
فبكى حتى بل الثرى من دموعه ثم اقبل علينا فقال اي اخواني لمثل هذا اليوم فاعدوا
وفي المسند من حديث بريدة قال خرج الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فنادى ثلاث مرات
يا ايها الناس اتدرون ما مثلي ومثلكم فقالوا الله ورسوله اعلم فقال انما مثلي ومثلكم مثل
قوم خافوا عدوا ياتيهم فبعثوا رجلا يترايا لهم فابصر العدو فاقبل لينذرهم
وخشي ان يدركه العدو قبل ان ينذر قومه فاهوى بثوبه ايها الناس اتيتم ايها الناس
اتيتم ثلاث مرات وفي صحيح مسلم من حديث جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كل مسكر حرام وان على الله عز وجل عهدا لمن شرب المسكرات يسقيه من طينة الخبال
قيل وما طينة الخبال قال عرق اهل النار او عصارة اهل النار وفي المسند ايضا
من حديث ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون
اطت السما وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا وعليه ملك ساجد لو
تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم
الى الصعدات تجارون الى الله تعالى قال ابو ذر رضي الله عنه والله لوددت اني شجرة
تعضد وفي المسند ايضا من حديث حذيفة قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في
جنازة فلما انتهينا الى القبر قعد على شافته فجعل يردد بصره فيه ثم قال يضغط المؤمن
فيه ضغطة تزول منها حمائله ويملا على الكافر نارا والحمائل عروق الانثيين وفي
المسند ايضا من حديث جابر قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سعد بن
معاذ حين توفي فلما صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع في قبره وسوي عليه
سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبحنا طويلا ثم كبر فكبرنا فقيل يا رسول الله لم سبحت

ثم كبرت

ثم كبرت فقال لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرج الله عنه
وفي صحيح البخاري عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وضعت
الجنازة واحتملها الرجال على اعناقهم فان كانت صالحة قالت قدموني قدموني
وان كانت غير صالحة قالت يا ويلها اين يذهبون بها يسمع صوتها كل شي الا الانسان
ولو سمعها الانسان لصعق وفي مسند احمد من حديث ابي امامة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم تدنو الشمس يوم القيمة على قدر ميل ويزاد في حرها كذا وكذا
يغلي منها الرؤس كما تغلي القدور ويعرقون فيها على قدر خطاياهم منهم من
يبلغ الى كعبيه ومنهم من يبلغ الى ساقيه ومنهم من يبلغ الى وسطه ومنهم من يلجمه العرق
وفيه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم كيف انعم وصاحب القرن
قد التقم القرن وحنى جبهته يسمع متى يؤمر فينفخ فقال اصحابه كيف نقول قال قولوا
حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا وفي المسند ايضا عن ابن عمر يرفعه من تعظم
في نفسه واختال في مشيته لقي الله تبارك وتعالى وهو عليه غضبان وفي الصحيحين
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المصورين يعذبون يوم القيمة ويقال
لهم احيوا ما خلقتم وفيهما عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا احدكم اذا مات
عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة وان كان
من اهل النار فمن اهل النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله عز وجل يوم القيمة
وفيهما ايضا عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا صار اهل الجنة الى الجنة واهل النار
في النار جيء بالموت حتى يوقف بين الجنة والنار ثم يذبح ثم ينادي مناد يا اهل الجنة
خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت فيزداد اهل الجنة فرحا الى فرحهم
ويزداد اهل النار حزنا الى حزنهم وفي المسند عنه قال من اشترى ثوبا بعشرة دراهم
وفيها درهم من حرام لم يقبل له صلوة ما دام عليه ثم ادخل اصبعيه في اذنيه ثم قال
صمتا ان لم اكن سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقوله وفيه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك الصلوة سكرا مرة واحدة فكانما كانت له الدنيا
وما عليها فسلبها ومن ترك الصلاة سكرا اربع مرات كان حقا على الله ان يسقيه من طينة
الخبال قيل وما طينة الخبال يا رسول الله قال عصارة اهل جهنم وفيها ايضا عنه

مرفوعا من شرب الخمر شربة لم يقبل له صلاة اربعين صباحا فان تاب تاب الله
عليه فلا ادري في الثالثة او في الرابعة قال فان عاد كان حقا على الله ان يسقيه
من ردغة الخبال يوم القيمة وفي المسند ايضا من حديث ابي موسى قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من مات مدمنا الخمر سقاه الله من نهر الغوطة قيل وما نهر الغوطة
قال نهر يجري من فروج المومسات يؤذي اهل النار ريح فروجهن وفيه ايضا
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض الناس يوم القيمة ثلاث عرضات
فاما عرضتان فجدال ومعاذير واما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الايدي
فاخذ بيمينه واخذ بشماله وفي المسند ايضا من حديث ابن مسعود رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اياكم ومحقرات الذنوب فانهن يجتمعن على الرجل
حتى يهلكنه فضرب لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا كمثل قوم نزلوا بارض
فلاة فحضر صنيع القوم فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود والرجل يجيء بالعود
حتى جمعوا سوادا واججوا نارا فانضجوا ما قذفوا فيها وفي الصحيح من حديث
ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يضرب الجسر على جهنم فاكون
اول من يجيز ودعوى الرجل يومئذ اللهم سلم سلم وعلى حافتيه كلاليب مثل
شوك السعدان تخطف الناس باعمالهم فمنهم الموبق بعمله ومنهم المخردل ثم ينجو
حتى اذا فرغ الله من القضا بين العباد واراد ان يخرج من النار من اراد ان يرحم
ممن كان يشهد ان لا اله الا الله امر الملائكة ان يخرجوهم فيعرفونهم بعلامة اثار
السجود فيخرجونهم قد امتحشوا فيصب عليهم من ماء يقال له ماء الحيوة فينبتون
نبات الحبة في حميل السيل وفي صحيح مسلم عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان اول الناس يقضى بينهم يوم القيمة ثلاثة رجل استشهد فاتي به فعرفه نعمه
فعرفها قال فما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى قتلت قال كذبت ولكن قاتلت ليقال
يقال هو جريء وقد قيل ثم امر به فسحب على وجهه حتى القي في النار ورجل تعلم
العلم وعلمه وقرا القران فاتي به فعرفه نعمه فعرفها فقال ما عملت فيها قال تعلمت
فيك العلم وعلمته وقرات فيك القران فقال كذبت ولكنك تعلمت ليقال هو عالم
فقد قيل وقرات القران ليقال هو قارئ فقد قيل ثم امر به فسحب على وجهه

حتى القي في النار ورجل وسع الله عليه واعطاه من اصناف المال كله فاتي به فعرفه
نعمه فعرفها فقال ما عملت فيها فقال ما تركت من سبيل تحب ان ينفق فيها الا
انفقت فيها لك قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم امر به
فسحب على وجهه حتى القي في النار وفي لفظ فهولاء اول خلق تسعر بهم النار
يوم القيمة وسمعت شيخ الاسلام يقول كما ان خير الناس الانبيا فشر الناس من
تشبه بهم من الكذابين وادعى انه منهم وليس منهم فخير الناس بعدهم العلماء
والشهداء والمتصدقون المخلصون وشر الناس بعدهم من تشبه بهم يوهم انه
منهم وليس منهم وفي صحيح البخاري من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
من كانت عنده لاخيه مظلمة في مال او عرض فليأته فليستحلها منه قبل ان يوخذ
وليس عنده دينار ولا درهم فان كانت له حسنات اخذ من حسناته فاعطيها
هذا والا اخذ من سيئات هذا فطرحت عليه ثم طرح في النار وفي الصحيح من حديث
ابي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم من اخذ شبرا من الارض بغير حقه خسف
به يوم القيمة الى سبع ارضين وفي الصحيحين عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ناركم هذه التي توقد بنو ادم جزء من واحد وسبعين جزءا من نار
جهنم قالوا والله ان كانت لكافية قال فانها قد فضلت عليها بتسعة وستين
جزءا كلهن مثل حرها وفي المسند عن معاذ رضي الله عنه قال اوصاني رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال لا تشرك بالله شيئا وان قتلت وحرقت ولا تعقن والديك وان
امراك ان تخرج من اهلك ومالك ولا تتركن صلاة مكتوبة متعمدا فمن ترك صلاة
واحدة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله ولا تشربن خمرا فانه راس كل فاحشة
واياك والمعصية فان المعصية تحل سخط الله والاحاديث في هذا الباب اضعاف
اضعاف ما ذكرنا ولا ينبغي لمن نصح نفسه ان يتعامى عنها ويرسل نفسه في
المعاصي ويتعلق بحبل الرجا وحسن الظن قال ابو الوفا بن عقيل والغفران وانه
قطع اليد في ثلاثة دراهم وجلد الحد في مثل راس ابرة من الخمر وقد دخلت
امراة النار في هرة واشتعل الشملة نارا على من غلها وقد قتل شهيدا قال الامام
احمد حدثنا معاوية حدثنا الاعمش عن سليمان بن ميسرة عن طارق بن شهاب

بن نعيم قال دخل رجل النار في ذباب ودخل رجل الجنة في ذباب قالوا وكيف ذلك
يا رسول الله قال مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه احد حتى يقرب له شيئا
قالوا لاحدهما قرب فقال ليس عندي شيء قالوا قرب ولو ذبابا فقرب ذبابا فخلوا
سبيله فدخل النار وقالوا للاخر قرب فقال ما كنت لاقرب لاحد شيئا دون
الله عز وجل فضربوا عنقه فدخل الجنة وهذه الكلمة الواحدة يتكلم بها العبد
يهوي بها في النار ابعد ما بين المشرق والمغرب وربما اتكل بعض المغترين على ما يرى
من نعم الله عليه في الدنيا وانه لا يغير ما به ويظن ذلك من محبة الله له وانه
يعطيه في الاخرة افضل من ذلك وهذا من الغرور قال الامام احمد حدثنا يحيى
بن غيلان حدثنا رشدين بن سعد عن حرملة بن عمران التجيبي عن عقبة بن مسلم
عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا رايت الله عز وجل يعطي العبد من
الدنيا على معاصيه ما يحب فانما هو استدراج ثم تلا قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا
به فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم
مبلسون وقال بعض السلف اذا رايت الله يتابع نعمه عليك وانت مقيم على
معاصيه فاحذره فانما هو استدراج منه يستدرجك به وقد قال تعالى ولولا ان
يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة و
معارج عليها يظهرون ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وان
كل ذلك لمتاع الحيوة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين وقد رد الله سبحانه
على من يظن هذا الظن بقوله فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول
ربي اكرمن واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن كلا اي ليس
كل من نعمته ووسعت عليه رزقه اكون قد اكرمته ولا كل من ابتليته
وضيقت عليه رزقه اكون قد اهنته بل ابتلي هذا بالنعم [illegible] هذا بالابتلا
وفي جامع الترمذي عنه صلى الله عليه وسلم ان الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب
ولا يعطي الايمان الا من يحبه وقال بعض السلف رب مستدرج بنعم الله عليه
وهو لا يعلم ورب مغرور بستر الله عليه وهو لا يعلم ورب مفتون بثناء
الناس عليه وهو لا يعلم فصل واعظم الخلق غرورا من اغتر بالدنيا

وعاجلها

وعاجلها واثرها على الاخرة ورضي بها حتى يقول بعض هؤلاء الدنيا نقد والاخرة
نسيئة والنقد انفع من النسيئة ويقول بعضهم ذرة منقودة ولا درة
موعودة ويقول اخرون منهم لذات الدنيا متيقنة ولذات الاخرة مشكوكة
فيها ولا ادع اليقين للشك وهذا من اعظم تلبيس ابليس الشيطان وتسويله
والبهائم العجم اعقل من هؤلاء فان البهيمة اذا خافت مضرة شيء لم تقدم عليه
ولو ضربت وهؤلاء يقدم احدهم على عطبه وهو بين مصدق ومكذب فهذا
الضرب ان آمن احد منهم بالله ورسوله ولقائه والجزا فهو من اعظم الناس
حسرة يوم القيمة لانه اقدم على علم وان لم يؤمن بالله ورسوله فابعد له وقول
هذا القائل النقد خير من النسيئة فجوابه اذا تساوى النقد والنسيئة فالنقد
خير وان تفاوتا وكانت النسيئة اكثر وافضل فهي خير فكيف والدنيا
من اولها الى اخرها كنفس واحد من انفاس الاخرة كما في مسند احمد والترمذي من
حديث المستورد بن شداد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الاخرة الا
كما يدخل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع فايثار هذا النقد على هذه النسيئة
من اعظم الغبن واقبح الجهل واذا كان هذا نسبة الدنيا بمجموعها الى الاخرة فما مقدار
عمر الانسان بالنسبة الى الاخرة فايهما اولى بالعاقل ايثار العاجل في هذه
المدة اليسيرة وحرمان الخير الدائم في الاخرة ام ترك شيء حقير صغير منقطع
عن قريب لياخذ ما لا قيمة له ولا خطر له ولا نهاية لعدده ولا غاية لامده واما
قول الاخر لا اترك متيقنا لمشكوك فيه فيقال له اما ان تكون على شك من
وعد الله ووعيده وصدق رسله او تكون على يقين من ذلك فان كنت على
يقين فما تركت الا ذرة عاجلة منقطعة فانية عن قريب لامر متيقن لا شك
فيه ولا انقطاع له وان كنت على شك فراجع ايات الرب تعالى الدالة على وجوده
وقدرته ومشيئته ووحدانيته وصدق رسله فيما اخبروا به عن الله وتجرد
وقم لله ناظرا او مناظرا حتى يتبين لك انما جاءت به الرسل عن الله فهو الحق
الذي لا شك فيه وان خالق هذا العالم رب السموات والارض يتعالى ويتقدس
ويتنزه عن خلاف ما اخبرت به رسله عنه ومن نسبه الى غير ذلك فقد شتمه و

من الأخرة
بالشك نسخه
كلها
٢

وكذب به وانكر ربوبيته وملكه اذ من المحال الممتنع عند كل ذي فطرة سليمة
ان يكون الملك الحق عاجزا او جاهلا لا يعلم شيئا ولا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم
ولا يامر ولا ينهى ولا يثيب ولا يعاقب ولا يعز من يشا ولا يذل من يشا ولا
يرسل رسله الى اطراف مملكته ونواحيها ولا يعتني باحوال رعيته بل يتركهم
سدا ويخليهم هملا وهذا يقدح في ملك احاد ملوك البشر ولا يليق به فكيف
يجوز نسبة الملك الحق المبين اليه فاذا تامل الانسان حاله من مبدا كونه
نطفة الى حين كماله واستوائه تبين له ان من عنى به هذه العناية ونقله
في هذه الاحوال وصرفه في هذه الاطوار لا يليق به ان يهمله ويتركه سدى لا
يامره ولا ينهاه ولا يعرفه حقوقه عليه ولا يثيبه ولا يعاقبه ولو تامل العبد
حق التامل لكان كل ما ابصره وما لا يبصره دليلا له على التوحيد والنبوة
والمعاد وان القران كلامه وقد ذكرنا وجه الاشكال بذلك في كتاب ايمان
القران عند قوله فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم
وذكرنا طرفا من ذلك عند قوله وفي انفسكم افلا تبصرون وان الانسان دليل
بنفسه على وجوب خالقه وتوحيده وصدق رسله واثبات صفات كماله
فقد بان ان المضيع مغرور على التقديرين تقدير تصديقه وتقدير
تكذيبه وشكه فان قلت كيف يجتمع التصديق الجازم الذي لا شك فيه
بالمعاد والجنة والنار ويتخلف العمل وهل في الطباع البشرية ان يعلم
العبد انه مطلوب غدا الى بين يدي بعض الملوك ليعاقبه اشد عقوبة
او يكرمه اتم كرامة ويبيت ساهيا غافلا ولا يتذكر موقفه بين يدي الملك
ولا يستعد له ولا ياخذ له اهبته قيل هذا لعمر الله سوال صحيح وارد على
اكثر هذا الخلق واجتماع هذين الامرين من اعجب الاشيا وهذا التخلف
له عدة اسباب احدها ضعف العلم او نقصان اليقين ومن ظن ان العلم
لا يتفاوت فقوله من افسد الاقوال وابطلها وقد سال ابرهيم الخليل ربه
ان يريه احياء الموتى عيانا بعد علمه بقدرة الرب على ذلك ليزداد طمانينة
ويصير المعلوم غيبا شهادة وقد روى احمد في مسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم

انه قال

انه قال ليس المخبر كالمعاين فاذا اجتمع الى ضعف العلم عدم استحضاره
وغيبته عن القلب في كثير من اوقاته او اكثرها لاشتغاله بما يضاده او ينضم
ذلك الى تقاضي الطبع وغلبات الهوا واستيلا الشهوة وتسويل النفس وغرور
الشيطان واستبطاء الوعد وطول الامل ورقدة الغفلة وحب العاجلة ورخص
التاويل والف العوائد فهناك لا يمسك الايمان الا الذي يمسك السموات
والارض ان تزولا ولهذا السبب يتفاوت الناس في الايمان حتى ينتهي الى ادنى
مثقال ذرة في القلب وجميع هذه الاسباب ترجع الى ضعف البصيرة والبصر
ولهذا سبحانه مدح اهل البصيرة واليقين وجعلهم ائمة الدين فقال تعالى
وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا باياتنا يوقنون فصل
فقد تبين الفرق بين حسن الظن والغرور وان حسن الظن ان حمل على العمل
وحث عليه وساق اليه فهو صحيح وان دعا الى البطالة والانهماك في المعاصي فهو
غرور وحسن الظن هو الرجا فمن كان رجاوه جاذبا له على الطاعة زاجرا له عن
المعاصي فهو رجا صحيح ومن كانت بطالته رجا ورجاوه بطالة وتفريطا فهو
المغرور ولو ان رجلا كان له ارض يومل ان يعود عليه من مغلها ما ينفعه
فاهملها ولم يبذرها ولم يحرثها وحسن ظنه بانه ياتي من مغلها ما ياتي من حرث
وبذر وسقي وتعاهد الارض لعده الناس من اسفه السفهاء وكذلك لو حسن
ظنه وقوي رجاوه بان يجيه ولد من غير جماع او يصير اعلم اهل زمانه من غير طلب
العلم وحرص تام عليه وامثال ذلك وكذلك من حسن ظنه وقوي رجاوه
في الفوز بالدرجات العلى والنعيم المقيم من غير طاعة ولا تقرب الى الله بامتثال
اوامره واجتناب نواهيه وبالله التوفيق وقد قال الله تعالى ان الذين امنوا
والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله فتامل
كيف جعل رجاهم باتيانهم بهذه الطاعات وقال المغترون ان المفرطين
المضيعين حقوق الله المعطلين لاوامره الباغين على عباده المتجرين على
محارمه اولئك يرجون رحمة الله وسر المسالة ان الرجا وحسن الظن انما
يكون مع الاتيان بالاسباب التي اقتضتها حكمة الله في شرعه وقدره وثوابه وكرامته

نسخه الاستدلال

لعله وجود

ويقينه

لعله واليقين

طي الى فا المعصية

١٥

٢

فيأتي العبد بهما ثم يحسن ظنه بربه ويرجوا ان لا يكله اليهما وان يجعلهما موصلة
الى ما ينفعه ويصرف ما يعارضهما ويبطل اثرها **فصل** ومما ينبغي ان يعلم
ان من رجا شيئا استلزم رجاؤه امورا احدها حبه ما يرجوه الثاني خوفه
من فواته الثالث سعيه في تحصيله بحسب الامكان واما رجاء لا يقارنه شيء من
ذلك فهو من باب الاماني والرجا شيء والاماني شيء اخر فكل راج خائف والسائر
على الطريق اذا خاف اسرع السير مخافة الفوات **وفي** جامع الترمذي من حديث
ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خاف ادلج ومن ادلج
بلغ المنزل الا ان سلعة الله غالية الا ان سلعة الله غالية الا ان سلعة الله الجنة
وهو سبحانه كما جعل الرجا لاهل الاعمال الصالحة فكذلك جعل الخوف لاهل الاعمال
السيئة فعلم ان الرجا والخوف النافع هو ما اقترن به العمل قال تعالى ان
الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بايات ربهم يومنون والذين هم
بربهم لا يشركون والذين يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم
راجعون اولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون **وقد** روى الترمذي
في جامعه عن عائشة رضي الله عنها قالت سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه
الاية اهم الذين يشربون الخمر ويزنون ويسرقون قال لا يا بنت الصديق
ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون ويخافون ان لا يقبل منهم
اولئك الذين يسارعون في الخيرات **وقد** روي من حديث ابي هريرة رضي الله عنه
ايضا والله سبحانه وصف اهل السعادة بالاحسان مع الخوف ووصف الاشقيا
بالاساءة مع الامن ومن تامل احوال الصحابة رضي الله عنهم وجدهم في غاية العمل
مع غاية الخوف ونحن جمعنا بين التقصير بل التفريط والامن فهذا الصديق يقول
وددت اني شعرة في جنب عبد مؤمن ذكره احمد عنه وذكر عنه انه كان يمسك
بلسانه ويقول هذا الذي اوردني الموارد وكان يبكي كثيرا ويقول ابكوا فان
لم تبكوا فتباكوا وكان اذا قام الى الصلوة كانه عود من خشية الله عز وجل واتي
بطائر فقلبه ثم قال ما صيد من صيد ولا قطعت من شجرة الا بما ضيعت من
التسبيح **ولما** احتضر رضي الله عنه قال لعائشة يا بنية اني اصبت من مال المسلمين

هذه

لعله سورة والطور

هذه العباءة وهذا الحلاب وهذا العبد فاسرعي به الى ابن الخطاب **وقال** والله لوددت
اني هذه الشجرة تؤكل وتعضد **وقال** قتادة بلغني ان ابا بكر قال وددت اني خضرة
تاكلني الدواب **وهذا** عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرا سورة الطور حتى بلغ الى ان عذاب
ربك لواقع بكى واشتد بكاؤه حتى مرض وعادوه وقال لابنه وهو في الموت ويحك
ضع خدي على الارض عساه ان يرحمني ثم قال ويل امي ان لم يرحمني ثلثا ثم قضى وكان
يمر بالاية في ورده بالليل فتخنقه فيبقى في البيت اياما يعاد يحسبونه مريضا **وكان**
في وجهه رضي الله عنه خطان اسودان من البكاء وقال له ابن عباس مصر الله بك الامصار
وفتح بك الفتوح وفعل وفعل فقال وددت اني انجو لا اجر ولا وزر **وهذا** عثمان
رضي الله عنه كان اذا وقف على القبر يبكي حتى يبل لحيته وقال لو انني بين الجنة والنار
لا ادري الى ايتهما يؤمر بي لاخترت ان اكون رمادا قبل ان اعلم الى ايتهما اصير **وهذا**
علي بن ابي طالب رضي الله عنه وبكاؤه وخوفه وكان يشتد خوفه من اثنتين من طول الامل
واتباع الهوى قال اما طول الامل فينسي الاخرة واما اتباع الهوى فيصد عن الحق الا
ان الدنيا ولت مدبرة والاخرة قد اتت مقبلة ولكل واحدة بنون فكونوا
من ابناء الاخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا فان اليوم عمل ولا حساب وغدا
حساب ولا عمل **وهذا** ابو الدرداء رضي الله عنه يقول ان اشد ما اخاف على نفسي
يوم القيامة ان يقال لي يا ابا الدرداء قد علمت فكيف عملت فيما علمت **وكان** يقول
لو تعلمون ما انتم لاقون بعد الموت لما اكلتم طعاما على شهوة ولا شربتم شرابا على
شهوة ولا دخلتم بيتا تستظلون فيه ولخرجتم الى الصعيد تضربون صدوركم
وتبكون على انفسكم ولوددت اني شجرة تعضد ثم تؤكل **وكان** عبد الله بن عباس
اسفل عينيه مثل الشراك البالي من الدموع **وكان** ابو ذر يقول يا ليتني كنت شجرة
تعضد ووددت اني لم اخلق وعرضت عليه النفقة فقال عندنا عنز نحلبها واحمرة
ننقل عليها ومحرر يخدمنا وفضل عباءة واني اخاف الحساب فيها **وقرا** تميم الداري
ليلة سورة الجاثية فلما اتى على هذه الاية ام حسب الذين اجترحوا السيئات
ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات جعل يرددها ويبكي حتى اصبح **وقال** ابو
عبيدة بن الجراح وددت اني كبش فذبحني اهلي واكلوا لحمي وحسوا مرقي **وهذا**

باب يطول تتبعه قال البخاري في صحيحه باب خوف المؤمن من ان يحبط عمله وهو
لا يشعر وقال ابراهيم التيمي ما عرضت قولي على عملي الا خشيت ان اكون مكذبا وقال
ابن ابي مليكة ادركت ثلثين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق
على نفسه ما منهم احد يقول انه على ايمان جبريل وميكائيل ويذكر عن الحسن
ما خافه الا مومن ولا امنه الا منافق وكان عمر بن الخطاب يقول لحذيفة انشدك
الله هل سماني لك رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني في المنافقين فيقول لا ولا ازكي
بعدك احدا فسمعت شيخنا يقول ليس مراده انني لا ابرئ غيرك من النفاق بل
المراد لا افتح علي هذا الباب فكل من سالني هل سماني لك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فازكيه قلت وقريب من هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم للذي ساله ان يدعو له
ان يكون من سبعين الفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب سبقك بها عكاشه
ولم يرد ان عكاشه وحده احق بذلك ممن عداه من الصحابة ولكن لو دعا له
لقام اخر واخر وانفتح الباب وربما قام من لم يستحق ان يكون منهم فكان الامساك
اولى والله اعلم **فصل** فلنرجع الى ما كنا عليه من ذكر دواء الداء
الذي اذا استمر افسد دنيا العبد واخرته فمما ينبغي ان يعلم ان الذنوب تضر
ولا بد وان ضررها في القلوب كضرر السموم في الابدان على اختلاف درجاتها
في الضرر وهل في الدنيا والاخرة شر وداء الا وسببه الذنوب والمعاصي فما
الذي اخرج الابوين من الجنة دار اللذة والنعيم والبهجة والسرور الى دار
الالام والاحزان والمصائب وما الذي اخرج ابليس من ملكوت السماء
وطرده ولعنه ومسخ ظاهره وباطنه فجعلت صورته اقبح صورة واشنعها
وباطنه اقبح من صورته واشنع وبدل بالقرب بعدا وبالرحمة لعنة وبالجمال
قبحا وبالجنة نارا تلظى وبالايمان كفرا وبموالاة الولي الحميد اعظم عداوة
ومشاقة وبزجل التسبيح والتقديس والتهليل زجل الكفر والشرك والكذب
والزور والفحش وبلباس الايمان لباس الكفر والفسوق والعصيان وهان على
الله غاية الهوان وسقط من عينه غاية السقوط وحل عليه غضب الرب تعالى
فاهواه ومقته اكبر المقت فارداه وصار قوادا لكل فاسق ومجرم رضي

لنفسه

لنفسه بالقيادة بعد تلك العبادة والسيادة فعياذا بك اللهم
من مخالفة امرك وارتكاب نهيك وما الذي اغرق اهل الارض كلهم
حتى علا الماء فوق رؤس الجبال وما الذي سلط الريح على قوم عاد
حتى القتهم موتى على وجه الارض كانهم اعجاز نخل خاوية ودمرت ما
مرت عليه من ديارهم وحروثهم وزروعهم ودوابهم حتى صاروا عبرة للامم
الى يوم القيمة وما الذي ارسل على قوم ثمود الصيحة حتى قطعت قلوبهم في
اجوافهم وماتوا عن اخرهم وما الذي رفع قرى اللوطية حتى سمعت الملئكة
نبيح كلابهم ثم قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها فاهلكهم جميعا ثم اتبعهم حجارة
من السماء امطرها عليهم فجمع عليهم من العقوبة ما لم يجمعه على امة غيرهم
ولاخوانهم امثالها وما هي من الظالمين ببعيد وما الذي ارسل على قوم شعيب
سحاب العذاب كالظلل فلما صار فوق رؤسهم امطر عليهم نارا تلظى وما
الذي اغرق فرعون وقومه في البحر ثم نقلت ارواحهم الى جهنم فالاجساد للغرق
والارواح للحرق وما الذي خسف بقارون وداره وماله واهله وما الذي
اهلك القرون من بعد نوح بانواع العقوبات ودمرها تدميرا وما الذي
اهلك قوم يونس بالصيحة ثم خمدوا عن اخرهم وما الذي بعث على بني اسرائيل
قوما اولي باس شديد فجاسوا خلال الديار وقتلوا الرجال وسبوا الذرية
والنساء واحرقوا الديار ونهبوا الاموال ثم بعثهم عليهم مرة ثانية فاهلكوا
ما قدروا عليه وتبروا ما علوا تتبيرا وما الذي سلط عليهم انواع العقوبات
مرة بالقتل والسبي وخراب البلاد ومرة بجور الملوك ومرة بمسخهم قردة
وخنازير واخر ذلك اقسم الرب تبارك وتعالى ليبعثن عليهم الى يوم القيمة من
يسومهم سوء العذاب **قال** الامام احمد **حدثنا** الوليد بن مسلم **حدثنا** صفوان
ابن عمرو حدثني عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن ابيه قال لما فتحت قبرس فرق
بين اهلها فبكى بعضهم الى بعض فرايت ابا الدرداء جالسا وحده يبكي فقلت يا ابا
الدرداء ما يبكيك في يوم اعز الله فيه الاسلام واهله فقال ويحك يا جبير ما اهون

الحق على الله اذا اضاعوا امر نبيها جامعة قاهرة ظاهرة لهم الملك تركوا امر الله
وصاروا الى ما ترى وقال علي بن الجعد ثنا شعبة عن عمرو بن مرة قال سمعت ابا البختري
يقول اخبرني من سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول لن يهلك الناس حتى يعذروا
من انفسهم وفي مسند احمد من حديث ام سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول اذا ظهرت المعاصي في امتي عمهم بعذاب من عنده فقلت يا رسول
الله اما فيهم يومئذ اناس صالحون قال بلى قالت فكيف يصنع باولئك قال
يصيبهم ما اصاب الناس ثم يصيرون الى مغفرة من الله ورضوان وفي مراسيل الحسن
عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تزال هذه الامة تحت يد الله وفي كنفه ما لم يمالي قراؤها
امراءها وما لم يزك صلحاوها فجارها وما لم يهن خيارها شرارها فاذا هم
فعلوا ذلك رفع الله عنهم يده ثم سلط عليهم جبابرتهم فساموهم سوء العذاب
ثم ضربهم الله بالفاقة والفقر وفي المسند من حديث ثوبان قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وعنه ايضا عنه قال
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك ان تداعى عليكم الامم من كل افق
كما تداعى الاكلة على قصعتها قلنا يا رسول الله امن قلة بنا يومئذ قال انتم يومئذ
كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل تنزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل في قلوبكم
الوهن قالوا وما الوهن قال حب الحياة وكراهة الموت وفي المسند من حديث
انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بي مررت بقوم لهم اظفار
من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال
هؤلاء الذين ياكلون لحوم الناس ويقعون في اعراضهم وفي جامع الترمذي
من حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج في
اخر الزمان قوم يختلون الدنيا بالدين ويلبسون للناس جلود الضان
من اللين السنتهم احلى من السكر وقلوبهم قلوب الذئاب يقول الله عز وجل
ابي يغترون ام علي يجترئون فبي حلفت لابعثن على اولئك منهم فتنة تدع
الحليم منهم حيرانا وذكر ابن ابي الدنيا من حديث جعفر بن محمد عن ابيه عن جده
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتي على الناس زمان لا يبقى من الاسلام

الا

الا اسمه ولا من القران الا رسمه مساجدهم يومئذ عامرة وهي خراب من الهدى علماؤهم
شر من تحت اديم السما منهم خرجت الفتنة وفيهم تعود وذكر من حديث
سماك عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن ابيه قال اذا ظهر الزنا و
الربا في قرية اذن الله عز وجل بهلاكها ومن مراسيل الحسن اذا اظهر الناس
العلم وضيعوا العمل وتحابوا بالالسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا الارحام
لعنهم الله عز وجل عند ذلك فاصمهم واعمى ابصارهم وفي سنن ابن ماجه من حديث
عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال كنت عاشر عشرة رهط من المهاجرين عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه فقال يا معشر
المهاجرين خمس خصال واعوذ بالله ان تدركوهن ما ظهرت الفاحشة في
قوم حتى اعلنوا بها الا ابتلوا بالطاعون والاوجاع التي لم تكن في اسلافهم
الذين مضوا ولا نقص قوم المكيال والميزان الا ابتلوا بالسنين وشدة المؤنة
وجور السلطان وما منع قوم زكوة اموالهم الا منعوا القطر من السما فلولا البهائم
لم يمطروا ولا اخفر قوم العهد الا سلط عليهم عدوهم من غيرهم فاخذوا بعض ما
في ايديهم وما لم يعمل ائمتهم بما انزل الله عز وجل في كتابه الا جعل باسهم بينهم
وفي المسند والسنن من حديث عمرو بن مرة عن سالم بن ابي الجعد عن ابي عبيدة
عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من كان قبلكم
كان اذا عمل فيهم العامل بالخطيئة جاء الناهي تعذيرا فاذا كان الغد جالسه
وواكله وشاربه وكانه لم يره على خطيئة بالامس فلما راى الله عز وجل ذلك منهم
ضرب بقلوب بعضهم على بعض ثم لعنهم على لسان نبيهم داود وعيسى ابن
مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون والذي نفس محمد بيده لتامرن بالمعروف
ولتنهون عن المنكر ولتاخذن على يد السفيه ولتاطرنه على الحق اطرا او ليضربن
الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعننكم كما لعنهم وذكر ابن ابي الدنيا عن ابراهيم بن
عمرو الصنعاني قال اوحى الله الى يوشع بن نون اني مهلك من قومك اربعين الفا
من خيارهم وستين الفا من شرارهم قال يا رب هؤلاء الاشرار فما بال الاخيار
قال انهم لم يغضبوا لغضبي يعني لم يامروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر وكانوا يواكلونهم

ويثار بوبهم وذكر ابو عمرو بن عبد البر عن ابي هران قال بعث الله عز وجل ملكين
الى قرية ان دمراها بمن فيها فوجدا رجلا فيها قايما يصلي في مسجد فقالا يارب
ان فيها عبدك فلانا يصلي قال الله عز وجل دمراها ودمراه معهم فانه ما تمعر
وجهه في قط وذكر الحميدي عن سفيان بن عيينة قال حدثني سفيان بن سعيد
عن ابي مسعر ان ملكا امر ان يخسف بقرية فقال يارب ان فيها فلانا العابد فاوحى
الله عز وجل اليه ان به فابدا فانه لم يتمعر وجهه في ساعة قط وذكر ابن ابي
الدنيا عن وهب بن منبه قال لما اصاب داود الخطيئة قال يارب اغفر لي قال
قد غفرتها لك والزمت عارها بني اسرائيل قال يارب كيف وانت الحكم العدل
لا تظلم احدا اعمل انا الخطيئة ويلزم عارها غيري فاوحى الله عز وجل اليه انك
لما عملت الخطيئة لم يعجلوا عليك بالانكار وذكر ابن ابي الدنيا عن انس بن مالك
انه دخل على عائشة هو ورجل اخر فقال لها الرجل يا ام المومنين حدثينا
عن الزلزلة قالت اذا استباحوا الزنى وشربوا الخمر وضربوا بالمعازف غار
الله عز وجل في سمائه وقال للارض تزلزلي بهم فان تابوا ونزعوا و
الا هدمها عليهم قال يا ام المومنين اعذابا لهم قالت بل موعظة ورحمة
للمومنين ونكالا وعذابا وسخطا على الكافرين فقال انس ما سمعت حديثا
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اشد فرحا مني بهذا الحديث وذكر ابن ابي
الدنيا حديثا مرسلا ان الارض تزلزلت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فوضع يده عليها فقال لها اسكني فانه لم ياذن لك بعد ثم التفت الى
الصحابة فقال ان ربكم يستعتبكم فاعتبوه ثم تزلزلت بالناس على عهد
عمر بن الخطاب فقال ايها الناس ما كانت هذه الزلزلة الا من شيء
احدثتموه والذي نفسي بيده لان عادت لا اساكنكم فيها ابدا وفي مناقب
عمر لابن ابي الدنيا ان الارض تزلزلت على عهد عمر فضرب يده عليها وقال
ما لك ما لك اما انها لو كانت القيمة حدثت اخبارها سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيمة فليس فيها ذراع ولا شبر الا وهو ينطق
وذكر الامام احمد عن صفية قالت زلزلت المدينة على عهد عمر فقال ايها

الناس

الناس ما هذا ما اسرع ما احدثتم لان عادت لا اساكنكم فيها وقال
كعب انما تزلزل الارض اذا عمل فيها المعاصي فترعد فرقا من الرب جل جلاله
ان يطلع عليها وكتب عمر بن عبد العزيز الى الامصار اما بعد فان هذا
الرجف شيء يعاتب الله عز وجل به عباده وقد كتبت الى الامصار ان يخرجوا
في يوم كذا وكذا في شهر كذا وكذا فمن كان عنده شيء فليتصدق به فان
الله عز وجل يقول قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى وقولوا كما قال ادم
ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقولوا كما
قال نوح والا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين وقولوا كما قال يونس لا
اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقال الامام احمد حدثنا اسود
بن عامر حدثنا ابو بكر عن الاعمش عن عطا بن ابي رباح عن ابن عمر قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا ضن الناس بالدرهم والدينار
وتبايعوا بالعينة واتبعوا اذناب البقر وتركوا الجهاد في سبيل الله انزل
الله بهم بلاء فلا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم ورواه ابو داود باسناد
حسن وذكر ابن ابي الدنيا من حديث ابن عمر قال لقد راينا وما احد
احق بديناره ودرهمه من اخيه المسلم ولقد سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول اذا ضن الناس بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينة
وتركوا الجهاد واخذوا اذناب البقر انزل الله عليهم من السماء بلاء فلا
يرفعه حتى يراجعوا دينهم وقال الحسن ان الفتنة والله ما هي الا عقوبة
من الله عز وجل على الناس ونظر بعض انبياء بني اسرائيل الى ما يصنع بهم
بختنصر فقال بما كسبت ايدينا سلطت علينا من لا يعرفك ولا يرحمنا
وقال بختنصر لدانيال ما الذي سلطني على قومك قال عظم خطيئتك وظلم
قومي لانفسهم وذكر ابن ابي الدنيا من حديث عمار بن ياسر وحذيفة عن
النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل اذا اراد بالعباد نقمة امات الاطفال
واعقم ارحام النساء فتنزل النقمة وليس فيهم مرحوم وذكر عن مالك بن دينار
قال قرات في الحكمة يقول الله عز وجل انا الله مالك الملوك قلوب الملوك بيدي

فمن اطاعني جعلتهم رحمة عليه ومن عصاني جعلتهم نقمة عليه فلا تشغلوا
انفسكم بسب الملوك ولكن توبوا الى اعطفهم عليكم ومن مراسيل الحسن اذا اراد
الله بقوم خيرا جعل امرهم الى حكمائهم وفيهم عند سمحائهم واذا
اراد الله بقوم شرا جعل امرهم الى سفهائهم وفيهم عند بخلائهم وذكر الامام
احمد وغيره عن قتادة قال موسى يا رب انت في السماء ونحن في الارض فما علامة
غضبك من رضاك قال اذا استعملت عليكم خياركم فهو من علامة رضائي عليكم واذا
استعملت عليكم شراركم فهو من علامة سخطي عليكم وذكر ابن ابي الدنيا عن الفضيل
ابن عياض قال اوحى الله الى بعض الانبيا اذا عصاني من يعرفني سلطت عليه من لا
يعرفني وذكر ايضا من حديث ابن عمر يرفعه والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة
حتى يبعث الله امراء كذبة ووزراء فجرة واعوانا خونة وعرفاء ظلمة وقراء فسقة
سيماهم سيما الرهبان وقلوبهم انتن من الجيف اهواهم مختلفة فيفتح الله لهم
فتنة غبرا مظلمة فيتهاوكون فيها والذي نفس محمد بيده لينقض الاسلام عروة
عروة حتى لا يقال الله الله لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليسلطن
الله عليكم شراركم فليسومونكم سوء العذاب ثم يدعوا خياركم فلا يستجاب لهم لتامرن
بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليبعثن الله عليكم من لا يرحم صغيركم ولا يوقر
كبيركم وفي معجم الطبراني من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما طفف قوم كيلا ولا بخس ميزانا الا منعهم الله عز وجل القطر
وما ظهر في قوم الزنا الا ظهر فيهم الموت وما ظهر في قوم الربا الا سلط الله عليهم الجنون
ولا ظهر في قوم القتل يقتل بعضهم بعضا الا سلط الله عليهم عدوهم ولا ظهر
في قوم عمل قوم لوط الا ظهر الله فيهم الخسف وما ترك قوم الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر الا لم يرفع اعمالهم ولم يسمع دعاؤهم ورواه ابن ابي الدنيا من حديث
ابراهيم بن الاشعث عن عبد الرحمن بن زيد عن ابيه عن سعيد وفي المسند
وغيره من حديث عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد حضره النفس فعرفت في وجهه ان قد حضره شيء فما تكلم حتى توضا وخرج
فلصقت بالحجرة فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس ان الله عز وجل

يتهوكون في النهاية التهوك كالتهور وهو الوقوع في الامر بلا روية اهـ

وزنا

يقول

يقول لكم مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل ان تدعوا فلا اجيبكم وتستنصروني
فلا انصركم وتسالوني فلا اعطيكم وقال العمري الزاهد ان من غفلتك عن نفسك
واعراضك عن الله ان ترى ما يسخط الله فتتجاوزه ولا تامر فيه ولا تنهى عنه خوفا ممن
لا يملك ضرا ولا نفعا وقال من ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مخافة من المخلوقين
نزعت منه الطاعة ولو امر ولده او بعض مواليه لاستخف بحقه وذكر الامام احمد في
مسنده من حديث قيس بن ابي حازم قال قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه ايها الناس انكم
تتلون هذه الاية وانكم تضعونها على غير مواضعها يا ايها الذين امنوا عليكم
انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان
الناس اذا راوا الظالم فلم ياخذوا على يديه وفي لفظ اذا راوا المنكر فلم يغيروه اوشك
الله ان يعمهم الله بعقاب من عنده وذكر الاوزاعي عن يحيى بن ابي كثير عن ابي سلمة
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خفيت الخطيئة لم تضر الا صاحبها
واذا ظهرت فلم تغير ضرت العامة وذكر الامام احمد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
يوشك القرى ان تخرب وهي عامرة قال اذا علا فجارها ابرارها وساد القبيلة
منافقوها وذكر الاوزاعي عن حسان بن عطية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ستظهر
شرار امتي على خيارها حتى يستخفي المؤمن فيهم كما يستخفي المنافق فينا اليوم
وذكر ابن ابي الدنيا من حديث ابن عباس يرفعه قال ياتي زمان يذوب قلب المؤمن
كما يذوب الملح في الماء قيل مم ذلك يا رسول الله قال مما يرى من المنكر فلا يستطيع
تغييره وذكر الامام احمد من حديث جرير ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من قوم يعمل
فيهم المعاصي هم اعز واكثر ممن يعمله لم يغيروه الا عمهم الله بعقاب وفي صحيح البخاري
عن اسامة بن زيد رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجاء
بالرجل يوم القيمة فيلقى في النار فتندلق اقتابه في النار فيدور كما يدور الحمار
برحاه فيجتمع عليه اهل النار فيقولون اي فلان ما شانك الست كنت تنهانا
عن المنكر وتامرنا بالمعروف قال كنت امركم بالمعروف ولا اتيه وانهاكم عن المنكر
واتيه وذكر الامام احمد عن مالك بن دينار قال كان حبر من احبار بني اسرائيل
يغشى منزله الرجال والنساء فيعظهم ويذكرهم بايام الله فراى بعض بنيه يوما

لعله تدعوني

يغمز النساء فقال مهلا يا بني مهلا يا بني فسقط من سريره وانقطع نخاعه واسقطت
امرأته وقتل بنوه فأوحى الله الى نبيهم انا اخبر فلانا اني لا اخرج من صلبك صديقا
ابدا ما كان غضبك لي الا ان قلت مهلا يا بني مهلا يا بني وفي صحيح البخاري عن انس
ابن مالك قال انكم لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت فدخلت
النار لا هي اطعمتها ولا سقتها ولا تركتها تأكل من خشاش الارض وفي الحلية لابي
نعيم عن حذيفة انه قيل له في يوم واحد تركت بنو اسرائيل دينهم قال لا
ولكنهم كانوا اذا امروا بشيء تركوه واذا نهوا عن شيء ركبوه حتى انسلخوا من
دينهم كما ينسلخ الرجل من قميصه ومن ههنا قال بعض السلف المعاصي بريد
الكفر كما ان القبلة بريد الجماع والغناء بريد الزنا والنظر بريد العشق و
المرض بريد الموت وفي الحلية ايضا عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال يا صاحب
الذنب لا تأمن سوء عاقبته ولما يتبع الذنب اعظم من الذنب اذا عملته قلة
حيائك ممن على اليمين وعلى الشمال وانت على الذنب اعظم من الذنب وضحكك و
انت لا تدري ما الله صانع بك اعظم من الذنب وفرحك بالذنب اذا ظفرت به
وحزنك على الذنب اذا فاتك اعظم من الذنب وخوفك من الريح اذا حركت
ستر بابك وانت على الذنب ولا يضطرب فؤادك من نظر الله اليك اعظم من
الذنب ويحك هل تدري ما كان ذنب ايوب فابتلاه الله بالبلاء في جسده وذهاب
ماله استغاث به مسكين على ظالم يدرؤه عنه فلم يغثه ولم ينه الظالم عن ظلمه
فابتلاه الله بالبلاء في جسده وقال الامام احمد حدثنا الوليد قال سمعت الاوزاعي
يقول سمعت بلال بن سعد يقول لا تنظر الى صغر الخطيئة ولكن انظر الى من عصيت
وقال الفضيل بن عياض بقدر ما يصغر الذنب عندك يعظم عند الله وبقدر
ما يعظم عندك يصغر عند الله وقيل اوحى الله الى موسى يا موسى ان اول من مات
من خلقي ابليس وذلك انه عصاني وانما اعد من عصاني من الاموات وفي
جامع الترمذي من حديث ابي صالح عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم ان المؤمن اذا اذنب نكتت في قلبه نكتة سوداء فان تاب و
نزع واقلع واستغفر صقل قلبه وان زاد زادت حتى يعلو قلبه فذلك الران
الذي ذكره الله عز وجل كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون قال الترمذي
هذا حديث حسن صحيح وقال حذيفة اذا اذنب العبد نكتت في قلبه نكتة
سوداء حتى يصير قلبه كالشاة الربداء وقال الامام احمد حدثنا يعقوب بن
ابي صالح عن ابن شهاب حدثني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عبد الله
ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اما بعد يا معشر قريش فانكم
اهل لهذا الامر ما لم تعصوا الله فاذا عصيتموه بعث عليكم من يلحاكم كما يلحى
هذا القضيب لقضيب في يده ثم لحا قضيبه فاذا هو ابيض يصلد وذكر الامام
احمد عن وهب ان الرب عز وجل قال في بعض ما يقول لبني اسرائيل اني
اذا اطعت رضيت واذا رضيت باركت وليس لبركتي نهاية واذا عصيت
غضبت واذا غضبت لعنت ولعنتي تبلغ الولد السابع وذكر ايضا عن وكيع
حدثنا زكريا عن عامر قال كتبت عائشة الى معاوية رضي الله عنهما اما بعد فان العبد
اذا عمل بمعصية الله عاد حامده من الناس ذاما وذكر ابو نعيم عن سالم بن ابي الجعد
عن ابي الدرداء قال ليحذر امرؤ ان تلعنه قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر ثم قال
تدري مم هذا قلت لا قال ان العبد يخلو بمعاصي الله فيلقي الله بغضه في قلوب المؤمنين
من حيث لا يشعر وذكر عبد الله بن احمد في كتاب الزهد عن محمد بن سيرين
انه لما ركبه الدين اغتم لذلك فقال اني لاعرف هذا الغم بذنب اصبته منذ
اربعين سنة وههنا نكتة دقيقة يغلط فيها الناس في امر الذنب
وهي انهم لا يرون تأثيره في الحال وقد يتأخر تأثيره فينسى ويظن انه لا يغير بعد
ذلك وان الامر كما قال القائل ؛ اذا لم يغبر حائط في وقوعه ؛ فليس له بعد الوقوع غبار
وسبحان الله كم اهلكت هذه البلية من الخلق وكم ازالت من نعمة وكم
جلبت من نقمة وما اكثر المغترين بها من العلماء والفضلاء فضلا عن الجهال ولم
يعلم المغتر ان الذنب ينقض ولو بعد حين كما ينقض السم وكما ينقض الجرح
المندمل على الغش والدغل وقد ذكر الامام احمد عن ابي الدرداء اعبدوا الله كانكم

الربداء نسخة

تروينه وعد وا انفسكم مما في الموتى واعلموا ان قليلا يغنيكم خير من كثير يلهيكم واعلموا ان البر لا يبلى وان الاثم لا ينسى ونظر بعض العباد الى صبي فتامل محاسنه فاتي في منامه وقيل له لتجدن غبها بعد اربعين سنة هذا مع ان الذنب نقد معجلا لا يتاخر عنه وقال سليمان التيمي ان الرجل ليصيب الذنب في السر فيصبح وعليه مذلته وقال يحيى بن معاذ الرازي عجبت من ذي عقل يقول في دعائه اللهم لا تشمت بي الاعداء ثم هو يشمت بنفسه كل عدو له قيل وكيف ذلك قال يعصي الله فيشمت به كل عدو له يوم القيمة فصل
قال ذو النون من خان الله في السر هتك الله ستره في العلانية وللمعاصي من الاثار القبيحة المذمومة والمضرة بالقلب والبدن والدنيا والاخرة ما لا يعلمه الا الله فمنها حرمان العلم فان العلم نور يقذفه الله في القلب والمعصية تطفي ذلك النور ولما جلس الشافعي بين يدي مالك وقرا عليه اعجبه ما راى من وفور فطنته وتوقد ذكائه وكمال فهمه فقال اني ارى الله قد القى على قلبك نورا فلا تطفيه بظلمة المعصية وقال الشافعي رحمه الله

شكوت الى وكيع سوء حفظي ... فارشدني الى ترك المعاصي
وقال اعلم بان العلم نور ... ونور الله لا يوتى لعاصي

ومنها حرمان الرزق بالذنب وفي المسند ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وقد تقدم وكما ان تقوى الله مجلبة للرزق فترك التقوى مجلبة للفقر فما استجلب رزق الله بمثل ترك المعاصي ومنها وحشة يجدها العاصي في قلبه بينه وبين الله لا يوازنها ولا يقارنها لذة اصلا ولو اجتمعت له لذات الدنيا باسرها لم تف بتلك الوحشة وهذا امر لا يحس به الا من في قلبه حياة وما لجرح بميت ايلام فلو لم يترك الذنوب الا حذارا من تلك الوحشة لكان العاقل حريا بتركها واشتكى رجل الى بعض العارفين وحشة يجدها في نفسه فقال

اذا كنت قد اوحشتك الذنوب ... فدعها اذا شئت واستانس

وليس على القلب امر من وحشة الذنب على الذنب فالله المستعان ومنها الوحشة التي تحصل له بينه وبين الناس ولا سيما اهل الخير منهم فانه يجد وحشة بينه و

بينهم

بينهم وكلما قويت تلك الوحشة بعد منهم ومن مجالستهم وحرم بركة الانتفاع بهم وقرب من حزب الشيطان بقدر ما بعد من حزب الرحمن وتقوى هذه الوحشة حتى تستحكم فيقع بينه وبين امراته وولده واقاربه وبينه وبين نفسه فتراه مستوحشا من نفسه قال بعض السلف اني لاعصي الله فارى ذلك في خلق دابتي وامراتي ومنها تعسير اموره عليه فلا يتوجه لامر الا يجده مغلقا دونه او متعسرا عليه وهذا كما ان من اتقى الله جعل الله له من امره يسرا فمن عطل التقوى جعل له من امره عسرا ويا لله العجب كيف يجد العبد ابواب الخير والمصالح مسدودة عنه وطرقها معسرة عليه وهو لا يعلم من اين اتي ومنها ظلمة يجدها في قلبه حقيقة يحس بها كما يحس بظلمة الليل البهيم اذا ادلهم فتصير ظلمة المعصية لقلبه كالظلمة الحسية لبصره فان الطاعة نور والمعصية ظلمة وكلما قويت الظلمة ازدادت حيرته حتى يقع في البدع والضلالات والامور المهلكة وهو لا يشعر كاعمى خرج في ظلمة الليل يمشي وحده وتقوى هذه الظلمة حتى تظهر في العين ثم تقوى حتى تعلو الوجه وتصير سوادا فيه حتى يراه كل احد قال عبد الله بن عباس ان للحسنة ضياء في الوجه ونورا في القلب وسعة في الرزق وقوة في البدن ومحبة في قلوب الخلق وان للسيئة سوادا في الوجه وظلمة في القلب ووهنا في البدن ونقصا في الرزق وبغضة في قلوب الخلق ومنها ان المعاصي توهن القلب والبدن اما وهنها للقلب فامر ظاهر بل لا يزال يقال توهنه حتى تزيل حيوته بالكلية واما وهنها للبدن فان المؤمن قوته من قلبه وكلما قوي قلبه قوي بدنه واما الفاجر فانه وان كان قوي البدن فهو اضعف شي عند الحاجة فتخونه قوته احوج ما يكون الى نفسه وتامل قوة ابدان فارس والروم كيف خانتهم احوج ما كانوا اليها وقهرهم اهل الايمان بقوة ابدانهم وقلوبهم ومنها حرمان الطاعة فلو لم يكن للذنب عقوبة الا انه يصد عن طاعة تكون له ويقطع طريق طاعة اخرى فينقطع عليه طريق ثالثة ثم رابعة وهلم جرا فينقطع عليه طاعات كثيرة كل واحدة خير له من الدنيا وما عليها وهذا كرجل اكل اكلة اوجبت له

مرضا طويلا منعته من عدة الالات اطيب منها فالله المستعان ومنها ان المعاصي تقصر
العمر وتمحق بركته ولا بد فان البر كما يزيد في العمر فالفجور يقصر العمر وقد اختلف
الناس في هذا الموضع فقالت طائفة نقصان عمر العاصي هو ذهاب بركة عمره ومحقها
عليه وهذا حق وهو بعض تاثير المعاصي وقالت طائفة بل تنقصه حقيقة كما
تنقص الرزق فجعل الله سبحانه للبركة في الرزق اسبابا تكثره وتزيده وللبركة في العمر اسبابا
تكثره وتزيده قالوا ولا يمتنع زيادة العمر باسباب كما ينقص باسباب فالارزاق والاجال
والسعادة والشقاوة والصحة والمرض والغنا والفقر وان كانت بقضاء الرب عز وجل
فهو يقضي ما يشاء باسباب جعلها موجبة لمسبباتها مقتضية لها وقالت طائفة اخرى
تاثير المعاصي في محق العمر انما هو بان حقيقة الحيوة هو حياة القلب ولهذا جعل
الله سبحانه الكافر ميتا غير حي كما قال اموات غير احياء فالحياة في الحقيقة حيوة القلب
وعمر الانسان مدة حيوته فليس عمره الا اوقات حياته بالله فتلك ساعات عمره فالبر
والتقوى والطاعة تزيد في هذه الاوقات التي هي حقيقة عمره ولا عمر له سواها
وبالجملة فالعبد اذا اعرض عن الله واشتغل بالمعاصي ضاعت عليه ايام حياته الحقيقية
التي يجد غب اضاعتها يوم يقول يا ليتني قدمت لحياتي فلا يخلوا اما ان يكون له مع
ذلك تطلع الى مصالحه الدنيوية والاخروية والا فان لم يكن له تطلع الى ذلك فقد ضاع
عليه عمره وذهبت حيوته باطلا وان كان له تطلع الى ذلك طالت عليه الطريق بسبب
العوائق وتعسرت عليه اسباب الخيرات بسبب اشتغاله باضدادها وذلك نقصان
حقيقي وسر المسئلة ان عمر الانسان مدة حياته ولا حياة له الا باقباله على ربه والتنعم
بحبه وذكره وايثار مرضاته **فصل** ومنها ان المعاصي تزرع امثالها ويولد
بعضها بعضا حتى يعسر على العبد مفارقتها والخروج منها كما قال بعض السلف ان من
عقوبة السيئة السيئة بعدها وان من ثواب الحسنة الحسنة بعدها فالعبد
اذا عمل حسنة قالت اخرى الى جانبها اعملني ايضا فاذا عملها قالت الثالثة كذلك وهلم
جرا فتضاعف الربح وتزايدت الحسنات وكذلك جانب السيئات ايضا حتى تصير الطاعات
والمعاصي هيئات راسخة وصفات لازمة وملكات ثابتة فلو عطل المحسن الطاعة
لضاقت عليه نفسه وضاقت عليه الارض بما رحبت واحس من نفسه انه كالحوت

ومنها

نقصان عمر العاصي هو ذهاب بركة عمره

توليد المعاصي بعضها بعضا

اذا فارق

اذا فارق الماء حتى يعاودها فتسكن نفسه وتقر عينه ولو عطل المجرم المعصية
واقبل على الطاعة لضاقت عليه نفسه وضاق عليه صدره واعيت عليه مذاهبه
حتى يعاودها حتى ان كثيرا من الفساق ليواقع المعصية من غير لذة يجدها ولا داعية
اليها الا لما يجد من الالم بمفارقتها كما صرح بذلك شيخ القوم الحسن بن هاني حيث يقول

وكاس شربت على لذة ** واخرى تداويت منها بها

وقال الاخر

وكانت دوائي وهي دائي بعينها ** كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

ولا يزال العبد يعاني الطاعة
ويالفها ويحبها ويؤثرها حتى يرسل الله عز وجل عليه الشياطين فتؤزه اليها ازا فالاول
قوي جند الطاعة بالمدد فصاروا من اكبر اعوانه وهذا قوى جند المعصية بالمدد
فكانوا اعوانا عليه **فصل** ومنها وهو من اخوفها على العبد انها تضعف القلب عن
ارادته فتقوى ارادة المعصية وتضعف ارادة التوبة شيئا فشيئا الى ان تنسلخ
من قلبه ارادة التوبة بالكلية فلو مات نصفه لما تاب الى الله فياتي من الاستغفار
وتوبة الكذابين باللسان بشيء كثير وقلبه معقود بالمعصية مصر عليها عازم على
مواقعتها متى امكنته وهذا من اعظم الامراض واقربها الى الهلاك **فصل**
ومنها انه ينسلخ من القلب استقباحها فتصير له عادة فلا يستقبح من نفسه رؤية الناس
له ولا كلامهم فيه وهذا عند ارباب الفسوق هو غاية التهتك وتمام اللذة حتى
يفتخر احدهم بالمعصية ويحدث بها من لم يعلم انه عملها فيقول يا فلان عملت كذا
وكذا وهذا الضرب من الناس لا يعافون وتسد عليهم طريق التوبة وتغلق عنهم ابوابها
في الغالب كما قال النبي صلى الله عليه وسلم كل امتي معافا الا المجاهرون وان من الاجهار
ان يستر الله على العبد ثم يصبح يفضح نفسه ويقول يا فلان عملت يوم كذا وكذا
كذا وكذا فهتك نفسه وقد بات يستره ربه **ومنها** ان كل معصية من المعاصي فهي
ميراث عن امة من الامم التي اهلكها الله عز وجل فاللوطية ميراث عن قوم لوط
واخذ الحق بالزائد ودفعه بالناقص ميراث عن قوم شعيب والعلو في الارض
والفساد ميراث عن قوم فرعون والتكبر والتجبر ميراث عن قوم هود فالعاصي لابس
بعض ثياب هذه الامم وهم اعداء الله **وقد** روى عبد الله بن احمد في كتاب الزهد
لابيه عن مالك بن دينار قال اوحى الله الى نبي من انبياء بني اسرائيل قل لقومك لا يدخلوا

برحمته الملائكة تؤزه اليها ازا وتحرضه عليها وتزعجه عن فراشه ومجلسه اليها ولا يزال يالف المعاصي ويحبها ويؤثرها حتى يرسل الله عليه صح

مداخل اعدائي ولا يطعموا مطاعم اعدائي ولا يلبسوا ملابس اعدائي ولا يركبوا مراكب اعدائي فيكونوا هم اعدائي كما هم اعدائي وفي مسند احمد من حديث عبد الله ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذل والصغار على من خالف امري ومن تشبه بقوم فهو منهم **فصل** ومنها ان المعصية سبب لهوان العبد على ربه وسقوطه من عينه قال الحسن البصري هانوا عليه فعصوه ولو عزوا عليه لعصمهم فاذا هان العبد على الله لم يكرمه احد كما قال الله تعالى ومن يهن الله فما له من مكرم وان عظمهم الناس في الظاهر لحاجتهم اليهم او خوفا من شرهم فهم في قلوبهم احقر شيء واهونه **ومنها** ان العبد لا يزال يرتكب الذنب حتى يهون عليه ويصغر في قلبه وذلك علامة الهلاك فان الذنب كلما صغر في عين العبد عظم عند الله **وقد** ذكر البخاري في صحيحه عن ابن مسعود قال ان المؤمن يرى ذنوبه كانه في اصل جبل يخاف ان تقع عليه وان الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على انفه فقال به هكذا فطار **فصل** ومنها ان غيره من الناس والدواب يعود عليه شوم ذنبه فيحترق هو وغيره بشوم الذنوب والظلم **قال** ابو هريرة ان الحبارى لتموت في وكرها من ظلم الظالم **وقال** مجاهد ان البهائم تلعن عصاة بني ادم اذا اشتدت السنة وامسك المطر وتقول هذا بشوم معصية بني ادم **وقال** عكرمة دواب الارض وهوامها حتى الخنافس والعقارب يقولون منعنا القطر بذنوب بني ادم فلا يكفيه عقاب ذنبه حتى يبوا بلعنة من لا ذنب له **ومنها** ان المعصية تورث الذل ولا بد فان العز كل العز في طاعة الله تعالى قال الله تعالى من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اي فليطلبها بطاعة الله فانه لا يجدها الا في طاعته وكان في دعاء بعض السلف اللهم اعزني بطاعتك ولا تذلني بمعصيتك قال الحسن البصري انهم وان طقطقت بهم البغال وهملجت بهم البراذين ان ذل المعصية لا يفارق قلوبهم ابى الله ان يذل الا من عصاه **وقال** عبد الله بن المبارك

رايت الذنوب تميت القلوب ❊ وقد يورث الذل ادمانها ❊ وترك الذنوب حياة القلوب ❊ وخير لنفسك عصيانها ❊ وهل افسد الدين الا الملوك ❊ واحبار سوء ورهبانها

فصل

فائدة العقل نور

فصل ومنها ان المعاصي تفسد العقل فان للعقل نورا والمعصية تطفي نور العقل ولا بد اذا طفي نوره ضعف ونقص وقال بعض السلف ما عصى الله احد حتى يغيب عقله وهذا ظاهر فانه لو حضره عقله لحجزه عن المعصية وهو في قبضة الرب تعالى وتحت قهره وهو مطلع عليه وفي داره وعلى بساطه وملائكته شهود عليه ناظرون اليه وواعظ القران ينهاه وواعظ الايمان ينهاه وواعظ الموت ينهاه وواعظ النار ينهاه والذي يفوته بالمعصية من خير الدنيا والاخرة اضعاف اضعاف ما يحصل له من السرور واللذة بها فهل يقدم على الاستهانة بذلك كله والاستخفاف به ذو عقل سليم **فصل** ومنها الذنوب اذا تكاثرت طبع على قلب صاحبها فكان من الغافلين كما قال بعض السلف في قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون قال هو الذنب بعد الذنب **وقال** الحسن هو الذنب على الذنب حتى يعمي القلب وقال غيرهم لما كثرت ذنوبهم ومعاصيهم احاطت بقلوبهم واصل هذا ان القلب يصدا من المعصية فاذا زادت عليه غلب الصدا حتى يصير رانا ثم يغلب حتى يصير طبعا وقفلا وختما فيصير القلب في غشاوة وغلاف فاذا حصل له ذلك بعد الهدى والبصيرة انتكس فصار اعلاه اسفله فحينئذ يتولاه عدوه ويسوقه حيث اراد والله اعلم **فصل** ومنها ان الذنوب تدخل العبد تحت لعنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لعن على معاصي غيرها اكبر منها فهو اولى بدخول فاعلها تحت اللعنة فلعن الواشمة والمستوشمة والواصلة والمستوصلة والنامصة والمتنمصة والواشرة والمستوشرة ولعن اكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه ولعن المحلل والمحلل له ولعن السارق ولعن شارب الخمر وساقيها وعاصرها ومعتصرها وبايعها ومشتريها واكل ثمنها وحاملها والمحمولة اليه ولعن من غير منار الارض وهي اعلامها وحدودها ولعن من لعن والديه ولعن من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا يرميه بسهم ولعن المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء ولعن من ذبح لغير الله ولعن من احدث حدثا او اوى محدثا ولعن

المصورين ولعن من عمل عمل قوم لوط ولعن من سب اباه وامه ولعن من اضل اعمى
عن الطريق ولعن من اتى بهيمة ولعن من وسم دابة في وجهها ولعن من ضار مسلما
او مكر به ولعن زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج ولعن من
افسد امراة على زوجها او مملوكا على سيده ولعن من اتى امراة في دبرها واخبر
ان من اشار الى اخيه بحديدة فان الملائكة تلعنه ولعن من سب الصحابة وقد
لعن الله من افسد في الارض وقطع رحمه واذاه واذى رسوله ولعن من كتم
ما انزل الله سبحانه من البينات والهدى ولعن الذين يرمون المحصنات الغافلات
المؤمنات بالفاحشة ولعن من جعل سبيل الكافر اهدى من سبيل المسلم ولعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل الذي يلبس لبس المراة والمراة التي تلبس لبسة
الرجل ولعن الراشي والمرتشي والرائش وهو الواسطة في الرشوة ولعن على
اشياء اخر غير هذه فلو لم يكن في فعل ذلك الا رضا فاعله بان يكون ممن يلعنه
الله ورسوله وملائكته لكان في ذلك ما يدعو الى تركه **فصل** ومنها حرمان
دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوة الملائكة فان الله سبحانه وتعالى امر نبيه ان
يستغفر للمؤمنين والمؤمنات وقال تعالى الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون
بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين امنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة
وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وادخلهم
جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم انك
انت العزيز الحكيم وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته فهذا
دعاء الملائكة للمؤمنين التائبين المتبعين لكتابه وسنة رسوله الذين لا سبيل
لهم غيرهما فلا يطمع غير هؤلاء باجابة الدعوة اذا لم يتصف بصفات المدعو له
فصل ومن عقوبات المعاصي ما رواه البخاري في صحيحه من حديث
سمرة بن جندب قال كان النبي صلى الله عليه وسلم فيما يكثر ان يقول لاصحابه هل
راى احد منكم البارحة رؤيا فيقص عليه ما شاء الله ان يقص وانه قال لنا ذات
غداة انه اتاني الليلة اتيان وانهما ابتعثاني وانهما قالا لي انطلق واني انطلقت
معهما وانا اتينا على رجل مضطجع واذا اخر قائم عليه بصخرة واذا هو يهوي بالصخرة لـ

[في الحاشية: ومن باتت مهاجرة لفراش زوجها فلعنتها الملائكة حتى تصبح ولعن من انتسب لغير ابيه واخبر صح]
[في الحاشية: المؤمنين]

راسه فيثلغ راسه فيتدهده الحجر ههنا فيتبع الحجر فياخذه فلا يرجع اليه
حتى يصح راسه كما يكون ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل المرة الاولى قال
قلت لهما سبحان الله ما هذا قالا لي انطلق فانطلقنا فاتينا على رجل مستلق لقفاه
واذا اخر قائم عليه بكلاب من حديد واذا هو ياتي احد شقي وجهه فيشرشر
شدقه الى قفاه ومنخره الى قفاه وعينه الى قفاه ثم يتحول الى الجانب الاخر فيفعل
به مثل ما فعل بالجانب الاول فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان
ثم يعود عليه فيفعل مثل ما فعل في المرة الاولى قال قلت سبحان الله ما هذان قالا
لي انطلق فانطلقنا فاتينا على مثل التنور واذا فيه لغط واصوات قال فاطلعنا
فيه فاذا فيه رجال ونساء عراة واذا هم ياتيهم لهب من اسفل منهم فاذا اتاهم ذلك
اللهب ضوضوا فقال قلت من هؤلاء فقالا لي انطلق قال فانطلقنا فاتينا على نهر
احمر مثل الدم فاذا في النهر رجل سابح يسبح واذا رجل على شط النهر قد جمع عنده
حجارة كثيرة واذا ذلك السابح يسبح ما سبح ثم ياتي ذلك الذي جمع عنده الحجارة
فيفغر فاه له فيلقمه حجرا فينطلق فيسبح ثم يرجع اليه كلما رجع اليه فغر له فالقمه
حجرا قلت ما هذان قالا لي انطلق فانطلقنا فاتينا على رجل كريه المنظر وكاكره
ما انت راء رجلا مراه واذا هو عنده نار يحشها ويسعى حولها قال قلت لهما
ما هذا قالا لي انطلق فانطلقنا على روضة معتمة اي مظلمة فيها من كل نور الربيع
واذا بين ظهري الروضة رجل طويل لا اكاد ارى راسه طولا في السماء واذا حول
الرجل من اكثر ولدان رايتهم قط قال قلت ما هذا ما هؤلاء قال قالا لي انطلق
انطلق فانطلقنا فاتينا الى دوحة شجرة كبيرة عظيمة لم ار دوحة قط اعظم
منها ولا احسن قال قالا لي ارق فيها فارتقينا فيها الى مدينة مبنية بلبن
من ذهب ولبن من فضة قال فاتينا باب المدينة فاستفتحنا ففتح لنا فدخلناها
فتلقانا رجال شطر خلقهم كاحسن ما انت راء وشطر كاقبح ما انت راء
قال قالا لهم اذهبوا فقعوا في ذلك قال واذا نهر معترض يجري كان ماؤه المحض
في البياض فذهبوا فوقعوا فيه ثم رجعوا الينا وقد ذهب ذلك السوء عنهم قال
قلت ما هذا قال قالا لي هذه جنة عدن وهذا منزلك قال فسما بصري صعدا فاذا

[في الحاشية: انطلق صح بكلوب]
[في الحاشية: انطلق صح]
[في الحاشية: انطلق]
[في الحاشية: انطلق م]
[في الحاشية: انطلق م]
[في الحاشية: منهم صح]

قال قلت لهما بارك الله فيكما فذراني
قصر مثل الربابة البيضا قال قالا لي هذا منزلك
فادخله قالا اما الان فلا وانت داخله قال قلت لهم فاني رايت منذ اليوم عجبا
فما هذا الذي رايت قال قالا لي اما انا سنخبرك اما الرجل الاول الذي اتيت عليه
الذي يثلغ راسه بالحجر فانه الرجل ياخذ القران فيرفضه وينام عن الصلاة
المكتوبة اما الرجل الذي اتيت عليه يشرشر شدقه الى قفاه ومنخره الى قفاه
وعينه الى قفاه فانه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الافاق
واما الرجال والنساء العراة الذين هم في مثل بناء التنور فانهم الزناة
والزواني واما الرجل الذي اتيت عليه يسبح في النهر ويلقم الحجارة فانه
اكل الربا واما الرجل الكريه المنظر الذي عند النار يحشها ويسعى حولها
فانه مالك خازن النار واما الرجل الطويل الذي في الروضة فانه ابراهيم واما
الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة وفي رواية البرقاني ولد
على الفطرة فقال بعض المسلمين يا رسول الله واولاد المشركين فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم واولاد المشركين واما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن و
شطر منهم قبيح فانهم قوم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا تجاوز الله عنهم

بلغ

فصل واما اثار الذنوب والمعاصي انها تحدث في الارض انواعا من الفساد
في المياه والهوى والزرع والثمار والمساكن قال تعالى ظهر الفساد في البر والبحر
بما كسبت ايدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون قال مجاهد
اذا ولي الظالم سعى في الظلم والفساد فيحبس الله بذلك القطر فيهلك الحرث والنسل
والله لا يحب الفساد ثم قرا ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس
ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون ثم قال اما والله ما هو بحركم
هذا ولكن كل قرية على ماء جار فهو بحر وقال عكرمة ظهر الفساد في البر والبحر
اما اني لا اقول لكم بحركم هذا ولكن كل قرية على ماء وقال قتادة اما البر فاهل
العمود واما البحر فاهل القرى والريف قلت قد سمى الله تعالى الماء العذب بحرا
فقال تعالى وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج
وليس في العالم بحر حلو واقف وانما هي الانهار الجارية باسم تلك المياه الجارية

وقال ابن زيد

وقال ابن زيد ظهر الفساد في البر والبحر قال الذنوب قلت اراد ان الذنوب
سبب الفساد الذي ظهر وان اراد ان الفساد الذي ظهر هو الذنوب نفسها
فيكون قوله ليذيقهم لام العاقبة والتعليل وعلى الاول فالمراد بالفساد
النقص والشر والالام التي يحدثها الله في الارض عند معاصي العباد فكلما احدثوا
ذنبا احدث الله لهم عقوبة كما قال بعض السلف كلما احدثتم ذنبا احدث
الله لكم عقوبة من سلطانه والظاهر والله اعلم ان الفساد المراد به الذنوب و
موجباتها ويدل عليه قوله ليذيقهم بعض الذي عملوا فهذا حالنا وانما
اذاقنا الشي اليسير من اعمالنا ولو اذاقنا كل اعمالنا لما ترك على ظهرها من دابة
ومن تاثير المعاصي في الارض ما يحل بها من الخسف والزلازل ويمحق بركتها
وقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ديار ثمود فمنعهم من دخول ديارهم
وشرب مياههم ومن الاستقاء من ابارهم حتى امر ان تعلف العجين الذي
عجن بمائهم النواضح لتاثير شوم المعصية في الماء وكذلك تاثير شوم الذنوب
في نقص الثمار وما ترمى به من الافات وقد ذكر الامام احمد في مسنده في ضمن
حديث قال وجد في خزائن بني امية حنطة الحبة بقدر نواة التمر وهي في
صرة مكتوب عليها هذا كان في زمن العدل وكثير من هذه الافات احدثها
الله سبحانه بما احدث العباد من الذنوب واخبرني جماعة من شيوخ
الصحرا انهم كانوا يعهدون الثمار اكبر مما هي الان وكثير من هذه الافات التي
تصيبها لم يكونوا يعرفونها وانما حدثت من قرب واما تاثير الذنوب في الصور
والخلق فقد روى الترمذي في جامعه عنه صلى الله عليه وسلم انه قال خلق الله ادم و
طوله في السما ستون ذراعا فلم يزل الخلق ينقص حتى الان فاذا طهر الله سبحانه
الارض من الظلمة والفجرة والخونة ويخرج عبدا من عباده من اهل بيت نبيه صلى
الله عليه وسلم فيملا الارض قسطا كما ملئت جورا ويقتل المسيح اليهود والنصارى
ويقيم الدين الذي بعث الله به رسوله وتخرج الارض بركتها وتعود كما كانت حتى
ان العصابة من الناس ليأكلون الرمانة ويستظلون بقحفها ويكون العنقود
من العنب وقر بعير ولبن اللقحة الواحدة يكفي الفيام من الناس وهذا لان الارض

وفيها

ينبت صح

لما طهرت من المعاصي حفظت فيها آثار البركة من الله التي محقتها الذنوب والكفر
ولا ريب أن العقوبات التي أنزلها الله في الأرض بقيت آثارها سارية في
الأرض تطلب ما يشاكلها من الذنوب التي هي آثار تلك الجرائم التي عذبت
بها الأمم فهذه الآثار في الأرض من آثار تلك العقوبات كما أن هذه المعاصي
من آثار تلك الجرائم فتناسبت حكمة الله الكوني أولا وآخرا وكان العظيم من
العقوبة للعظيم من الجناية والأخف للأخف وهذا يحكم الله سبحانه بين خلقه
في دار البرزخ ودار الجزاء وتأمل مقارنة الشيطان ومحله وداره فإنه لما
قارن العبد واستولى عليه نزعت البركة من عمره وعمله وقوله ورزقه ولما
أثرت طاعته في الأرض ما أثرت نزعت البركة من كل محل ظهرت فيه طاعته
وكذلك مسكنه لما كان الجحيم لم يكن هناك شيء من الروح والرحمة والبركة

فصل ومن عقوبات الذنوب أنها تطفي من القلب نار الغيرة التي
هي لحياته وصلاحه كالحرارة الغريزية لحياة جميع البدن فالغيرة حرارته وناره
التي تخرج ما فيه من الخبث والصفات المذمومة كما يخرج الكير خبث الحديد
والفضة والذهب وأشرف الناس وأعلاهم قدرا وهمة أشدهم غيرة على
نفسه وخاصته وعموم الناس ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم أغير الخلق على
الأمة والله سبحانه أشد غيرة منه كما ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال
أتعجبون من غيرة سعد لأنا أغير منه والله أغير مني وفي الصحيح أيضا عنه
أنه قال في خطبة الكسوف يا أمة محمد ما أحد أغير من الله أن يزني عبده
أو تزني أمته وفي الصحيح أيضا عنه أنه قال لا أحد أغير من الله من أجل ذلك
حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا أحد أحب إليه العذر من الله عز وجل
من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين ولا أحد أحب إليه المدح من الله
عز وجل من أجل ذلك أثنى على نفسه فجمع في هذا الحديث بين الغيرة التي
أصلها كراهة القبائح وبغضها ومحبة العذر الذي يوجب كمال العدل
والرحمة والإحسان والله سبحانه مع شدة غيرته يحب أن يعتذر إليه عبده
ويقبل عذر من اعتذر إليه وأنه لا يؤاخذ عبيده بارتكاب ما يغار من

ارتكابه

ارتكابه حتى يعتذر إليهم ولأجل ذلك أرسل رسله وأنزل كتبه إعذارا
وإنذارا وهذا غاية المجد والإحسان ونهاية الكمال فإن كثيرا ممن يشتد
غيرته من المخلوقين تحمله شدة الغيرة على سرعة الإيقاع والعقوبة
من غير إعذار منه ومن غير قبول العذر ممن اعتذر إليه بل يكون له
في نفس الأمر عذرا ولا تدعه شدة الغيرة أن يقبل عذره وكثير ممن يقبل
المعاذير فيحمله على قبولها قلة الغيرة حتى يتوسع في طرق المعاذير ويرى
عذرا ما ليس بعذر حتى يعذر كثيرا منهم بالقدر وكل منهما غير ممدوح
على الإطلاق وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن من الغيرة ما يحبها
الله ومنها ما يبغضها الله فالتي يبغضها الله الغيرة في غير ريبة وذكر الحديث
وإنما الممدوح اقتران الغيرة بالعذر فيغار في محل الغيرة ويعذر في محل
العذر ومن كان هكذا فهو الممدوح حقا ولما جمع سبحانه صفات
الكمال كلها كان أحق بالمدح من كل أحد ولا يبلغ أحد أن يمدحه كما ينبغي
له بل هو كما مدح نفسه وأثنى على نفسه فالغيور قد وافق ربه
سبحانه في صفة من صفاته ومن وافق الله سبحانه في صفة من صفاته قادته
تلك الصفة إليه بزمامه فأدخلته على ربه وأدنته منه وقربته من رحمته
وصيرته محبوبا له فإنه سبحانه وتعالى رحيم يحب الرحماء كريم يحب الكرماء عليم
يحب العلماء قوي يحب المؤمن القوي وهو أحب إليه من المؤمن
الضعيف حيي يحب أهل الحياء جميل يحب الجمال وتر يحب أهل الوتر ولو
لم يكن في الذنوب والمعاصي إلا أنها توجب لصاحبها ضد هذه الصفات
وتمنعه من الاتصاف بها لكفاها عقوبة فإن الخطرة تنقلب وسوسة والوسوسة
تصير إرادة والإرادة تقوى فتصير عزيمة ثم تصير فعلا ثم تصير صفة لازمة
وهيئة ثابتة راسخة وحينئذ يتعذر الخروج منها كما يتعذر عليه الخروج
من صفاته القائمة به والمقصود أنه كلما اشتدت ملابسته للذنوب أخرجت
من القلب الغيرة على نفسه وأهله وعموم الناس وقد تضعف في القلب
جدا حتى لا يستقبح بعد ذلك القبيح لا من نفسه ولا من غيره وإذا وصل إلى هذا

لعله أحق

ملابست

لعله القائمة

الحد فقد دخل في باب الهلاك فكثير من هولاء لا يقتصر على عدم الاستقباح
بل يحسن الفواحش والظلم لغيره ويزينه له ويدعو اليه ويحثه عليه
ويسعى له في تحصيله ولهذا كان الديوث اخبث خلق الله والجنة
حرام عليه وكذلك محلل الظلم والبغي لغيره ومزينه فانظر ما الذي حملت عليه
قلة الغيرة وهذا يدلك على ان اصل الدين الغيرة ومن لا غيرة له لا دين له فالغيرة
تحمي القلب فتحمي له الجوارح فتدفع السوء والفواحش وعدم الغيرة تميت
القلب فتموت الجوارح فلا يبقى عندها دفع البتة ومثل الغيرة في القلب
مثل القوة التي تدفع المرض وتقاومه فاذا ذهبت القوة وجد الداء المحل
قابلا ولم يجد دافعا فتمكن فكان الهلاك ومثلها مثل صياصي الجاموس التي
يدفع بها عن نفسه وولده فاذا كسرت طمع فيه عدوه **فصل** ومن
عقوباتها ذهاب الحياء الذي هو مادة حياة القلب وهو اصل كل خير
وذهابه ذهاب الخير اجمعه **وفي** الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الحياء
خير كله **وقال** ان مما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع
ما شئت **وفيه** تفسيران احدهما انه على التهديد والوعيد والمعنى من لم يستح
فانه يصنع ما يشاء من القبائح اذ الحامل على تركها الحيا فاذا لم يكن هناك
حياء يزعه عن القبائح فانه يواقعها وهذا تفسير ابي عبيد **الثاني** ان الفعل
اذا لم تستح فيه من الله فافعله وانما الذي ينبغي تركه ما يستحيى فيه من الله وهذا
تفسير الامام احمد في رواية ابن هاني فعلى الاول يكون تهديدا كقوله اعملوا
ما شئتم وعلى الثاني يكون اذنا واباحة فان قيل فهل من سبيل الى حمله على المعنيين
قلت لا ولا على قول من يحمل المشترك على جميع معانيه لما بين الاباحة والتهديد
من المنافاة ولكن اعتبار احد المعنيين يوجب اعتبار الاخر والمقصود ان الذنوب
تضعف الحيا من العبد حتى ربما انسلخ منه بالكلية حتى انه ربما لا يتاثر بعلم الناس
بسوء حاله ولا باطلاعهم عليه بل كثير منهم يخبر عن حاله وقبح ما يفعله والحامل له
على ذلك انسلاخه من الحيا واذا وصل العبد الى هذه الحالة لم يبق في اصلاحه مطمع
واذا راى ابليس طلعة وجهه حيا وقال فديت من لا يفلح والحيا مشتق من الحياة و

اي قرون الجاموس اهـ

بلغ

الغيث

والغيث يسمى حيا بالقصر لان به حياة الارض والنبات والدواب وكذلك بالحياء
حياة الدنيا والاخرة فمن لا حياة فيه ميت في الدنيا شقي في الاخرة وبين الذنوب
وبين قلة الحيا وعدم الغيرة تلازم من الطرفين وكل منهما يستدعي الاخر ويطلبه
حثيثا ومن استحى من الله عند معصيته استحى الله من عقوبته يوم يلقاه ومن
لم يستحي من معصيته لم يستحي الله من عقوبته **فصل** ومن عقوبات الذنوب
انها تضعف في القلب تعظيم الرب جل جلاله وتضعف وقاره في قلب العبد
ولا بد شاء ام ابى ولو تمكن وقار الله وعظمته في قلب العبد لما تجرا على معصيته
وربما اغتر المغتر وقال انما يحملني على المعاصي حسن الرجا وطمعي في عفوه لا ضعف
عظمته في قلبي وهذا من مغالطة النفس فان عظمة الله وجلاله في قلب العبد
وتعظيم حرماته تحول بينه وبين الذنوب فالمجترئون على المعاصي ما قدروا الله حق
قدره وكيف قدره حق قدره او يعظمه او يكبره ويرجو وقاره ويجله من يهون
عليه امره ونهيه وهذا من امحل المحال وابين الباطل وكفى بالعاصي عقوبة ان
يضمحل من قلبه تعظيم الله جل جلاله وتعظيم حرماته ويهون عليه ومن بعض عقوبة
هذا ان يرفع الله عز وجل مهابته من قلوب الخلق ويهون عليهم ويستخفون به
كما هان عليه امره واستخف به فعلى قدر محبة العبد لله يحبه الناس وعلى قدر
خوفه من الله يخافه الخلق وعلى قدر تعظيمه لله وحرماته يعظم الناس حرماته
وكيف ينتهك عبد حرمات الله ويطمع ان لا ينتهك الناس حرماته ام كيف يهون
عليه حق الله ولا يهونه الله على الناس ام كيف يستخف بمعاصي الله ولا يستخفه
الخلق وقد اشار سبحانه الى هذا في كتابه عند ذكر عقوبات الذنوب وانه اركس
اهلها بما كسبوا وغطى على قلوبهم وطبع عليها بذنوبهم وانه نسيهم كما نسوه
واهانهم كما اهانوا دينه وضيعهم كما ضيعوا امره ولهذا قال تعالى في اية سجود
المخلوقات له ومن يهن الله فما له من مكرم فانهم لما هان عليهم السجود له و
استخفوا به ولم يفعلوه اهانهم فلم يكن لهم من مكرم بعد ان اهانهم ومن ذا
يكرم من اهانه الله او يهين من اكرمه الله **فصل** ومن عقوباتها انها
تستدعي نسيان الله لعبده وتركه وتخليته بينه وبين نفسه وشيطانه وهناك

لعله حياء

حقه

الهلاك الذي لا يرجى معه نجاة قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله و
لتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ولا تكونوا
كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون فامر بتقواه و
نهى ان يتشبه عباده المؤمنون بمن نسيه بترك تقواه واخبر انه عاقب من
ترك التقوى بان انساه نفسه اي انساه مصالحها وما ينجيها من عذابه وما
يوجب له الحياة الابدية وكمالها وسرورها ونعيمها فانساه ذلك كله جزاء
بما نسيه من عظمته وخوفه والقيام بامره فترى العاصي مهملا لمصالح نفسه
مضيعا لها قد اغفل الله قلبه عن ذكره واتبع هواه وكان امره فرطا قد انفرطت
عليه مصالح دنياه واخرته وقد فرط في سعادته الابدية واستبدل بها ادنى ما
يكون من لذة ٤ انما هي سحابة صيف او خيال طيف ٤ احلام نوم او كظل زائل ٤
ان اللبيب بمثلها لا يخدعوا ٤ واعظم العقوبات نسيان العبد لنفسه واهماله
لها واضاعته حظها ونصيبها من الله وبيعها ذلك بالغبن والهوان وابخس الثمن
فضيع من لا غنى له عنه ولا عوض له منه واستبدل به من عنه كل الغنى ومنه كل العوض
من كل شيء اذا ضيعته عوض ٤ وما من الله اذا ضيعته عوض ٤ فانه سبحانه
يعوض عن كل شيء ما سواه ولا يعوض منه شيء ويغني عن كل شيء ولا يغني عنه شيء و
يمنع من كل شيء ولا يمنع منه شيء ويجير من كل شيء ولا يجير منه شيء فكيف يستغني
العبد عن طاعة من هذا شانه طرفة عين وكيف ينسى ذكره ويضيع امره حتى
ينسيه نفسه فيخسرها ويظلمها اعظم الظلم فما ظلم العبد ربه ولكن ظلم نفسه
وما ظلم ربه ولكن هو الذي ظلم نفسه **فصل** ومن عقوباتها انها تخرج العبد
من دائرة الاحسان وتمنعه ثواب المحسنين فان الاحسان اذا باشر القلب منعه
من المعاصي فان من عبد الله كانه يراه لم يكن ذلك الا لاستيلاء ذكره ومحبته وخوفه
ورجائه على قلبه بحيث يصير كانه يشاهده وذلك يحول بينه وبين ارادة المعصية
فضلا عن مواقعتها فاذا خرج من دائرة الاحسان فاته صحبة رفقته الخاصة
وعيشهم الهني ونعيمهم التام فان اراد الله به خيرا اقره في دائرة عموم المؤمنين فان
عصاه بالمعاصي التي تخرجه من دائرة عموم الايمان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يزني

الزاني

الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا
يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع اليه
فيها الناس ابصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن فاياكم اياكم والتوبة معروضة بعد
خرج من دائرة الايمان وفاته رفقة المؤمنين وحسن دفاع الله عنهم فان الله يدافع
عن الذين امنوا وفاته كل خير رتبه الله في كتابه على الايمان وهو نحو مائة خصلة كل
خصلة منها خير من الدنيا وما فيها فمنها الاجر العظيم وسوف يؤت الله المؤمنين
اجرا عظيما **ومنها** الدفع عنهم شرور الدنيا والاخرة ان الله يدافع عن الذين امنوا
ومنها استغفار حملة العرش لهم الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد
ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين امنوا **ومنها** موالاة الله لهم ولا يذل
من والاه الله قال الله عز وجل الله ولي الذين امنوا **ومنها** امره ملائكته بتثبيتهم
اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين امنوا **ومنها** ان لهم الدرجات
العلى عند ربهم والمغفرة والرزق الكريم **ومنها** العزة ولله العزة ولرسوله
وللمؤمنين **ومنها** معية الله لاهل الايمان وان الله لمع المؤمنين **ومنها** الرفعة في
الدنيا والاخرة يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات **ومنها**
اعطاؤهم كفلين من رحمته واعطاؤهم نورا يمشون به ومغفرة ذنوبهم **ومنها**
الود الذي يجعله الله لهم وهو انه يحبهم ويحببهم الى ملائكته وانبيائه
وعباده الصالحين **ومنها** امانهم من الخوف يوم يشتد الخوف فمن امن وعمل صالحا
فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون **ومنها** انهم المنعم عليهم الذين امرنا ان نسأله ان
يهدينا الى صراطهم في كل يوم وليلة سبع عشرة مرة **ومنها** ان القران انما هو هدى
لهم وشفاء قل هو للذين امنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في اذانهم وقر وهو
عليهم عمى اولئك ينادون من مكان بعيد والمقصود ان الايمان سبب جالب لكل
خير وكل خير في الدنيا والاخرة فسببه الايمان وكل شر في الدنيا والاخرة فسببه عدم
الايمان فكيف يهون على العبد ان يرتكب شيئا يخرجه من دائرة الايمان ويحول بينه
وبينه ولكن لا يخرجه من دائرة عموم المسلمين فان استمر على الذنوب واصر عليها
خيف عليه ان يرين على قلبه فيخرجه عن الاسلام بالكلية ومن ها هنا اشتد خوف

خوف السلف كما قال بعضهم انتم تخافون الذنوب وانا اخاف الكفر **فصل**
ومن عقوباتها انها تضعف سير القلب الى الله تعالى والدار الاخرة او تعوقه او
توقفه وتقطعه عن السير فلا تدعه يخطو الى الله تعالى خطوة هذا ان لم ترده عن
وجهه الى ورائه فالذنب يحجب الواصل ويقطع السائر وينكس الطالب والقلب
انما يسير الى الله بقوته فاذا مرض بالذنوب ضعفت تلك القوة التي تسيره فان
زالت بالكلية انقطع عن الله انقطاعا يبعد تداركه والله المستعان فالذنب اما
يميت القلب او يمرضه مرضا مخوفا او يضعف قوته ولا بد حتى ينتهي ضعفه الى الاشياء
الثمانية التي استعاذ منها النبي صلى الله عليه وسلم وهي الهم والحزن والعجز والكسل
والجبن والبخل وضلع الدين وقهر الرجال وكل اثنين منها قرينان فالهم
والحزن قرينان فان المكروه الوارد على القلب ان كان من امر مستقبل يتوقعه احدث
الهم وان كان من امر ماض قد وقع احدث الحزن والعجز والكسل قرينان فان تخلف
العبد عن اسباب الخير والفلاح ان كان لعدم قدرته فهو العجز وان كان لعدم ارادته
فهو الكسل والجبن والبخل قرينان فان عدم النفع منه ان كان ببدنه فهو الجبن
وان كان بماله فهو البخل وضلع الدين وقهر الرجال قرينان فان استعلاء الغير
عليه ان كان بحق فهو من ضلع الدين وان كان بباطل فهو من قهر الرجال
والمقصود ان الذنوب من اقوى الاسباب الجالبة لهذه الثمانية كما انها من
اقوى الاسباب الجالبة لجهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الاعداء
ومن اقوى الاسباب الجالبة لزوال نعم الله وتحول عافيته وفجاءة نقمته وجميع
سخطه **فصل** ومن عقوبات الذنوب انها تزيل النعم وتحل النقم فما زالت
عن العبد نعمة الا بذنب ولا حلت به نقمة الا بذنب كما قال علي بن ابي طالب كرم الله
وجهه ما نزل بلاء الا بذنب ولا رفع بلاء الا بتوبة وقد قال تعالى وما اصابكم من
مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وقال تعالى ذلك بان الله لم يك
مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم واخبر تعالى انه لا يغير نعمة
انعمها على احد حتى يكون هو الذي يغير ما بنفسه فيغير طاعة الله بمعصيته
وشكره بكفره واسباب رضاه باسباب سخطه فاذا غير غير عليه جزاء وفاقا وما

ربك

ربك بظلام للعبيد فان غير المعصية بالطاعة غير الله عليه العقوبة بالعافية
والذل بالعز وقال تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا
اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال وفي بعض الاثار الالهية
عن الرب تبارك وتعالى انه قال وعزتي وجلالي لا يكون عبد من عبيدي على ما احب
ثم ينتقل عنه الى ما اكره الا انتقلت له مما يحب الى ما يكره ولا يكون عبد من عبيدي
على ما اكره ثم ينتقل عنه الى ما احب الا انتقلت له مما يكره الى ما يحب وقد احسن القائل
حيث يقول:

اذا كنت في نعمة فارعها * فان المعاصي تزيل النعم
وحطها بطاعة رب العباد * فرب العباد سريع النقم
واياك والظلم مهما استطعت * فظلم العباد شديد الوخم
وسافر بقلبك بين الورى * لتبصر اثار من قد ظلم
فتلك مساكنهم بعدهم * شهود عليهم ولا تتهم
وما كان شيء عليهم اضر * من الظلم وهو الذي قد قصم
فكم تركوا من جنان ومن * قصور واخرى عليهم اطم
صلوا بالجحيم وفات النعيم * وكان الذي نالهم كالحلم

فصل ومن عقوباتها ما يلقيه الله سبحانه من الرعب والخوف في قلب
العاصي فلا تراه الا خائفا مرعوبا فان الطاعة حصن الله الاعظم الذي من دخله
كان من الامنين من عقوبة الدنيا والاخرة ومن خرج عنه احاطت به المخاوف
من كل جانب فمن اطاع الله انقلبت المخاوف في حقه امانا ومن عصاه
انقلب مامنه مخاوف فلا تجد العاصي الا وقلبه كانه بين جناحي طائر ان حركت
الريح الباب قال جاء الطلب وان سمع وقع قدم خاف ان يكون نذيرا بالعطب
يحسب كل صيحة عليه وكل مكروه قاصدا اليه فمن خاف الله امنه من كل شيء ومن
لم يخف الله اخافه الله من كل شيء

بذا قضى الله بين الخلق مذ خلقوا * ان المخاوف والاجرام في قرن

ومن عقوباتها انها توقع الوحشة العظيمة في القلب فيجد المذنب نفسه مستوحشة
قد وقعت الوحشة بينه وبين ربه وبينه وبين الخلق وبينه وبين نفسه

وكلما كثرت الذنوب اشتدت الوحشة وامر العيش عيش المستوحشين الخائفين
واطيب العيش عيش المستانسين فلو نظر العاقل ووازن بين لذة المعصية
وما توقعه من الخوف والوحشة لعلم سوء حاله وعظم غبنه اذ باع انس
الطاعة وامنها وحلاوتها بوحشة المعصية وما توجبه من الخوف شعر
فان كنت قد اوحشتك الذنوب ؛ فدعها اذا شئت واستانسي ؛
وسر المسئلة ان الطاعة توجب القرب من الرب وكلما اشتد القرب من الرب
قوي الانس والمعصية توجب البعد من الرب وكلما زاد البعد من الرب قويت
الوحشة ولهذا يجد العبد وحشة بينه وبين عدوه للبعد الذي بينهما
فان كان ملابسا قريبا منه ويجد انسا قريبا بينه وبين من يحب وان كان بعيدا
عنه والوحشة سببها الحجاب وكلما غلظ الحجاب زادت الوحشة فالغفلة
توجب الوحشة واشد منها وحشة المعصية واشد منها وحشة الشرك
والكفر ولا تجد احدا يلابس شيئا من ذلك ويعلوه من الوحشة بحسب ما لابسه منه
فتعلو الوحشة وجهه وقلبه فيستوحش ويستوحش منه فصل
ومن عقوباتها انها تصرف القلب عن صحته واستقامته الى مرضه وانحرافه
فلا يزال مريضا معلولا لا ينتفع بالاغذية التي بها حياته وصلاحه فان تاثير
الذنوب في القلوب كتاثير الامراض في الابدان بل الذنوب امراض القلوب
وادواؤها ولا دواء لها الا تركها وقد اجمع السائرون الى الله ان القلوب لا تعطى مناها
حتى تصل الى مولاها ولا تصل الى مولاها حتى تكون صحيحة سليمة حتى ينقلب
داؤها فيصير نفس دوائها ولا يصح لها ذلك الا بمخالفة هواها فهواها مرضها
وشفاؤها مخالفته فان استحكم المرض قتل او كاد وكما ان من نهى نفسه عن
الهوى كانت الجنة ماواه كذا يكون قلبه في هذه الدار في جنة عاجلة لا يشبه نعيم
اهلها نعيمه البتة بل التفاوت الذي بين النعيمين كالتفاوت الذي بين
نعيم الدنيا والآخرة وهذا الامر لا يصدق به الا من باشر قلبه هذا وهذا ولا تحسب ان
قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم مقصور على نعيم الآخرة وجحيمها
فقط بل في دورهم الثلاثة هم كذلك اعني دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار

فهؤلاء

فهؤلاء في نعيم وهؤلاء في جحيم وهل النعيم الا نعيم القلب وهل العذاب الا عذاب
القلب واي عذاب اشد من الخوف والهم والحزن وضيق الصدر واعراضه عن الله
والدار الآخرة وتعلقه بغير الله وانقطاعه عن الله بكل واد منه شعبة وكل شيء
تعلق به واحبه من دون الله فانه يسومه سوء العذاب فكل من احب شيئا غير الله
عذب به ثلاث مرات في هذه الدار فهو يعذب به قبل حصوله حتى يحصل فاذا حصل
عذب به حال حصوله بالخوف من سلبه وفواته والتنغيص والتنكيد عليه وانواع
المعارضات فاذا سلبه اشتد عذابه عليه فهذه ثلاثة انواع من العذاب في هذه
الدار واما في البرزخ فعذاب يقارنه الم الفراق الذي لا يرجى عوده والم فوات
ما فاته من النعيم العظيم باشتغاله بضده والم الحجاب عن الله والم الحسرة التي
تقطع الاكباد والهم والغم والحسرة والحزن تعمل في نفوسهم نظير ما تعمل الهوام
والديدان في ابدانهم بل عملها في النفوس دائم مستمر حتى يردها الله الى اجسادها فحينئذ ينتقل
العذاب الى نوع هو ادهى وامر فاين هذا من نعيم من يرقص قلبه طربا وفرحا
وانسا بربه واشتياقا اليه وارتياحا بحبه وطمانينة بذكره حتى يقول بعضهم
في حال نزعه واطرباه ويقول الآخر ان كان اهل الجنة في مثل هذا الحال انهم لفي عيش
طيب ويقول الآخر مساكين اهل الدنيا خرجوا منها وما ذاقوا لذيذ العيش فيها
وما ذاقوا اطيب ما فيها ويقول الآخر لو علم الملوك وابناء الملوك ما نحن فيه
لجالدونا عليه بالسيوف ويقول الآخر ان في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل
جنة الآخرة فيا من باع حظه الغالي بابخس الثمن وغبن كل الغبن في هذا العقد
وهو يرى ان قد غبن اذا لم يكن لك خبرة بقيمة السلع فسل المقومين فيا
عجبا من بضاعة معك الله مشتريها وثمنها جنة الماوى والسفير الذي جرى
على يده عقد التبايع وضمن الثمن عن المشتري هو الرسول وقد بعتها بغاية الهوان
؛ اذا كان هذا فعل عبد بنفسه ؛؛ فمن ذا له من بعد ذلك يكرم ؛
ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء فصل ومن عقوباتها
انها تعمي بصيرة القلب وتطمس نوره وتسد طرق العلم وتحجب مواد الهداية وقد
قال مالك للشافعي لما اجتمع به وراى تلك المخايل اني ارى الله قد القى في قلبك نورا

بلغ

فلا تطفيه ظلمة المعصية ولا يزال هذا النور يضعف ويضمحل وظلام
المعصية يقوى حتى يصير القلب مثل الليل البهيم فكم من مهلك يسقط
فيه وهو لا يبصره كاعمى خرج بالليل في طريق ذات مهالك ومعاطب فيا عزة
السلامة ويا سرعة العطب ثم تقوى تلك الظلمات وتفيض من القلب الى الجوارح
فتغشى الوجه منها سواد بحسب قوتها وتزايدها فاذا كانت عند الموت
ظهرت في البرزخ فامتلا القبر ظلمة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذه
القبور ممتلئة على اهلها ظلمة فان الله منورها بصلاتي عليهم فاذا كان يوم
المعاد وحشر الاجساد علت الظلمة الوجه علوا ظاهرا يراه كل احد حتى يصير
الوجه اسود مثل الحممة فيالها عقوبة لا توازن لذات الدنيا باجمعها من
اولها الى اخرها فكيف بحظ العبد المنغص المنكد المتعب في زمن انما هو ساعة
من حلم والله المستعان **فصل** ومن عقوباتها انها تصغر النفس وتقمعها
وتدسيها وتحقرها حتى تصير اصغر كل شيء واحقره كما ان الطاعة تنميها وتزكيها
وتكبرها قال الله قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها والمعنى قد افلح من كبرها
واعلاها بطاعة الله واظهرها وقد خسر من اخفاها وحقرها وصغرها بمعصية
الله واصل التدسية الاخفا ومنه قوله تعالى يدسه في التراب فالعاصي يدس
نفسه في المعصية ويخفي مكانها يتوارى من الخلق من سوء ما ياتي به وقد
انقمع عند نفسه وانقمع عند الله وانقمع عند الخلق فالطاعة والبر يكبر النفس
ويعزها ويعليها حتى تصير اشرف شيء واكبره وازكاه واعلاه ومع ذلك
فهو اذل شيء واحقره واصغره لله وبهذا الذل حصل لها هذا الشرف والنمو
والعز فما صغر النفوس مثل معصية الله وما كبرها وشرفها ورفعها مثل طاعة
الله **فصل** ومن عقوباتها ان العاصي دائما في اسر شيطانه وسجن
شهواته وقيود هواه فهو اسير مسجون مقيد ولا اسير اسوء حالا من اسير
اسره اعدا عدو له ولا سجن اضيق من سجن الهوى ولا قيد اصعب من
قيد الشهوة فكيف يسير الى الله والدار الاخرة قلب ماسور مسجون مقيد
وكيف يخطو خطوة واحدة اذا تقيد طرقته الافات من كل جانب بحسب قيوده

ومثل

بلغ

ومثل القلب مثل الطائر كلما علا بعد عن الافات وكلما نزل احتوشته
الافات وفي الحديث الشيطان ذيب الانسان وكما ان الشاة التي لا حافظ
لها وهي بين الذياب سريعة العطب فكذا العبد اذا لم يكن عليه حافظ من
الله فذيبه مفترسه ولا بد وانما يكون عليه حافظا من الله بالتقوى فهي
وقاية وجنة حصينة بينه وبين ذيبه كما هي وقاية بينه وبين عقوبة
الدنيا والاخرة وكلما كانت الشاة اقرب الى الراعي فكانت اسلم من الذيب وكلما
بعدت عن الراعي كانت اقرب الى الهلاك فاحمى ما تكون الشاة اذا قربت من
الراعي وانما ياخذ الذيب القاصي من الغنم وهي ابعد من الراعي واصل هذا
كله ان القلب كلما كان ابعد من الله كانت الافات اليه اسرع وكلما قرب
من الله بعدت عنه الافات والبعد من الله مراتب بعضها اشد من بعض
فالغفلة تبعد العبد عن الله و المعصية اعظم من بعد الغفلة وبعد البدعة
اعظم من بعد المعصية وبعد النفاق والشرك اعظم من ذلك كله **فصل**
ومن عقوباتها سقوط الجاه والمنزلة والكرامة عند الله وعند خلقه فان
اكرم الخلق عند الله اتقاهم واقربهم منه منزلة واطوعهم له وعلى قدر طاعة
العبد له تكون منزلته فاذا عصاه وخالف امره سقط من عينه فاسقطه
من قلوب عباده واذا لم يبق له جاه عند الخلق وهان عليهم عاملوه على
حسب ذلك فعاش بينهم اسوء عيش خامل الذكر ساقط القدر زري
الحال لا حرمة له ولا فرح له ولا سرور فان خمول الذكر وسقوط القدر
والجاه معه كل غم وهم وحزن ولا سرور معه ولا فرح فاين هذا الالم من لذة
المعصية لولا سكر الشهوة ومن اعظم نعم الله على العبد ان يرفع له بين العالمين
ذكره ويعلي قدره ولهذا خص انبياءه ورسله من ذلك بما ليس لغيرهم كما قال
تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب اولي الايدي والابصار انا
اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار اي خصصناهم بخصيصة وهو الذكر الجميل
الذي يذكرون به في هذه الدار وهو لسان الصدق الذي ساله ابراهيم
الخليل حيث قال واجعل لي لسان صدق في الاخرين وقال سبحانه عنه وعن بنيه

بعدهم

عنده

و وهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا وقال لحبيبه ورفعنا لك
ذكرك فاتباع الرسل لهم نصيب من ذلك بحسب ميراثهم من طاعتهم ومتابعتهم
وكل من خالفهم فانه من ذلك بحسب حظهم من طاعتهم ومتابعتهم ومخالفتهم
ومعصيتهم **فصل** ومن عقوباتها انها تسلب صاحبها اسما المدح والشرف
وتكسوه اسماء الذم والصغار فتسلبه اسم المومن والبر والمحسن والمتقي
والمطيع والمنيب والولي والورع والمصلح والعابد والخائف والاواب
والطيب والمرضي ونحوها وتكسوه اسم الفاجر والعاصي والمخالف
والمسيء والمفسد والخبيث والمسخوط والزاني والسارق والقاتل و
الكاذب والخائن واللوطي وقاطع الرحم والغادر وامثالها فهذه اسماء
الفسوق وبئس الاسم الفسوق بعد الايمان الذي يوجب غضب
الديان ودخول النار وعيش الخزي والهوان وتلك الاسما توجب
رضى الرحمن ودخول الجنان وتوجب شرف المسمى بها على سائر نوع الانسان
فلو لم يكن في عقوبة المعصية الا استحقاق تلك الاسما وموجباتها
لكان في العقل ناه عنها ولو لم يكن في ثواب الطاعة الا الفوز بتلك الاسما
وموجباتها لكان في العقل امر بها ولكن لا مانع لما اعطى ولا معطي لما منع
ولا مقرب لمن باعد ولا مبعد لمن قرب ومن يهن الله فما له من مكرم ان
الله يفعل ما يشا **فصل** ومن عقوباتها انها تؤثر بالخاصة في نقصان
العقل فلا تجد عاقلين احدهما مطيع لله تعالى والاخر عاص الا وعقل
المطيع منهما اوفر واكمل وفكره اصح ورايه اسد والصواب قرينه
ولهذا تجد خطاب القران انما هو مع اولي الالباب والعقول كقوله تعالى
فاتقون يا اولي الالباب وقوله فاتقوا الله يا اولي الالباب الذين امنوا وقوله
وما يذكر الا اولوا الالباب ونظائر ذلك كثيرة وكيف يكون عاقلا وافر العقل من
يعصي من هو في قبضته وفي داره وهو يعلم انه يراه ويشاهده
فيعصيه وهو بعينه غير متوار عنه ويستعين بنعمته على مساخطه
ويستدعي كل وقت غضبه له ولعنته له وابعاده من قربه وطرده من بابه

واعراضه عنه

واعراضه عنه وخذلانه والتخلية بينه وبين نفسه وعدوه وسقوطه
من عينه وحرمانه روح رضاه وجنته وقرة العين بقربه والفوز بجواره
والنظر الى وجهه في زمرة اولياءه الى اضعاف ذلك من كرامات اهل الطاعة واضعاف
اضعاف ذلك من عقوبة اهل المعصية فاي عقل لمن اثر لذة ساعة او يوم او دهر
ثم ينقضي كانها حلم لم تكن على هذا النعيم المقيم والفوز العظيم بل هو سعادة
الدنيا والاخرة ولولا العقل الذي تقوم به عليه الحجة لكان بمنزلة المجانين
بل قد يكون المجانين احسن حالا منه واسلم عاقبة فهذا من هذا الوجه **واما** تاثيرها
في نقصان العقل المعيشي فلولا الاشتراك في هذا النقصان لظهر لمطيعنا نقصان
عقل عاصينا ولولا الجائحة عامة والجنون فنون ويا عجبا لو صحت العقول لعلمت
ان طريق تحصيل اللذة والفرحة والسرور وطيب العيش انما هو في رضا من النعيم
كله في رضاه والالم والعذاب كله في سخطه وغضبه ففي رضاه قرة العيون وسرور
النفوس وحياة القلوب ولذة الارواح وطيب الحياة ولذة العيش واطيب النعيم
بما لو وزن منه مثقال ذرة بنعيم الدنيا لم تف به بل اذا حصل للقلب من ذلك ادنى
نصيب لم يرض بالدنيا وما فيها عوضا منه ومع هذا فهو يتنعم بنصيبه من
الدنيا اعظم من تنعم المترفين فيها ولا يشوب تنعمه بذلك الحظ اليسير ما يشوب
تنعم المترفين من الهموم والغموم والاحزان والمعارضات بل قد حصل على النعيمين
وهو ينتظر نعيمين اخرين اعظم منهما وما يحصل له في خلال ذلك من الالام فالامر
كما قال الله تعالى ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون
فلا اله الا الله ما انقص عقل من باع الدر بالبعر والمسك بالرجيع ومرافقة
الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين بمرافقة
الذين غضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا **فصل**
ومن عقوباتها انها توجب القطيعة بين العبد وبين ربه تبارك وتعالى واذا وقعت
القطيعة انقطعت عنه اسباب الخير واتصلت به اسباب الشر فاي فلاح واي رجا
واي عيش لمن انقطع عنه اسباب الخير وقطع ما بينه وبين وليه ومولاه الذي
لا بد منه ولا غنا له عنه طرفة عين ولا بدل له منه ولا عوض له عنه واتصلت به

وتخلى عنه
اسباب الشر ووصلها بينه وبين اعدا عدو وليه فتولاه عدوه وتخلى عنه
وليه ولا تعلم نفس ما في هذا الانقطاع والاتصال من انواع الالام وانواع
العذاب قال بعض السلف رايت العبد ملقى بين الله سبحانه وبين الشيطان
فان اعرض الله عنه تولاه الشيطان وان تولاه الله لم يقدر عليه الشيطان و
قد قال الله تعالى واذ قلنا للملئكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس كان
من الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذريته اوليا من دوني وهم
لكم عدو بئس للظالمين بدلا يقول سبحانه لعباده انا اكرمت اباكم ورفعت
قدره وفضلته على غيره وامرت ملئكتي كلهم ان يسجدوا له تكريما له
وتشريفا فاطاعوني فابى عدوي وعدوه فعصى امري وخرج عن طاعتي
فكيف يحسن بكم بعد هذا ان تتخذوه وذريته اوليا من دوني فتطيعونه
في معصيتي وتوالونه في خلاف مرضاتي وهم اعدا عدو لكم فواليتم عدوي
وقد امرتكم بمعاداته ومن والا اعداء الملك كان هو واعداؤه عنده
سوا فان المحبة والطاعة لا يتم الا بمعاداة اعداء المطاع وموالاة اوليائه
واما من يوالي اعداء الملك ثم تدعي انك موال له فهذا محال هذا لو لم يكن عدو
الملك عدو لكم فكيف اذا كان عدوكم على الحقيقة والعداوة التي بينكم
وبينه اعظم من العداوة التي بين الشاة والذيب فكيف يليق بالعاقل
ان يوالي عدوه وعدو وليه ومولاه الذي لا مولى له سواه ونبه
سبحانه على قبح هذه الموالاة بقوله وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا
وكما نبه على قبحها بقوله ففسق عن امر ربه فتبين ان عداوته لربه وعداوته
لنا كل منهما سبب يدعو الى معاداته فما هذه الموالاة وما هذا الاستبدال بئس
للظالمين بدلا ويشبه ان يكون تحت هذا الخطاب نوع من العتاب لطيف عجيب
وهو اني عاديت ابليس اذ لم يسجد لابيكم ادم مع ملئكتي فكانت معاداته
لاجلكم ثم كان عاقبة هذه المعاداة ان عقدتم بينكم وبينه عقد المصالحة
فصل ومن عقوباتها انها تمحق بركة العمر وبركة الرزق وبركة
العلم وبركة العمل وبركة الطاعة وبالجملة تمحق بركة الدين والدنيا

فلا تجد

داما

تمحق
بالغ

٤٠٣

فلا تجد اقل بركة في عمره ودينه ودنياه ممن عصى الله وما محقت البركة
من الارض الا بمعاصي الخلق قال الله تعالى فلو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا
عليهم بركات من السما والارض وقال تعالى وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم
ما غدقا وان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وفي الحديث ان روح
القدس نفث في روعي انه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله و
اجملوا في الطلب فانه لا ينال ما عند الله الا بطاعته وان الله جعل الروح والفرح
في الرضى واليقين وجعل الهم والحزن في الشك والسخط وقد تقدم الاثر
الذي ذكره احمد في كتاب الزهد انا الله اذا رضيت باركت وليس لبركتي
انتهاء واذا غضبت لعنت ولعنتي تبلغ السابع من الولد وليست سعة
الرزق والعمل بكثرته ولا طول العمر بكثرة الشهور والاعوام ولكن سعة الرزق
والعمر بالبركة فيه وقد تقدم ان عمر الانسان هو مدة حياته ولا حيوة لمن
اعرض عن الله واشتغل بغيره بل حيوة البهائم خير من حياته فان حيوة
الانسان بحيوة قلبه وروحه ولا حيوة لقلبه الا بمعرفة فاطره ومحبته
وعبادته وحده والانابة اليه والطمانينة بذكره والانس بقربه ومن فقد هذه
الحياة فقد الخير كله ولو تعوض عنها بما تعوض بما في الدنيا بل ليست الدنيا باجمعها
عوضا عن هذه الحيوة فمن كل شي يفوت العبد عوض واذا فاته الله لم يعوض
عنه البتة وكيف يعوض الفقير بالذات عن الغني بالذات والعاجز بالذات
عن القادر بالذات والميت عن الحي الذي لا يموت والمخلوق عن الخالق ومن لا
وجود له ولا شي له من ذاته البتة عمن غناه وحياته ووجوده و
رحمته من لوازم ذاته وكيف يعوض من لا يملك مثقال ذرة عمن له ملك السموات
والارض وانما كانت معصية الله سببا لمحق بركة الرزق والاجل لان الشيطان
موكل بها وباصحابها فسلطانه عليهم وحوالته على هذا الديوان واهله و
اصحابه وكل شي يتصل به الشيطان ويقارنه فبركته ممحوقة ولهذا شرع
ذكر اسم الله تعالى عند الاكل والشرب واللبس والركوب والجماع لما في مقارنة اسم
الله من البركة وذكر اسمه يطرد الشيطان فتحصل البركة ولا معارض لها وكل شي

العبد

بحياة

لا يكون لله فبركته منه وعنه فانه الرب هو الذي يبارك وحده والبركة كلها
منه وكلما نسب اليه مبارك فكلامه مبارك ورسوله مبارك وعبده
المؤمن النافع لخلقه مبارك وبيته الحرام مبارك وكنانته من ارضه وهي
ارض الشام ارض البركة وصفها بالبركة في ست ايات من كتابه فلا مبارك
الا هو وحده ولا مبارك الا ما نسب اليه يعني الى الوهيته ومحبته ورضاه
والا فالكون كله منسوب الى ربوبيته وخلقه وكلما باعده من نفسه من
الاعيان والاقوال والاعمال فلا بركة فيه ولا خير فيه وكلما كان قريبا
منه من ذلك ففيه البركة على حسب قربه وضد البركة اللعنة فارض لعنها
الله او شخص لعنه او عمل لعنه الله ابعد شيء من الخير والبركة وكلما اتصل
بذلك وارتبط به وكان منه بسبيل فلا بركة البتة وقد لعن عدو الله
ابليس وجعله ابعد خلقه منه فكل ما كان من جهته فله من اللعنة بقدر
قربه منه واتصاله به فمن ههنا كان للمعاصي اعظم تاثير في محق بركة العمر و
الرزق والعلم والعمل فكل وقت عصيت الله فيه او مال عصي الله به او بدن
او جاه او علم او عمل فهو على صاحبه ليس له فليس له من عمره وماله وجاهه
وعمله وعلمه الا ما اطاع الله به فلهذا من الناس من يعيش في هذه الدار مائة سنة
او نحوها ويكون عمره لا يبلغ عشرين او نحوها كما ان منهم من يملك القناطير
المقنطرة من الذهب والفضة ويكون ماله في الحقيقة لا يبلغ الف درهم
او نحوها وهكذا الجاه والعلم وفي الترمذي عنه صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة
ملعون ما فيها الا ما كان لله فهذا هو الذي فيه البركة خاصة والله المستعان
وعليه التكلان **فصل** ومن عقوبتها انها تجعل صاحبها من السفلة بعد
ان كان مهيئا لان يكون من العلية فان الله خلق خلقه قسمين علية وسفلة
وجعل عليين مستقر العلية واسفل سافلين مستقر السفلة وجعل اهل
طاعته الاعلين في الدنيا والاخرة واهل معصيته الاسفلين في الدنيا والاخرة
كما جعل اهل طاعته اكرم خلقه واهل معصيته اهون خلقه عليه واسفل
~~سافلين واهل معصيته الاسفلين في الدنيا والاخرة كما جعل اهل الطاعة~~

اكرم

المشهور مصر كنانة الله في ارضه من ارادها بسوء قصمه الله

فيه

صح ٣ ذكر الله عز وجل وما والاه او عالم او متعلم وفي اثر اخر الدنيا ملعونة ملعون ما فيها

عليه

بياض في الاصل

ل

اكرم خلقه عليه مستقرا سفله وجعل اهل طاعته الاعلين في الدنيا و
الاخرة واهل معصيته اهون خلقه عليه وجعل العزة لهؤلاء والذلة والصغار
لهؤلاء كما في مسند احمد من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال جعلت الذلة والصغار على من خالف امري فكلما
عمل العبد معصية نزل الى اسفل درجة ولا يزال في نزول حتى يكون من
الاسفلين وكلما عمل طاعة ارتفع بها درجة ولا يزال في ارتفاع حتى يكون
من العليين **وقد** يجتمع للعبد في ايام حياته الصعود من وجه والنزول من
وجه وايهما كان اغلب عليه كان من اهله فليس من صعد مائة درجة ونزل
درجة واحدة كمن كان بالعكس ولكن يعرض للنفوس ههنا غلط عظيم
وهو ان العبد قد ينزل نزولا بعيدا ابعد ما بين المشرق والمغرب وما بين
السماء والارض فلا يفي صعوده الف درجة بهذا النزول الواحد كما في
الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان العبد ليتكلم بالكلمة الواحدة
لا يلقي لها بالا يهوي بها في النار ابعد ما بين المشرق والمغرب فاي صعود
يوازن هذه النزلة والنزول امر لازم للانسان ولكن من
الناس من يكون نزوله الى غفلة فهذا متى استيقظ من غفلته عاد الى درجته
او الى ارفع منها بحسب يقظته **ومنهم** من يكون نزوله الى مباح لا ينوي به
الاستعانة على الطاعة فهذا متى رجع الى الطاعة فقد يعود الى درجته وقد لا
يصل اليها وقد يرتفع عنها فانه قد يعود اعلى همة مما كان وقد يكون اضعف
همة وقد يكون همته كما كانت **ومنهم** من يكون نزوله الى معصية
اما صغيرة او كبيرة فهذا يحتاج في عوده الى درجته الى توبة نصوح وانابة
صادقة واختلف الناس هل يعود الى درجته بعد التوبة التي كان فيها
بناء على ان التوبة تمحو اثر الذنب وتجعل وجوده كعدمه فكانه لم يكن او لا
يعود بناء على ان التوبة تاثيرها اسقاط العقوبة واما الدرجة التي فاتته
فانه لا يصل اليها قالوا وتقرير ذلك انه كان مستعدا باشتغاله بالطاعة في الزمن
الذي عصى فيه لصعود اخر وارتفاع باعماله السالفة بمنزلة كسب الرجل

عليه

ماله بجملة

كل يوم يحمله ماله الذي يملكه وكلما تضاعف المال تضاعف الربح فقد راح عليه
في زمن المعصية ارتفاع وربح بحمله اعماله فاذا استانف العمل استانف صعودا
من نزول وكان قبل ذلك صاعدا من علو وبينهما نور عظيم قالوا ومثل ذلك رجلان
مرتقيان في سلمين لا نهاية لهما وهما سوا فنزل احدهما الى اسفل ولو درجة
ثم استانف الصعود فان الذي لم ينزل يعلو عليه ولا بد وحكم شيخ الاسلام
ابن تيمية بين الطائفتين حكما مقبولا فقال التحقيق ان من التائبين من يعود
الى ارفع درجة ومنهم من يعود الى مثل درجته ومنهم من لا يصل الى درجته
قلت وهذا بحسب قوة التوبة وكمالها وما احدثته المعصية للعبد من
الذل والخضوع والانابة والحذر والخوف من الله والبكا من خشية الله فقد
تقوى هذه الامور حتى يعود التائب الى ارفع من درجته ويصير بعد التوبة
خيرا منه قبل الخطيئة فهذا قد تكون الخطيئة في حقه رحمة فانها نفت
عنه داء العجب وخلصه من ثقته بنفسه واعماله ووضعت خده ضراعة وذلا
وانكسارا على عتبة باب سيده ومولاه وعرفته قدره واشهدته فقره وضرورته
الى حفظ سيده له والى عفوه عنه ومغفرته له واخرجت من قلبه صولة الطاعة
وكسرت انفه ان يشمخ بها او يتكبر بها او يرى نفسه بها خيرا من غيره واوقفته
بين يدي ربه موقف الخطائين المذنبين ناكس الراس بين يدي سيده مستحيا
منه خائفا وجلا محتقرا الطاعة مستعظما لمعصيته قد عرف نفسه بالنقص
والذم وربه منفردا بالكمال والحمد والوفا كما قيل استاثر الله بالوفاء والحمد وولى
الملامة الرجلا فاي نعمة وصلت من الله اليه استكثرها على نفسه ورأى نفسه
دونها لم يرها اهلا لها واي نقمة او بلية وصلت اليه رأى نفسه اهلا لها واهلا
اكثر منها ورأى مولاه قد احسن اليه اذ لم يعاقبه على قدر جرمه ولا شطره ولا ادنى
جزء منه فان ما يستحقه من العقوبة لا تحمله الجبال الراسيات فضلا عن هذا
العبد الضعيف العاجز فان الذنب وان صغر فان مقابلة العظيم الذي لا شي
اعظم منه الكبير الذي لا شي اكبر منه الكريم الذي لا احد اكرم منه ولا اجل المنعم
بجميع اصناف النعم دقيقها وجليلها من اقبح الامور وافضعها واشنعها فان

مقابلة

ربكم

لعله
فوض

مقابلة العظماء والاجلا وسادات الناس بمثل ذلك يستقبحه كل احد مؤمن
وكافر وارذل الناس واسقطهم مروة من قابلهم بالرذائل فكيف بعظيم السموات
والارض وملك السموات والارض ولولا ان رحمة الله غلبت غضبه ومغفرته
سبقت عقوبته والا لتدكدكت الارض بمن قابله بما لا يليق مقابلته ولولا
حلمه ومغفرته لزالت السموات والارض بمعاصي العباد قال الله تعالى ان الله
يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه
كان حليما غفورا فتامل ختم هذه الاية باسمين من اسمائه وهما الحليم والغفور
كيف تجد ذلك بحيث انه لولا حلمه عن الجناة ومغفرته للعصاة لما استقرت السموات
والارض وقد اخبر الله سبحانه عن بعض كفر عباده انه تكاد السموات يتفطرن منه
وتنشق الارض وتخر الجبال هدا والمقصود ان العبد قد يكون بعد التوبة خيرا
مما كان قبل الخطيئة وارفع درجة وقد تضعف الخطيئة همته وتوهن عزمه
وتمرض قلبه فلا يقوى دواء التوبة على اعادته الى الصحة الاولى فلا يعود الى درجته
وقد يزول المرض بحيث تعود الصحة كما كانت وتعود الى مثل عمله فيعود الى درجته
هذا كله اذا كان نزوله الى معصية فاما كان الى امر يقدح في اصل الايمان
مثل الشكوك والريب والنفاق فذاك نزول لا يرجى لصاحبه صعود الا بتجديد
اسلامه من راسه فصل ومن عقوباتها انها تجري على العبد ما لم يكن
يجري عليه من اصناف المخلوقات فتجري عليه الشياطين بالاذى والاغوا والوسوسة
والتخويف والتحزين وانسائه ما مصلحته في ذكره ومضرته في نسيانه فتجري
عليه الشياطين حتى تأزه الى المعصية ازا وتجري عليه شياطين الانس بما تقدر عليه من اذاه في
غيبته وحضوره ويجري عليه اهله وخدمه واولاده وجيرانه حتى الحيوان
البهيم وقال بعض السلف اني لاعصي الله فاعرف ذلك في خلق امراتي
ودابتي وكذلك يجري عليه اولو الامر بالعقوبة التي ان عدلوا فيها اقاموا عليه
حدود الله وتجري عليه نفسه فتتاسد عليه وتستصعب عليه فلو ارادها لخير
لم تطاوعه ولم تنقد اليه وتسوقه الى ما فيه هلاكه شاء ام ابى وذلك لان الطاعة
حصن الرب تعالى الذي من دخله كان من الامنين فاذا فارق الحصن اجترا عليه

ايمانه

شياطين
اولياء

لعله
فتكاسل

قطاع الطريق وغيرهم وعلى حسب اجترائه على معاصي الله يكون اجتراء هذه الافات والنفوس عليه وليس شيء يرد عنه فانه ذكر الله وطاعته والصدقة وارشاد الجاهل والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقاية ترد عن العبد بمنزلة القوة التي ترد المرض وتقاومه فاذا سقطت القوة غلب داؤه وازداد المرض فكان الهلاك فلا بد للعبد من شيء يرد عنه فان موجب السيئات والحسنات يتدافع ويكون الحكم للغالب كما تقدم وكلما قوي جانب الحسنات كان الرد اقوى فان الله يدافع عن الذين امنوا والايمان قول وعمل فبحسب قوة الايمان يكون الدفع والله المستعان **فصل** ومن عقوباتها انها تحوج العبد احوج ما يكون الى نفسه فان كل احد محتاج الى معرفة ما ينفعه وما يضره في معاشه ومعاده واعلم الناس اعرفهم بذلك على التفصيل واقواهم واكيسهم من قوي على نفسه وارادته واستعملها فيما ينفعه وكفها عما يضره وفي ذلك تفاوت معارف الناس وهممهم ومنازلهم فاعرفهم من كان عارفا باسباب السعادة والشقاوة وارشدهم من اثر هذه على هذه كما ان اسفههم من عكس الامر والمعاصي تخون العبد احوج ما كان الى نفسه في هذا العلم وايثار الحظ الاشرف العالي الدائم على الحظ الخسيس الادنى المنقطع فتحجبه الذنوب عن كمال هذا العلم وعن الاشتغال بما هو اولى به وانفع له في الدارين فاذا وقع في مكروه واحتاج الى التخلص منه خانه قلبه ونفسه وجوارحه وكان بمنزلة رجل معه سيف قد غشيه الصدأ ولزم قرابه بحيث لا ينجذب مع صاحبه اذا جذبه فعرض له عدو يريد قتله فوضع يده على قائم سيفه واجتهد ليخرجه فلم يخرج فدهمه العدو وظفر به وكذلك القلب يصدأ بالذنوب ويصير مثخنا بالمرض فاذا احتاج الى محاربة العدو لم يجد معه منه شيئا والعبد انما يحارب ويصاول ويقدم بقلبه والجوارح تبع للقلب فاذا لم يكن عند ملكها قوة يدفع بها فما الظن بها وكذلك النفس فانها تتخنث بالشهوات والمعاصي وتضعف اعني النفس المطمئنة وان كانت الامارة تقوى وتتاسد وكلما قويت هذه ضعفت تلك فيبقى الحكم والتصرف للامارة وربما ماتت نفسه المطمئنة موتا لا يرجى معه حياة فهذا ميت في الدنيا ميت في البرزخ غير حي في الاخرة حياة ينتفع بها بل حياته حياة يدرك بها الالم فقط والمقصود ان العبد اذا وقع في شدة او كربة

صح

مع اشفقهم

اوليه

اوبلية خانه قلبه ولسانه وجوارحه عما هو انفع شيء له فلا ينجذب قلبه للتوكل على الله والانابة اليه والجمعية عليه والتضرع والتذلل والانكسار بين يديه ولا يطاوعه لسانه لذكره وان ذكره بلسانه لم يجمع بين قلبه ولسانه فينحبس القلب عن اللسان بحيث يؤثر الذكر ولا ينحبس القلب واللسان عن المذكور بل ان ذكر او دعا ذكر بقلب لاه ساه غافل ولو اراد من جوارحه ان تعينه بطاعة تدفع عنه لم تنقد له ولم تطاوعه وهذا كله اثر الذنوب والمعاصي كمن له جند يدفعون عنه الاعداء فاهمل جنده وضيعهم واضعفهم وقطع اخبارهم ثم اراد منهم عند هجوم العدو عليه ان يستفرغوا وسعهم في الدفع عنه بغير قوة هذا وثم امر اخوف من ذلك وادهى منه وامر وهو ان يخونه قلبه ولسانه عند الاحتضار والانتقال الى الله تعالى فربما تعذر عليه النطق بالشهادة كما شاهد الناس كثيرا من المحتضرين اصابهم ذلك حتى قيل لبعضهم قل لا اله الا الله فقال اه اه لا استطيع ان اقولها وقيل لاخر قل لا اله الا الله فقال شاه رخ غلبتك ثم قضى وقيل لاخر قل لا اله الا الله فقال

يا رب قائلة يوما وقد تعبت ... اين الطريق الى حمام منجاب

ثم قضى وقيل لاخر قل لا اله الا الله فجعل يهذي بالغناء ويقول تاتنا تننتا حتى قضى وقيل لاخر ذلك فقال وما ينفعني ما تقول ولم ادع معصية الا ركبتها ثم قضى ولم يقلها وقيل لاخر ذلك فقال كلما اردت ان اقولها ولساني يمسك عنها واخبرني من حضر بعض الشحاذين عند موته فجعل يقول فلس لله فلس لله حتى قضى واخبرني بعض التجار عن قرابة له انه احتضر وهو عنده فجعلوا يلقنونه لا اله الا الله وهو يقول هذه القطعة رخيصة هذه مشترى جيد هذه كذا حتى قضى وسبحان الله كم شاهد الناس من هذا عبرا والذي يخفى عليهم من احوال المحتضرين اعظم واعظم واذا كان العبد في حال حضور ذهنه وقوته وكمال ادراكه قد تمكن منه الشيطان واستعمله فيما يريده من معاصي الله وقد اغفل قلبه عن الله وعطل لسانه عن ذكره وجوارحه عن طاعته فكيف الظن به عند سقوط قواه واشتغال قلبه ونفسه بما هو فيه من الم النزاع وجمع الشيطان له كل قوته وهمته وحشد عليه بجميع ما يقدر عليه لينال منه فرصته فان ذلك اخر العمل فاقوى ما يكون

تعليم شيطانه ذلك الوقت واضعف مايكون هو في تلك الحالة فمن ترى يسلم من
ذلك فهناك يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا والاخرة ويضل
الله الظالمين ويفعل الله مايشا فكيف يوفق لحسن الخاتمة من اغفل الله سبحانه قلبه
عن ذكره واتبع هواه وكان امره فرطا فبعيد من قلب بعيد عن الله تعالى غافل عنه متعبد
لهواه اسير لشهواته ولسان يابس من ذكره وجوارح معطلة من طاعته مشتغلة بمعصيته
ان يوفق للخاتمة بالحسنى ولقد قطع خوف الخاتمة ظهور المتقين وكان المسيئين الظالمين
قد اخذوا توقيعا بالامان ام لكم ايمان علينا بالغة الى قوله زعيم شعر

يا امنا مع قبيح الفعل منه ؎ اهل اتاك توقيع امن انت تملكه ؎
جمعت شيئين امنا واتباع هوى ؎ هذا واحدهما في المرء تهلكه ؎
والمحسنون على درب المخاوف قد ؎ ساروا وذلك درب لست تسلكه ؎
فرطت في الزرع وقت البذر من سفه ؎ فكيف عند حصاد الناس تدركه ؎
هذا واعجب شيء منك زهدك في ؎ دار البقا بعيش سوف تتركه ؎
من السفيه اذا بالله انت ام الـ ؎ مغبون في البيع غبنا سوف تدركه ؎

فصل ومن عقوباتها انها تعمي القلب فان لم تعمه اضعفت بصيرته ولابد وقد
تقدم بيان انها تضعفه ولابد فاذا عمي القلب وضعف فاته من معرفة الهدى وقوته
على تنفيذه في نفسه وفي غيره بحسب ضعف بصيرته وقوته فان الكمال الانساني مداره
على اصلين معرفة الحق من الباطل وايثاره عليه وما تفاوتت منازل الخلق عند الله
في الدنيا والاخرة الا بقدر تفاوت منازلهم في هذين الامرين وهما اللذان اثنى الله
سبحانه على انبيائه بهما في قوله تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب اولي الايدي
والابصار فالايدي القوة في تنفيذ الحق والابصار البصائر في الدين فوصفهم
بكمال ادراك الحق وكمال تنفيذه وينقسم الناس في هذا المقام اربعة اقسام
فهؤلاء اشرف الخلق واكرمهم على الله القسم الثاني عكس هؤلاء لا بصيرة في الدين ولا
قوة على تنفيذ الحق وهو اكثر هذا الخلق الذين رؤيتهم قذى العيون وحمى الارواح و
سقم القلوب يضيقون الديار ويغلون الاسعار ولا يستفاد بصحبتهم الا العار
والشنار والقسم الثالث من له بصيرة بالحق ومعرفة به لكنه ضعيف لا قوة له

على تنفيذ

على تنفيذه ولا الدعوة اليه وهذا حال المؤمن الضعيف والمؤمن القوي خير و
احب الى الله منه القسم الرابع من له قوة وهمة وعزيمة لكنه ضعيف البصيرة في الدين
لا يكاد يميز بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان بل يحسب كل سوداء تمرة
وكل بيضاء شحمة ويحسب الورم شحما والدواء النافع سما وليس في هؤلاء من يصلح
للامامة في الدين ولا هو موضعا لها سوى القسم الاول قال الله تعالى وجعلناهم ائمة يهدون
بامرنا لما صبروا وكانوا باياتنا يوقنون فاخبر سبحانه وتعالى ان بالصبر واليقين نالوا
الامامة في الدين وهؤلاء هم الذين استثناهم الله سبحانه وتعالى من جملة الخاسرين
واقسم بالعصر الذي هو زمن الخاسرين والرابحين على ان من عداهم فهو من
الخاسرين فقال والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات و
تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر فلم يكتف منهم بمعرفة الحق والصبر عليه حتى يوصي
بعضهم بعضا ويرشده اليه ويحضه عليه واذا كان من عدا هؤلاء خاسرا فمعلوم
ان المعاصي والذنوب تعمي بصيرة القلب فلا يدرك الحق كما ينبغي وتضعف قوته
وعزيمته فلا تصبر عليه بل قد تتوارد على القلب حتى ينعكس ادراكه كما ينعكس سيره
فيدرك الباطل حقا والحق باطلا والمعروف منكرا والمنكر معروفا فينتكس في سيره
ويرجع عن سفره الى الله والدار الاخرة الى سفره الى مستقر النفوس المبطلة التي رضيت
بالحيوة الدنيا واطمانت بها وغفلت عن الله واياته وتركت الاستعداد للقائه ولو
لم يكن في عقوبة الذنوب الا هذه العقوبة وحدها لكانت داعية الى تركها والبعد
منها والله المستعان وهذا كما ان الطاعة تنور القلب وتجلوه وتصقله وتقويه
وتثبته حتى يصير كالمراة المجلوة في جلائها وصفائها فيمتلي نورا فاذا دنى الشيطان
منه اصابه من نوره ما يصيب مسترق السمع من الشهب الثواقب فالشيطان يفرق
من هذا القلب اشد من فرق الذئب من الاسد حتى ان صاحبه ليصرع الشيطان فيخر
صريعا فيجتمع عليه الشياطين فيقول بعضهم لبعض ما شانه فيقال اصابه انسي وبه
نظرة من الانسي شعر

فيا نظرة من قلب حر منور ؎ يكاد بها الشيطان بالنور يحرق ؎

افيستوي هذا القلب وقلب مظلم ارجاؤه مختلفة اهواؤه قد اتخذه الشيطان
وطنا واعده مسكنا اذا تصبح بطلعته حياه وقال فديت من لا يفلح في دنياه ولا في اخراه

قرينك في الدنيا وفي الحشر بعدها ... وانت قرين لي بكل مكان
فان كنت في دار الشقاء فانني ... وانت جميعا في شقا وهوان

قال الله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم
عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون حتى اذا جانا قال ياليت بيني وبينك بعد
المشرقين فبئس القرين ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون
واخبر سبحانه ان من عشي عن ذكره وهو كتابه الذي انزله على رسوله فاعرض عنه و
عمي عنه وعشيت بصيرته عن فهمه وتدبره ومعرفة مراد الله منه قيض الله له
شيطانا عقوبة له باعراضه عن كتابه فهو قرينه الذي لا يفارقه في الاقامة ولا في
السفر ومولاه وعشيره الذي هو بئس المولى وبئس العشير

شعر

رضيعي لبان ثدي ام تقاسما ... باسحم داج عوض لا نتفرق

ثم اخبر سبحانه
ان الشيطان يصد قرينه ووليه عن سبيله الموصل اليه والى جنته ويحسب هذا
الضال المصدود انه على طريق هدى حتى اذا جاء القرينان يوم القيمة قال
احدهما للاخر ياليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين كنت لي في الدنيا
اضللتني عن الهدى بعد اذ جاءني وصددتني عن الحق واغويتني حتى هلكت
وبئس انت لي اليوم ولما كان المصاب اذا شاركه غيره في مصيبته حصل
بالتاسي نوع تخفيف وتسلية اخبر الله سبحانه ان هذا غير موجود وغير حاصل في
حق المشتركين في العذاب وان القرين لا يجد راحة ولا ادنى فرح بعذاب قرينه
وان كانت المصائب في الدنيا اذا عمت صارت سلاه كما قالت الخنساء في اخيها صخر

شعر

فلولا كثرة الباكين حولي ... على اخوانهم لقتلت نفسي
وما يبكون مثل اخي ولكن ... اعزي النفس عنه بالتاسي

فمنع الله سبحانه
بهذا القدر من الراحة عن اهل النار فقال ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم
في العذاب مشتركون

فصل

ومن عقوباتها انها مدد من الانسان يمد به
عدوه عليه وجيش يقويه به على حربه وذلك ان الله سبحانه ابتلى هذا الانسان بعدو
لا يفارقه قط طرفة عين وصاحب لا ينام عنه ولا يغفل عنه يراه هو وقبيله من
حيث لا يراه يبذل جهده في معاداته في كل حال ولا يدع امرا يكيده به يقدر على

اتصاله اليه الا اوصله اليه ويستعين عليه ببني ابيه من شياطين الجن
وغيرهم من شياطين الانس قد نصب له الحبائل وبغى له الغوائل ومد حوله
الاشراك ونصب له الفخاخ والشباك وقال لاعوانه دونكم عدوكم وعدو ابيكم
لا يفوتنكم ولا يكون حظه الجنة وحظكم النار ونصيبه الرحمة ونصيبكم اللعنة
وقد علمتم ان ما جرى علي وعليكم من الخزي واللعن والابعاد من رحمة الله بسببه
ومن اجله فابذلوا جهدكم ان يكونوا شركانا في هذه البلية اذ قد فاتنا
شركة صالحيهم في الجنة وقد اعلمنا سبحانه بذلك كله من عدونا وامرنا ان
نتخذ له اهبته ونعد له عدته ولما علم سبحانه ان ادم وبنيه قد بلوا بهذا
العدو وانه قد سلط عليهم امدهم بعساكر وجند يلقونه بها وامد عدوهم
ايضا بجند وعساكر يلقاهم بها واقام سوق الجهاد في هذه الدار في مدة العمر التي
هي بالاضافة الى الاخرة كنفس واحد من انفاسها فاشترى من المومنين انفسهم واموالهم
بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون واخبر ان ذلك وعد
موكد عليه في اشرف كتبه وهي التوراة والانجيل والقران ثم اخبر ان لا اوفى بعهده
منه سبحانه وتعالى ثم امرهم ان يستبشروا بهذه الصفقة التي من اراد ان يعرف
قدرها فلينظر الى المشتري من هو والى الثمن المبذول في هذه السلعة والى من
جرى على يديه هذا العقد فاي فوز اعظم من هذا واي تجارة اربح منه ثم اكد سبحانه معهم
هذا الامر بقوله يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تومنون
بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم
تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن
طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم واخرى تحبونها نصر من الله وفتح
قريب وبشر المومنين ولم يسلط سبحانه هذا العدو على عبده المومن الذي
هو احب انواع المخلوقات اليه الا لان الجهاد احب شي اليه واهله ارفع
الخلق عنده درجات واقربهم اليه وسيلة فعقد سبحانه لواء هذا الحرب
لخلاصة مخلوقاته وهو القلب الذي هو محل معرفته ومحبته وعبوديته و
الاخلاص له والتوكل عليه والانابة اليه فولاه امر هذا الحرب وايده بجند من

الملائكة لايفارقونه له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من
امر الله يعقب بعضهم بعضا كلما ذهب بدل جاء بدل اخر يثبتونه ويامرونه
بالخير ويحضونه عليه ويعدونه بكرامة الله ويصبرونه ويقولون انما هو
صبر ساعة وقد استرحت براحة الابد ثم امده الله سبحانه وتعالى بجند اخر من
وحيه وكلامه فارسل اليه رسوله وانزل اليه كتابه فازداد قوة الى قوته ومددا
الى مدده وعدة الى عدته وامده مع ذلك بالعقل وزيرا له ومدبرا وبالمعرفة
مشيرة عليه ناصحة له وبالايمان مثبتا ومؤيدا وناصرا وباليقين كاشفا له عن
حقيقة الامر كانه يعاين ما وعد الله به اولياءه وحزبه على جهاد اعدائه فالعقل
يدبر امر جيشه والمعرفة تصنع له امور الحرب واسبابها مواضعها اللائقة
بها والايمان يثبته ويقويه ويصبره واليقين يقدم به ويحمل به الحملات
الصادقة ثم امد سبحانه القائم بهذا الحرب بالقوة الظاهرة والباطنة فجعل
العين طليعته والاذن صاحب خبره واللسان ترجمانه واليدين والرجلين
اعوانه واقام ملائكته وحملة عرشه يستغفرون له ويسالون له ان
يقيه السيئات ويدخله الجنات وتولى سبحانه الدفع والدفاع عنه بنفسه
وقال هؤلاء حزبي وحزب الله هم الغالبون وعلم عباده كيفية هذا الحرب
والجهاد فجمعها لهم في اربع كلمات فقال يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا
ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ولا يتم امر هذا الجهاد الا بهذه الامور
الاربعة فلا يتم الصبر الا بمصابرة العدو وهي مقاومته ومنازلته فاذا صابر
عدوه احتاج الى امر اخر وهو المرابطة وهي لزوم ثغر القلب وحراسته
لئلا يدخل منه ولزوم ثغر العين والاذن واللسان والبطن واليد والرجل
فهذه الثغور منها يدخل العدو فيجوس خلال الديار ويفسد ما قدر عليه
فالمرابطة لزوم هذه الثغور ولا يخلي مكانها فيصادف العدو والثغر خاليا
فيدخل منه فهؤلاء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الخلق بعد النبيين
والمرسلين واعظمهم حماية وحراسة من الشيطان وقد اخلوا المكان الذي
امروا بلزومه يوم احد فدخل منه فكان ما كان وجماع هذه الثلاثة وعموده

الذي

الذي يقوم بها هو تقوى الله فلا ينفع الصبر ولا المصابرة ولا المرابطة
الا بالتقوى ولا يقوم التقوى الا على ساق الصبر فانظر الان الى التقاء الجيشين
واصطفاف العسكرين وكيف مرة وعليك اخرى تقبل ملك الكفر بجنوده و
عساكره فوجد القلب في حصنه جالسا على كرسي مملكته امره نافذ في اعوانه
وجنده قد حفوا به يقاتلون عنه ويدافعون عن حوزته فلم يمكنه الهجوم عليه
الا بمخامرة بعض امرائه وجنده عليه فسال عن اخص الجند به واقربهم منه
منزلة فقيل له هي النفس فقال لاعوانه ادخلوا عليها من مرادها وانظروا
مواقع محبتها وما هو محبوب لها فعدوها به ومنوها اياه وانقشوا صورة
المحبوب فيها في يقظتها ومنامها فاذا اطمانت اليه وسكنت عنده فاطرحوا
عليها كلاليب الشهوة وخطاطيفها ثم جروها بها اليكم فاذا خامرت على القلب
وصارت معكم عليه ملكتم ثغر العين والاذن واللسان والفم واليد والرجل
فرابطوا على هذه الثغور كل المرابطة فمتى دخلتم منها الى القلب فهو قتيل او
اسير او جريح مثخن بالجراحات ولا تخلوا هذه الثغور ولا تمكنوا سرية تدخل
منها الى القلب فتخرجكم وان غلبتم فاجتهدوا في اضعاف السرية و
وهنها حتى لا تصل الى القلب وان وصلت اليه وصلت ضعيفة لا تغني
عنه شيئا فاذا استوليتم على هذه الثغور فامنعوا ثغر العين ان يكون نظره
اعتبارا بل اجعلوا نظره تفرجا واستحسانا وتلهيا فان استرق نظرة عبرة فافسدوها
عليه بنظر الغفلة والاستحسان والشهوة فانه اقرب اليه واعلق بنفسه و
اخف عليه ودونكم ثغر العين فان منه تنالون بغيتكم فاني ما افسدت
بني ادم بشيء مثل النظر فاني ابذر به في القلب بذر الشهوة ثم اسقيه بماء
الامنية ثم لا ازال اعده وامنيه حتى اقوي عزيمته واقوده بزمام الشهوة
ثم استحبه الى الانخلاع من العصمة فلا تهملوا امر هذا الثغر وافسدوه بحسب
استطاعتكم وهونوا عليه امره وقولوا له ما مقدار نظرة تدعوك الى تسبيح
الخالق والتامل لبديع صنعته وحسن هذه الصورة التي انما خلقت ليستدل
بها الناظر عليه وما خلق لك العينين سدى وما خلق هذه الصورة الا ليحجبها

عن النظر وان ظفرتم به قليل العلم فاسد العقل فقولوا هذه الصورة تظهر من
مظاهر الحق وتجلى من تجاليه فادعوه الى القول بالاتحاد فان لم يقبل فالقول بالحلول
العام والخاص ولا تقنعوا منه بدون ذلك فانه يصير به من اخوان النصارى
حينئذ بالعفة والصيانة والعبادة والزهد في الدنيا واصطادوا عليه الجهال
فهذا من اقرب خلفائي واكبر جندي بل انا من جنده واعوانه **فصل** ثم امنعوا
ثغر الاذن ان يدخل منه ما يفسد عليكم الامر فاجتهدوا ان لا تدخلوا منه الا الباطل
فانه خفيف على النفس تستحليه وتستملحه وتخيروا له اعذب الالفاظ واسحرها للالباب
وامزجوه بما تهوى النفوس مزجا والقوا الكلمة فان رأيتم منه اصغاء اليها
فزجوا باخواتها وكلما صادفتم منه استحسان شيء فالهجوا له بذكره واياكم ان
يدخل من هذا الثغر شيء من كلام الله او كلام رسوله او كلام النصحاء فان غلبتم على ذلك
ودخل من ذلك شيء فحولوا بينه وبين فهمه واما بتهويل ذلك وتعظيمه وان هذا
امر قد حيل بين النفوس وبينه فلا سبيل لها اليه وهو حمل ثقيل عليها لا تستقل
به ونحو ذلك واما بارخاصه على النفوس فان الاشتغال ينبغي ان يكون اهم بما هو اعلى
عند الناس واعز عليهم واغرب عندهم وزبونه القائلون له اكثر واما الحق فهو مهجور
وقائله فهو معرض نفسه للعداوة والرائج بين الناس اولا بالايثار ونحو ذلك فيدخلون
الباطل عليه في كل قالب يقبله ويخف ويخرجون له الحق في كل قالب يكرهه ويثقل
عليه واذا شئت ان تعرف ذلك فانظر الى اخوانهم من شياطين الانس كيف يخرجون
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في قالب كثرة الفضول وتتبع عثرات الناس
والتعرض من البلاء لما لا يطيق والقاء الفتن بين الناس ونحو ذلك ويخرجون اتباع
السنة ووصف الرب سبحانه بما وصف نفسه ووصفه به رسوله في قالب
التجسيم والتشبيه والتكييف ويسمون علو الله على خلقه واستواءه على عرشه و
مباينته لمخلوقاته تحيزا ويسمون نزوله الى سماء الدنيا وقوله من يسألني فاعطيه
تحركا وانتقالا ويسمون ما وصف به نفسه من اليد والوجه اعضاء وجوارح
ويسمون ما يقوم به من حوادث من افعاله وما يقوم به من صفة اعراضا ثم يتوصلون
الى نفي هذه الامور ويوهمون الاغمار وضعفاء البصائر ان اثبات الصفات التي

نطق

نطق بها كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم تستلزم هذه الامور ويخرجون
هذا التعطيل في قالب التنزيه والتعظيم واكثر الناس ضعفاء العقول يقبلون
الشيء بلفظ ويردونه بعينه بلفظ اخر قال الله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا
شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا فسماه زخرفا
وهو باطل لان صاحبه يزخرفه ويزينه ما استطاع ويلقيه الى سمع المغرور فيغتر به
والمقصود ان الشيطان قد لزم ثغر الاذن ان يدخل فيها ما يضر العبد ولا ينفعه
ويمنع ان يدخل اليها ما ينفعه وان دخل بغير اختياره افسده عليه **فصل**
ثم يقول قوموا الى ثغر اللسان وهو الثغر الاعظم وهو قبالة الملك فاجروا
عليه من الكلام ما يضره ولا ينفعه وامنعوه ان يجري عليه شيء مما ينفعه من
ذكر الله واستغفاره وتلاوة كتابه ونصيحة عباده او التكلم بالعلم النافع
ويكون لكم في هذا الثغر امران عظيمان لا تبالون بايهما ظفرتم احدهما التكلم
بالباطل فان المتكلم بالباطل اخ من اخوانكم ومن اكبر اعوانكم وجندكم **والثاني**
السكوت عن الحق فان الساكت عن الحق اخ لكم اخرس كما ان الاول اخ ناطق وربما
كان الاخ الثاني انفع اخوانكم لكم اما سمعتم قول الناطق المتكلم بالباطل شيطان
ناطق والساكت عن الحق شيطان اخرس فالرباط الرباط على هذا الثغر ان يتكلم
بحق او يمسك عن باطل وزينوا له التكلم بالباطل بكل طريق وخوفوه من التكلم
بالحق بكل طريق واعلموا يا بني ان ثغر اللسان هو الذي اهلك منه بني ادم واكبهم
منه على مناخرهم في النار فكم لي من قتيل واسير وجريح اخذته من هذا
الثغر واوصيكم بوصية فاحفظوها لينطق احدكم على لسان اخيه
من الانس بالكلمة ويكون الاخر على لسان السامع فينطق باستحسانها وتعظيمها
والتعجب منها ويطلب من اخيه اعادتها وكونوا اعوانا على الانس بكل طريق
وادخلوا عليهم من كل باب واقعدوا لهم كل مرصد اما سمعتم قسمي الذي اقسمت
به لربهم حيث قلت فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم
من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم
شاكرين او ما تراني قد قعدت لابن ادم بطرقه كلها فلا يفوتني من طريق الا قعدت

له بطريق عزه حتى اصبت منه حاجتي او بعضها وقد حذرهم ذلك رسولهم فقال لهم
ان الشيطان قد قعد لابن ادم بطرقه كلها فقعد لهم بطريق الاسلام فقال اتسلم
وتذر دينك ودين ابائك فخالفه فاسلم فقعد له بطريق الهجرة فقال اتهاجر وتذر
ارضك وسماك فخالفه وهاجر فقعد له بطريق الجهاد فقال اتجاهد فتقتل فيقسم
المال وتنكح الزوجة فهكذا فاقعدوا لهم بكل طريق الخير فاذا اراد احدهم ان يتصدق
فاقعدوا له على طريق الصدقة وقولوا له في نفسه اتخرج المال فتبقى مثل السائل
وتصير بمنزلته انت فهو سوا او ما سمعتم ما القيت على لسان رجل ساله ان
يتصدق عليه هي اموالنا ان اعطيناكم صرنا مثلكم واقعدوا بطريق الحج فقولوا
طريق مخوفة مشقة يتعرض سالكها لتلف النفس والمال وهكذا فاقعدوا له على
سائر طرق الخير بالتنفير منها وذكر صعوبتها وافاتها ثم اقعدوا له على طرق المعاصي
فحسنوها في اعين بني ادم وزينوها في قلوبهم واجعلوا اكثر اعوانكم على ذلك النسا
ومن ابوابهن فادخلوا عليهم فنعم العون هن لكم ثم الزموا ثغر اليدين و
الرجلين فامنعوها ان تبطش بما يضركم او تمشي فيه واعلموا ان اكبر اعوانكم
على لزوم هذه الثغور مصالحة النفس الامارة فاعينوها واستعينوا بها وامدوها
واستمدوا منها وكونوا معها على حرب النفس المطمئنة واجتهدوا في كسرها وابطال قوتها
ولا سبيل الى ذلك الا بقطع موادها عنها فاذا انقطع موادها وقويت مواد النفس الامارة
وانطاعت لكم اعوانها فاستنزلوا القلب من حصنه واعزلوه عن مملكته وولوا مكانه
النفس الامارة فانها لا تامر الا بما تهوونه وتحبونه ولا تجيئكم بما تكرهونه البتة مع انها
لا تخالفكم في شيء تشيرون به عليها بل اذا اشرتم عليها بشيء بادرت الى فعله فان
احسستم من القلب منازعة الى مملكته واردتم الامن من ذلك فاعقدوا بينه
وبين النفس عقد النكاح فزينوها وجملوها واروه اياها في احسن صورة
عروس توجد وقولوا له ذق طعم هذا الوصال والتمتع بهذا العروس كما ذقت
طعم الحرب وباشرت مرارة الطعن والضرب ثم وازن بين لذة هذه المسالمة و
مرارة تلك المحاربة فدع الحرب تضع اوزارها فليست بيوم وتنقضي وانما هو
حرب متصل بالموت وقواك تضعف عن حرب دايم واستعينوا يا بني بجندين عظيمين

لن تغلبوا

لعلهم وما لكم

لن تغلبوا معهما احدهما جند الغفلة فاغفلوا قلوب بني ادم عن الله والدار
الاخرة بكل طريق فليس لكم شيء ابلغ في تحصيل غرضكم من ذلك فان القلب اذا غفل
عن الله تمكنتم منه ومن اغوائه والثاني جند الشهوات فزينوها في قلوبهم وحسنوها
في اعينهم وصولوا عليهم بهذين العسكرين فليس لكم في بني ادم ابلغ منهما واستعينوا
على الشهوات بالغفلة وقربوا بين الغافلين ثم استعينوا بهما على الذاكر ولا يغلب
واحد خمسة فان مع الغافلين شيطانين صاروا اربعة وشيطان الذاكر معهم و
اذا رايتم جماعة مجتمعين على ما يضركم من ذكر الله او مذاكرة امره ونهيه ودينه
ولم تقدروا على تفريقهم فاستعينوا عليهم ببني جنسهم من الانس البطالين فقربوهم
منهم وشوشوا عليهم بهم وبالجملة فاعدوا للامور اقرانها وادخلوا على كل
واحد من بني ادم من باب ارادته وشهوته فساعدوه عليها وكونوا اعوانا له
على تحصيلها وان كان الله قد امرهم بالصبر ان يصبروا لكم ويصابروا ويرابطوا
عليكم الثغور فاصبروا وصابروا عليهم الثغور وانتهزوا فرصتكم فيهم عند الشهوة
والغضب فلا تصطادوا بني ادم في اعظم من هذين الموطنين واعلموا ان منهم
من يكون سلطان الشهوة عليه اغلب وسلطان غضبه ضعيف مقهور فخذوا
عليه طريق الشهوة ودعوا طريق الغضب ومنهم من يكون سلطان الغضب عليه
اغلب فلا تخلوا طريق الشهوة عليه ولا تعطلوا ثغرها فان من لم يملك نفسه عند
الغضب فانه بالحري ان لا يملكها عند الشهوة فزوجوا بين غضبه وشهوته وامزجوا
احدهما بالاخر وادعوه الى الشهوة من باب الغضب والى الغضب من طريق الشهوة و
اعلموا انه ليس لكم في بني ادم سلاح ابلغ من هذين السلاحين وانما اخرجت ابوهم
من الجنة بالشهوة وانما القيت العداوة بين اولادهم بالغضب فبه قطعت ارحامهم
وسفكت دماءهم وبه قتل احد بني ادم اخاه واعلموا ان الغضب جمرة في قلب بني
ادم والشهوة نار تثور في قلبه وانما يطفى النار بالماء والصلاة والذكر والتكبير
فاياكم ان تمكنوا ابن ادم عند غضبه وشهوته من قربان الوضوء والصلاة فان
ذلك يطفي عنهم نار الغضب والشهوة وقد امرهم نبيهم بذلك فقال ان الغضب
جمرة في قلب ابن ادم اما رايتم من احمرار عينيه وانتفاخ اوداجه فمن احس بذلك

فليتوصوا وقال الحسن انما يطفى النار بالماء وقد اوصاهم الله ان يستعينوا عليكم بالصبر
والصلاة فحولوا بينهم وبين ذلك وانسوهم اياه واستعينوا عليهم بالشهوة والغضب
وابلغ اسلحتكم فيهم وانكاها الغفلة واتباع الهوى واعظم اسلحتهم فيكم وامنع
حصونهم ذكر الله ومخالفة الهوى فاذا رايتم الرجل مخالفا لهواه فاهربوا من
ظله ولا تقربوا منه والمقصود ان الذنوب والمعاصي سلاح يمد بها العبد
اعداءه ويعينهم بها على نفسه فيقاتلونه بسلاحه ويكون معهم على نفسه وهذا غاية
الجهل شعر وما تبلغ الاعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه ومن
العجائب ان العبد يسعى بجهده في هوان نفسه وهو يزعم انه لها مكرم ويجتهد
في حرمانها على حظوظها واشرفها وهو يزعم انه يسعى في حظها ويبذل جهده في
تحقيرها وتدنيسها وهو يزعم انه يعليها ويرفعها ويكبرها وكان بعض السلف
يقول في خطبته الا رب مهين لنفسه وهو يزعم انه لها مكرم ومذل لنفسه وهو
يزعم انه لها معز ومصغر لنفسه وهو يزعم انه لها مكبر ومضيع لنفسه وهو يزعم
انه مراع لحقها وكفى بالمرء جهلا ان يكون مع عدوه على نفسه يبلغ منها بفعله
ما لا يبلغه عدوه والله المستعان فصل ومن عقوباتها انها تنسي
العبد نفسه واذا نسي نفسه اهملها وافسدها واهلكها فان قيل كيف
ينسى العبد نفسه واذا نسي نفسه فاي شيء يذكر وما معنى نسيانه نفسه قيل
نعم ينسى نفسه اعظم نسيان قال الله تعالى ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم
انفسهم اولئك هم الفاسقون فلما نسوا ربهم سبحانه نسيهم وانساهم انفسهم كما
قال الله نسوا الله فنسيهم فعاقب سبحانه من نسيه عقوبتين احدهما انه سبحانه
نسيه والثاني انه انساه نفسه ونسيانه للعبد اهماله وتركه وتخليته عنه واضاعته
ونسيانه فالهلاك ادنى اليه من اليد الى الفم واما انساؤه نفسه فهو انساؤه لحظوظها
العالية واسباب سعادتها وفلاحها واصلاحها وما تكمل به جميعه فلا يخطر
بباله ولا يجعله على ذكره ولا يصرف اليه همته فيرغب فيه فانه لا يمر بباله حتى
يقصده ويؤثره وايضا فينسيه عيوب نفسه ونقصها وآفاتها فلا يخطر بباله
ازالتها واصلاحها وايضا ينسيه امراض نفسه وقلبه والامها فلا يخطر

بقلبه

بقلبه مداواتها ولا السعي في ازالة عللها وامراضها التي تؤول بها الى الفساد
والهلاك فهو مريض مثخن بالمرض ومرضه مترام به الى التلف ولا يشعر بمرضه ولا يخطر
بباله مداواته وهذا من اعظم العقوبة العامة والخاصة واي عقوبة اعظم من عقوبة
من اهمل نفسه وضيعها ونسي مصالحها وداءها ودواءها واسباب سعادتها وفلاحها وحياتها
الابدية في النعيم المقيم ومن تامل هذا الموضع تبين له ان اكثر هذا الخلق قد نسوا
انفسهم حقيقة وضيعوها واضاعوا حظها من الله وباعوها رخيصة بثمن
بخس بيع الغبن وانما يظهر لهم هذا عند الموت ويظهر كل الظهور يوم التغابن
يوم يظهر للعبد انه غبن في العقد الذي عقده لنفسه في هذه الدار والتجارة
التي يتجر فيها لمعاده فان كل احد يتجر في هذه الدنيا للاخرة فالخاسرون الذين
يعتقدون انهم اهل الربح والكسب اشتروا الحيوة الدنيا وحظهم فيها ولذتهم
فيها بالاخرة وحظهم فاذهبوا طيباتهم في حياتهم الدنيا واستمتعوا بها ورضوا
بها واطمانوا اليها وكان سعيهم لتحصيلها فباعوا واشتروا واتجروا باعوا آجلا
بعاجل ونسيئة بنقد وغائبا بناجز وقالوا هذا هو الحزم ويقول احدهم
خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به وكيف ابيع حاضرا نقدا مشاهدا في هذه الدار
بغائب نسيئة في دار اخرى غير هذه وينضم الى ذلك ضعف الايمان وقوة داعي
الشهوة ومحبة العاجلة والتشبه ببني الجنس فاكثر الخلق في هذه التجارة الخاسرة
الخاسرة التي قال الله سبحانه في اهلها اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا
بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وقال فما ربحت تجارتهم وما كانوا
مهتدين فاذا كان يوم التغابن ظهر لهم الغبن في هذه التجارة فتتقطع عليها
النفوس حسرات واما الرابحون فانهم باعوا فانيا بباق وخسيسا بنفيس و
حقيرا بعظيم وقالوا ما مقدار هذه الدنيا من اولها الى آخرها حتى نبيع حظنا من
الله والدار الاخرة بها فكيف بما يناله العبد منها في هذا الزمان القصير الذي هو
في الحقيقة كغفوة حلم لا نسبة له الى دار البقاء البتة قال الله تعالى ويوم يحشرهم كان
لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم وقال تعالى يسالونك عن الساعة ايان
مرسيها فيم انت من ذكريها الى ربك منتهيها انما انت منذر من يخشيها كانهم يوم يرونها

لم يلبثوا الا عشية او ضحيها وقال تعالى كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة
من نهار وقال تعالى كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فسال
العادين قال ان لبثتم الا قليلا لو كنتم تعلمون وقال تعالى يوم ينفخ في الصور ونحشر
المجرمين الى جهنم زرقا يتخافتون بينهم ان لبثتم الا يوما فهذا حقيقة هذه الدنيا
عند موافاة يوم القيمة فلما علموا قلة لبثهم فيها وان لهم دارا غير هذه
الدار هي دار الحيوان ودار البوار ومن اعظم الغبن بيع دار البقا بدار الفنى
فاتجروا تجارة الاكياس ولم يغتروا بتجارة السفهاء من الناس فظهر لهم يوم
التغابن ربح تجارتهم ومقدار ما اشتروه وكل احد في هذه الدنيا بايع ومشتر
ومتجر وكل الناس يغدو فبايع نفسه موبقها او مبتاعها فمعتقها ان الله اشترى
من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون
ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا
ببيعكم الذي بايعتم به وذلك الفوز العظيم فهذا اول نقد من ثمن هذه التجارة
فتاجروا ايها المفلسون ويا من لا يقدر على هذا الثمن ههنا ثمن اخر فان كنت من
اهل هذه التجارة فاعط هذا الثمن التائبون العابدون الحامدون السائحون
الراكعون الساجدون الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون
لحدود الله وبشر المؤمنين يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب
اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم
خير لكم ان كنتم تعلمون والمقصود ان الذنوب تنسي العبد حظه من هذه
التجارة الرابحة وتشغله بالتجارة الخاسرة وكفى بذلك حرمانا وعقوبة والله المستعان

فصل ومن عقوباتها انها تزيل النعم الحاضرة وتقطع النعم الواصلة
فتزيل الحاصل وتمنع الواصل فان نعم الله ما حفظ موجودها بمثل طاعته
ولا استجلب مفقودها بمثل طاعته فان ما عنده لا ينال الا بطاعته وقد جعل
الله سبحانه لكل شيء سببا وافة سببا تجلبه وافة تبطله فجعل اسباب نعمه الجالبة
لها طاعته وافاتها المانعة منها معصيته فاذا اراد حفظ نعمته على عبده الهمه
رعايتها بطاعته فيها واذا اراد زوالها عنه خذله حتى عصاه بها ومن العجب علم

العبد بذلك مشاهدة في نفسه وغيره وسماعا لما غاب عنه من اخبار من ازال
نعم الله عنهم بمعاصيه وهو مقيم على معصية الله كانه مستثنى من هذه
الجملة او مخصوص من هذا العموم وكان هذا امر جار على الناس لا عليه وواصل
الى الخلق لا اليه فاي جهل ابلغ من هذا واي ظلم للنفس فوق هذا فالحكم لله العلي
الكبير

فصل ومن عقوباتها انها تباعد عن العبد وليه وانفع الخلق
له وانصحهم له ومن سعادته في قربه وهو الملك الموكل به وتدني منه عدوه
واغش الخلق له واعظمهم ضررا له وهو الشيطان فان العبد اذا عصى الله تباعد
منه الملك بقدر تلك المعصية حتى انه ليتباعد منه بالكذبة الواحدة مسافة
بعيدة وفي بعض الاثار اذا كذب العبد تباعد منه الملك ميلا من نتن
ريحه فاذا كان هذا تباعد الملك منه من كذبة واحدة فكيف يكون مقدار
بعده منه مما هو اكبر من ذلك وافحش منه وقال بعض السلف اذا ركب الذكر
على الذكر عجت الارض الى الله وهربت الملائكة الى ربها وشكت اليه عظم ما رات
قال بعض السلف اذا اصبح العبد ابتدره الملك والشيطان فان ذكر الله وكبره
وحمده وهلله طرد الملك الشيطان وتولاه وان افتتح بغير ذلك ذهب الملك
وتولاه الشيطان ولا يزال الملك يقرب من العبد حتى يصير الحكم والغلبة
والطاعة له فتتولاه الملائكة في حيوته وعند موته وعند بعثه كما قال الله تعالى
ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا
وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا وفي
الاخرة واذا تولى الملك تولاه انصح الخلق وانفعهم وابرهم فثبته وعلمه وقوى
جنانه وايده قال الله تعالى اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين امنوا ويقول
له الملك عند الموت لا تخف ولا تحزن وابشر بالذي يسرك ويثبته بالقول
الثابت احوج ما يكون اليه في الحيوة الدنيا وعند الموت وفي القبر عند المسئلة
فليس احد انفع للعبد من صحبة الملك وهو وليه في يقظته ومنامه وحياته
وعند موته وفي قبره ومؤنسه في وحشته وصاحبه في خلوته ومحدثه
في سره ويحارب عنه عدوه ويدافع عنه ويعينه عليه ويعده بالخير ويبشره

بقلب ابن ادم

به وعنه على التصديق بالحق كما جاء في الاثر الذي روي مرفوعا وموقوفا ان
للملك لمة وللشيطان لمة فلمة الملك ايعاد بالخير وتصديق بالوعد ولمة
الشيطان ايعاد بالشر وتكذيب بالحق واذا اشتد قرب الملك من العبد تكلم
على لسانه والقى عليه قول الحق واذا اشتد قرب الشيطان من العبد تكلم على لسانه
والقى عليه قول الزور والفحش حتى يرى الرجل يتكلم على لسانه الملك والرجل يتكلم
على لسانه الشيطان وفي الحديث ان السكينة تنطق على لسان عمر وكان احدهم يسمع
الكلمة الصالحة من الرجل فيقول القاها على لسانك ملك ويسمع ضدها فيقول
القاها على لسانك الشيطان فالملك يلقي في القلب الحق ويلقيه على اللسان والشيطان
يلقي الباطل ويجريه على اللسان فمن عقوبات المعاصي انها تبعد العبد من وليه
الذي سعادته في قربه ومجاورته وموالاته حتى ان الملك لينافح عن العبد و
يرد عنه اذا سفه عليه السفيه وسبه كما اختصم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
رجلان فجعل احدهما يسب الاخر وهو ساكت فتكلم بكلمة فردها على صاحبه فقام
النبي صلى الله عليه وسلم لما رد عليه بعض قوله فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم قمت فقال
كان الملك ينافح عنك فلما رددت عليه جاء الشيطان فلم اكن لاجلس مع الشيطان
واذا دعى العبد المسلم لاخيه بظهر الغيب امن الملك على دعائه وقال ولك مثله واذا فرغ
من قراءة الفاتحة امنت الملائكة على دعائه واذا اذنب العبد المؤمن الموحد
المتبع لسبيل الله وسنة رسوله استغفر له حملة العرش ومن حوله واذا نام على
وضوء بات في شعاره ملك فلما استيقظ من الليل استغفر له ملك الموت يرد
عنه ويحاربه ويدافع ويعلمه ويثبته ويشجعه فلا يليق به ان يسيء جواره ويبالغ
في اذاه وطرده عنه وابعاده منه فانه ضيفه وجاره واذا كان اكرام الضيف من
الادميين والاحسان الى الجار من لوازم الايمان وموجباته فما الظن باكرام اكرم
الاضياف وخير الجيران وابرهم واذا اذى العبد الملك بانواع المعاصي والظلم
والفواحش دعا عليه ربه وقال لا جزاك الله خيرا كما يدعو له اذا اكرمه بالطاعات
والاحسان قال بعض الصحابة ان معكم من لا يفارقكم فاستحيوا منه واكرموه ولا
الام ممن لا يستحي من الكريم العظيم ولا يجله ولا يوقره وقد نبه سبحانه على هذا المعنى

بقوله

بقوله وان عليكم لحافظين كراما كاتبين اي استحيوا من هولاء الحافظين الكرام
واكرموهم واجلوهم ان يروا منكم ما تستحيوا ان يراكم عليه من هو مثلكم
والملئكة تتاذى مما يتاذى منه بنو ادم فاذا كان ابن ادم يتاذى ممن يفجر
ويعصي بين يديه وان كان قد يعمل مثل عمله فما الظن باذى الملئكة الكرام
الكاتبين والله المستعان فصل ومن عقوباتها انها تستجلب
مواد هلاك العبد في دنياه واخرته فان الذنوب هي امراض ومتى
استحكمت قتلت ولا بد وكما ان البدن لا يكون صحيحا الا بغذا يحفظ
قوته واستفراغ يستفرغ المواد والاخلاط الردية التي متى غلبت عليه
افسدته وحمية يمتنع بها من تناول ما يوذيه ويخشى ضرره فكذلك
القلب لا يتم حياته الا بغذاء من الايمان والاعمال الصالحة تحفظ قوته و
استفراغ بالتوبة النصوح تستخرج المواد الفاسدة والاخلاط الردية
منه وحمية توجب له حفظ الصحة وتجنب ما يضادها وهي عبارة
عن ترك استعمال ما يضاد الصحة والتقوى اسم متناول لهذه الامور
الثلاثة فما فات منها فات من التقوى بقدره فاذا تبين هذا فالذنوب
مضادة لهذه الامور الثلثة فانها تستجلب المواد الموذية وتوجب التخليط
المضاد للحمية وتمنع الاستفراغ بالتوبة النصوح فانظر الى بدن عليل قد
تراكمت عليه الاخلاط ومواد المرض وهو لا يستفرغها ولا يحتمي لها كيف
تكون صحته وبقاؤه ولقد احسن القائل شعر

جسمك بالحمية حصنته ٤ مخافة من الم طاري ٤
وكان اولى بك ان تحتمي ٤ من المعاصي خشية الباري ٤

فمن حفظ القوة بامتثال الاوامر واستعمل الحمية باجتناب النواهي و
استفرغ التخليط بالتوبة النصوح لم يدع للخير مطلبا ولا من الشر
مهربا والله المستعان فصل فان لم
هذه العقوبات الشرعية وهي
التي شرعها الله تعالى ورسوله عن الجرائم كما قطع اليد في سرقة ثلاثة دراهم
وقطع اليد والرجل في قطع الطريق على معصوب المال والنفس وشق الجلد

٢ ولم تجد لها تاثيرا في قلبك فاحضر العقوبات ٢

بالسوط على كلمة قذف المحصن او قطرة خمر يدخلها جوفه وقتل بالحجارة
اشنع قتلة في ايلاج الحشفة في فرج حرام وخفف هذه العقوبة على من لم يتم
نعمة الاحصان بمائة جلدة ونفي سنة عن وطنه وبلده الى بلاد الغربة وفرق
بين رأس العبد وبدنه اذا وقع ذات رحم محرم منه او ترك الصلوة المفروضة
او تكلم بكلمة كفر وامر بقتل من وطي ذكرا مثله وقتل المفعول به وامر بقتل
من اتى بهيمة وقتل البهيمة معه وعزم على تحريق بيوت المتخلفين عن الصلاة
في الجماعة وغير ذلك من العقوبات التي قد رتبها على الجرائم وجعلها بحكمته على
حسب الدواعي الى تلك الجرائم وحسب الوازع عنها فما كان الوازع عنه طبعيا
وليس في الطباع داع اليه اكتفى فيه بالتحريم مع التعزير ولم يرتب عليه حدا كاملا
كاكل الرجيع وشرب الدم واكل الميتة وما كان في الطباع داع اليه رتب عليه
من العقوبة بقدر مفسدته وبقدر دواعي الطبع اليه ولهذا لما كان داعي الطباع
الى الزنا من اقوى الدواعي كانت عقوبته العظمى اشنع القتلات واعظمها و
عقوبته السفلى اعلى انواع الجلد مع زيادة التغريب ولما كان اللواط فيه
الامران كان حده القتل بكل حال ولما كان داعي السرقة قويا ومفسدتها
كذلك قطع اليد وتامل حكمته في افساد العضو الذي باشر به الخيانة كما افسد
على قاطع الطريق يده ورجله اللتين هما آلة قطعه ولم يفسد على القاذف
لسانه الذي جنى به اذ مفسدة قطعه تزيد على مفسدة الجناية ولا تبلغها و
اكتفى بذلك بايلام جميع بدنه بالجلد فان قيل فهلا افسد على الزاني فرجه
الذي باشر به المعصية قيل لوجوه **احدها** ان مفسدة ذلك تزيد على
مفسدة الجناية اذ فيه قطع النسل وتعريضه الى الهلاك **الثاني** ان الفرج عضو
مستور لا يحصل فيه مقصود الحد من الردع والزجر لامثاله من الجناة كما
يحصل بقطع اليد **الثالث** انه اذا قطع [illegible] يعوض عنه اخرى بخلاف
الفرج **الرابع** ان لذة الزنا عمت جميع البدن فكان الاحسن ان تعم العقوبة
جميع البدن وذلك اولى من تخصيصها ببضعة منه فعقوبات الشارع جاءت
على اتم الوجوه واوفقها للعقل واقومها بالمصلحة والمقصود ان الذنوب

اما ان تترتب عليها العقوبات الشرعية والقدرية او يمحوها الله للعبد وقد يرفعها
عمن تاب واحسن **فصل** وعقوبات الذنوب نوعان شرعية وقدرية
فاذا اقيمت الشرعية رفعت العقوبة القدرية او خففتها ولا يكاد الرب تعالى
يجمع على عبده بين العقوبتين اذا لم يف احدهما برفع موجب الذنب ولم يكف
في زوال دائه واذا عطلت العقوبات الشرعية استحالت قدرية وربما كانت اشد
من الشرعية وربما كانت دونها ولكنها تعم والشرعية اخص فان الرب تبارك وتعالى
لا يعاقب شرعا الا من باشر الجناية او تسبب اليها واما العقوبة القدرية فيها نوع
عامة وخاصة فان المعصية اذا خفيت لم تضر الا صاحبها واذا اعلنت ضرت
الخاصة والعامة واذا راى الناس المنكر فاشتركوا في ترك انكاره اوشك ان يعمهم
الله بعقابه وقد تقدم ان العقوبة الشرعية شرعها الله سبحانه على قدر مفسدة
الذنب وتقاضي الطبع له وجعلها سبحانه ثلاثة انواع القتل والقطع والجلد
وجعل القتل بازاء الكفر وما يليه ويقرب منه وهو الزنا واللواط فان هذا
يفسد الاديان وهذا يفسد الانساب ونوع الانسان **قال** الامام احمد لا اعلم
بعد القتل ذنبا اعظم من الزنا واحتج بحديث عبد الله بن مسعود انه قال يا رسول
الله اي الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم اي قال ان تقتل
ولدك مخافة ان يطعم معك قال قلت ثم اي قال ان تزاني بحليلة جارك فانزل الله
سبحانه تصديقها والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم
الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما الاية والنبي صلى الله عليه وسلم ذكر
من كل نوع اعلاه ليطابق جوابه سوال السائل فانه سأل عن اعظم الذنب فاجابه
بما تضمن ذكر اعظم انواعها وما هو اعظم كل نوع فاعظم انواع الشرك ان يجعل العبد
لله ندا واعظم انواع القتل ان يقتل ولده خشية ان يشاركه في طعامه وشرابه
واعظم انواع الزنا ان يزني بحليلة جاره فان مفسدة الزنا تتضاعف بتضاعف
ما انتهكه من الحق والزنا بالمراة التي لها زوج اعظم اثما وعقوبة من التي لا زوج
لها اذ فيه انتهاك حرمة الزوج وافساد فراشه وتعليق نسب عليه لم يكن منه
وغير ذلك من انواع اذاه فهو اعظم اثما وجرما من الزنا بغير ذات البعل فان

كان زوجها جارا له انضاف الى ذلك سوء الجوار واذا جاره باعلا انواع الاذا
وذلك من اعظم البوائق وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يدخل الجنة
من لا يامن جاره بوائقه ولا بائقة اعظم من الزنى بامراته فالزنى بمائة امراة
لا زوج لها ايسر عند الله من الزنا بامراة الجار فان كان الجار اخا له او قريبا من
اقاربه انضم الى ذلك قطيعة رحم فيتضاعف الاثم فان كان الجار غائبا في طاعة
الله كالصلوة وطلب العلم والجهاد تضاعف الاثم حتى ان الزاني بامراة الغازي
في سبيل الله يوقف له يوم القيمة ويقال خذ من حسناته ما شئت قال النبي
صلى الله عليه وسلم فما ظنكم اي ما ظنكم انه يترك له من حسناته قد حكم في انه
ياخذ منها ما شاء على شدة الحاجة الى حسنة واحدة حيث لا يترك الاب لابنه
ولا الصديق لصديقه حقا يجب له عليه فان اتفق ان تكون المراة رحما منه
انضاف الى ذلك قطيعة رحمها فان اتفق ان يكون الزاني محصنا كان الاثم اعظم
فان كان شيخا كان اعظم اثما وهو احد الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيمة ولا
يزكيهم ولهم عذاب اليم فان اقترن بذلك ان يكون في شهر حرام او بلد حرام
او وقت معظم عند الله كاوقات الصلاة واوقات الاجابة تضاعف الاثم وعلى
هذا فاعتبر مفاسد الذنوب وتضاعف درجاتها في الاثم والعقوبة والله المستعان

فصل وجعل القطع بازاء افساد الاموال الذي لا يمكن الاحتراز منه
فان السارق لا يمكن الاحتراز منه لانه ياخذ المال في اختفاء وينقب الدور ويتسور
من غير الابواب كالسنور والحية التي تدخل عليك من حيث لا تعلم فلم تقطع
عقوبة سرقته الى القتل ولا يندفع بالجلد فاحسن ما دفعت به مفسدته ابانة
العضو الذي يتسلط به على الجناية وجعل الجلد بازاء افساد العقول وتمزيق
الاعراض بالقذف فدارت عقوباته سبحانه الشرعية على هذه الانواع الثلاثة
كما دارت الكفارات على ثلاثة انواع العتق وهو اعلاها والاطعام والصيام
ثم انه سبحانه جعل الذنوب ثلاثة اقسام قسما فيه الحد فهذا لم يشرع فيه
كفارة اكتفاء بالحد وقسما لم يرتب عليه حدا فشرع فيه الكفارات كالوطي
في نهار رمضان والوطي في الاحرام والظهار وقتل الخطا والحنث في اليمين وغير ذلك

وقسما

٤٧

وقسما لم يرتب عليه حدا ولا كفارة وهو نوعان احدهما ما كان الوازع
فيه طبعيا كاكل العذرة وشرب الدم والبول والثاني ما كان مفسدته ادنى
من مفسدة ما رتب عليه الحد كالنظر والقبلة واللمس والمحادثة وسرقة فلس
ونحو ذلك وشرع الكفارة في ثلاثة انواع احدها ما كان مباح الاصل ثم
عرض تحريمه فباشره في الحال التي عرض فيها التحريم كالوطي في الاحرام والصيام و
طرده الوطي في الحيض والنفاس بخلاف الوطي في الدبر ولهذا كان الحاق بعض الفقهاء
له بالوطي في الحيض لا يصح فانه لا يباح في وقت دون وقت فهو بمنزلة اللواط وشرب
المسكر النوع الثاني ما عقد الله من نذر او حلف بالله من يمين او حرمه الله ثم اراد حله
فشرع الله حله بالكفارة وسماها تحلة وليست هذه الكفارة ماحية لهتك حرمة
الاسم بالحنث كما ظنه بعض الفقهاء فان الحنث قد يكون واجبا وقد يكون مستحبا و
يكون مباحا وانما الكفارة حل لما عقده النوع الثالث ما يكون فيه جابرة لما فات
ككفارة قتل الخطا ان لم يكن هناك اثم وكفارة قتل الصيد خطا فان ذلك من باب
الجوابر والنوع الاول من باب الزواجر والنوع الاوسط من باب التحلة لما منعه
العقد ولا يجتمع الحد والتعزير في معصية بل ان كان فيها حد اكتفي به و
الا اكتفا بالتعزير ولا يجتمع الحد والكفارة في معصية فيها الحد والكفارة بل
كل معصية فيها الحد فلا كفارة فيها وما فيه كفارة فلا حد فيه وهل يجتمع
التعزير والكفارة في المعصية التي لا حد فيها فيه وجهان وهذا كالوطي في
الصيام والاحرام ووطي الحائض اذا اوجبنا فيه الكفارة وقيل يجب التعزير لما
انتهك من الحرمة بركوب الجناية وقيل لا تعزير في ذلك اكتفاء بالكفارة فانها
جابرة وماحية

فصل ومن العقوبات القدرية وهو نوعان نوع على
القلوب والنفوس ونوع على الابدان والاموال فالتي على القلوب نوعان احدهما
الام وجودية يضرب بها القلب والثاني قطع المواد التي بها حياته وصلاحه
عنه واذا قطعت عنه حصل اضدادها وعقوبة القلوب اشد العقوبتين
وهي اصل عقوبة الابدان وهذه العقوبة تقوى وتتزايد حتى تسري من القلب
الى البدن كما يسري الم البدن الى القلب فاذا فارقت النفس البدن صار الحكم متعلقا

بها وظهرت عقوبة القلب حينئذ وصارت عيانية ظاهرة وهي المسمى بعذاب القبر ونسبته الى البرزخ كنسبة عذاب الابدان الى هذه الدار **فصل** والتي على الابدان ايضا نوعان نوع في الدنيا ونوع في الاخرة وشدتها وتفاوتها بحسب مفاسد ما رتبت عليه في الشدة والخفة فليس في الدنيا والاخرة شر اصلا الا الذنوب فالشر اسم لذلك كله واصله من شر النفس وسيئات الاعمال وهما الاصلان اللذان كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيذ منهما في خطبته بقوله ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا وسيئات الاعمال من شرور النفوس فعاد الشر كله الى شر النفس فاما سيئات الاعمال من فروعه وثمراته وقد اختلف في معنى قوله ومن سيئات اعمالنا هل معناه من السيء من اعمالنا فيكون من باب اضافة النوع الى جنسه ويكون بمعنى من وقيل معناه من عقوباتها التي تسوؤنا فيكون التقدير ومن عقوبات اعمالنا التي تسوؤنا ويرجح هذا القول ان الاستعاذة تكون قد تضمنت جميع الشر فان شرور الانفس تستلزم الاعمال السيئة وهي تستلزم العقوبات السيئة فنبه بشرور الانفس على ما يقتضيه من قبح الاعمال واستغنى بذكرها منه وهي اصله ثم ذكر غاية الشر ومنتهاه وهي السيئات التي تسوء العبد من عمله من العقوبات والالام فتضمنت هذه الاستعاذة اصل الشر وفرعه وغايته ومقتضاه ومن دعا الملائكة للمؤمنين **وقوله** وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته فهذا يتضمن وقايتهم من سيئات الاعمال وعقوباتها التي تسوء صاحبها فانه سبحانه متى وقاهم العمل السيء وقاهم جزاءه السيء وان كان قوله ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته اظهر في عقوبات الاعمال المطلوب وقايتها يومئذ فان قيل فقد سالوه سبحانه ان يقيهم عذاب الجحيم وهذا هو وقاية العقوبات السيئة فدل ان المراد باكتساب التي سالوا وقايتها الاعمال السيئة ويكون الذي ساله الملائكة نظير ما استعاذ منه النبي صلى الله عليه وسلم ولا يرد على هذا يومئذ فان المطلوب وقاية شرور سيئات الاعمال وهي سيئات في انفسها قيل وقاية السيئات نوعان احدهما وقاية فعلها بالتوفيق فلا يصدر منها

والثاني

والثاني وقاية جزائها بالمغفرة فلا يعاقب عليها فتضمنت الاية سوال الامرين فالظرف تقييد للجملة الشرطية لا الجملة الطلبية وتامل ما تضمنه هذا الخبر عن الملائكة من مدحهم بالايمان والعمل الصالح والاحسان الى المومنين بالاستغفار لهم وقدموا بين يدي استغفارهم توسلهم الى الله سبحانه بسعة علمه وسعة رحمته فسعة علمه يتضمن علمه بذنوبهم واسبابها وضعفهم عن العصمة واستيلاء عدوهم وانفسهم وهواهم وطباعهم وما زين لهم من الدنيا وزينتها وعلمه بهم اذ انشاهم من الارض واذ هم اجنة في بطون امهاتهم وعلمه السابق بانه لابد ان يعصوه فانه يحب العفو والمغفرة وغير ذلك مما سعة علمه الذي لا يحيط به احد سواه **وسعة** رحمته تتضمن انه لا يهلك عليه احد من المؤمنين اهل التوحيد ومحبته فانه واسع الرحمة لا يخرج من دائرة رحمته الا الاشقياء ولا اشقى ممن لم تسعه رحمته التي وسعت كل شيء ثم سالوه ان يغفر للتائبين وهم الذين اتبعوا سبيله وهو صراطه الموصل اليه الذي هو معرفته ومحبته وطاعته فتابوا مما يكره واتبعوا السبيل التي يحبها ثم سالوه ان يقيهم عذاب الجحيم وان يدخلهم والمؤمنين ممن صلح من ازواجهم وذرياتهم جنات عدن التي وعدهم بها فهو سبحانه وان كان لا يخلف الميعاد فانه وعدهم بها باسباب من جملتها دعاء ملائكته لهم بان يدخلهم الجنة فدخلوها برحمته التي منها ان وفقهم لاعمالها واقام ملائكته يدعون لهم بدخولها ثم اخبر سبحانه عن الملائكة انهم قالوا عقيب هذه الدعوة انك انت العزيز الحكيم اي مصدر ذلك وسببه وغايته صادر عن كمال قدرتك وكمال علمك فالعزة كمال القدرة والحكمة كمال العلم وبهاتين الصفتين يقضي سبحانه ما شاء ويامر وينهى ويثيب ويعاقب فهاتان الصفتان مصدر الخلق والامر والمقصود ان عقوبات السيئات تتنوع الى عقوبات شرعية وعقوبات قدرية وهي اما في القلب واما في البدن واما فيهما وعقوبات في دار البرزخ بعد الموت وعقوبات يوم حشر الاجساد فالذنب لا يخلو من عقوبة البتة ولكن لجهل العبد لا يشعر بما هو فيه من العقوبة لانه بمنزلة السكران والمجنون والنائم الذي لا يشعر بالالم فاذا استيقظ وصحى احس بالالم فترتب العقوبات على

الذنوب كتزتب الاحراق على النار والكسر على الانكسار والاغراق على الماء
فساد البدن على السموم والامراض على الاسباب الجالبة لها وقد تقارن المضرة
للذنب وقد تتاخر عنه اما يسيرا اوبعد مدة كما يتاخر المرض عن سببه او يقارنه
وكثيرا ما يقع الغلط للعبد في هذا المقام ويذنب الذنب فلا يرا اثره عقيبه
ولا يدري انه يعمل عمله على التدريج شيئا فشيئا كما تعمل السموم والاشيا الضارة
حذو القذة بالقذة فان تدارك العبد نفسه بالادوية والاستفراغ والحمية
والا فهو صاير الى الهلاك هذا اذا كان ذنبا واحدا لم يتداركه بما يزيل اثره فكيف
بالذنب على الذنب كل يوم وكل ساعة والله المستعان **فصل** فتدبر
فاستحضر بعض العقوبات التي رتبها الله سبحانه على الذنوب وجوز وصول بعضها
اليك وجعل ذلك داعيا للنفس الى هجرانها وانا اسوق لك منها طرفا يكفي العاقل مع
التصديق ببعضه فمنها الختم على القلوب والاسماع والغشاوة على الابصار و
الاقفال على القلوب وجعل الاكنة عليها والرين عليها والطبع وتقليب
الافئدة والابصار والحيلولة بين المرء وقلبه واغفال القلب عن ذكر
الرب وانسا الانسان نفسه وترك ارادة الله تطهير القلب وجعل الصدر
ضيقا حرجا كانما يصعد في السما وصرف القلوب عن الحق وزيادتها
مرضا على مرضها واركاسها ونكسها بحيث تبقى منكوسة كما ذكر الامام
احمد عن حذيفة بن اليمان انه قال القلوب اربعة قلب اجرد فيه سراج ازهر
فذلك قلب المومن وقلب اغلف فذلك قلب الكافر وقلب منكوس فذلك قلب
المنافق وقلب تمده مادتان مادة ايمان ومادة نفاق وهو لما غلب عليه منهما
ومنها التثبيط عن الطاعة والاقعاد عنها **ومنها** جعل القلب اصم لا يسمع
الحق ابكم لا ينطق به اعمى لا يراه فيصير النسبة بين القلب وبين الحق الذي لا ينفعه
غيره كالنسبة بين اذان الاصم والاصوات وعين الاعمى والالوان ولسان الاخرس
والكلام وبهذا يعلم ان الصمم والبكم والعمى للقلب بالذات والحقيقة وللجوارح
بالعرض والتبعية فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وليس
المراد نفي العمى الحسي عن البصر كيف وقد قال الله ليس على الاعمى حرج وقال عبس

وتولى

عبس وتولى ان جاءه الاعمى وانما المراد ان العمى التام في الحقيقة عمى القلب حتى ان عمى
البصر بالنسبة اليه كالاعمى حتى انه يصح نفيه بالنسبة الى كماله وقوته كما قال صلى الله عليه وسلم
ليس الشديد بالصرعة ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب وقوله ليس المسكين بالطواف
الذي ترده اللقمة واللقمتان ولكن المسكين الذي لا يسال الناس ولا يفطن له فيتصدق
عليه ونظائره كثيرة والمقصود ان من عقوبات المعاصي جعل القلب اعمى اصم ابكم **ومنها**
الخسف بالقلب كما يخسف بالمكان وما فيه فيخسف به الى اسفل سافلين وصاحبه لا
يشعر وعلامة الخسف به ان لا يزال جوالا حول السفليات والقاذورات والرذائل
كما ان القلب الذي رفعه الله وقربه اليه لا يزال جوالا حول البر والخير ومعالي الاعمال
والاقوال والاخلاق **قال** بعض السلف ان هذه القلوب جوالة فمنها ما يجول
حول العرش ومنها ما يجول حول الحش **ومنها** مسخ القلب فيمسخ كما تمسخ الصورة
فيصير القلب على قلب الحيوان الذي شابهه في اخلاقه واعماله وطبيعته فمن
القلوب ما يمسخ على خلق الخنازير لشدة شبه صاحبه بها ومنها ما يمسخ على
خلق كلب او حمار او حية او عقرب وغير ذلك **وهذا** تاويل سفيان بن عيينة
في قوله تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم قال منهم من
يكون على اخلاق السباع العادية ومنهم من يكون على اخلاق الكلاب واخلاق
الخنازير واخلاق الحمير **ومنهم** من يتطوس في ثيابه كما يتطوس الطاووس في ريشه
ومنهم من يكون بليدا كالحمار **ومنهم** من يوثر على نفسه كالديك **ومنهم** من يالف ويؤلف
كالحمام **ومنهم** الحقود كالجمل **ومنهم** من هو خير كله كالغنم **ومنهم** اشباه الذئاب **ومنهم**
اشباه الثعالب التي تروغ كروغانها **وقد** شبه الله اهل الجهل والغي بالحمر تارة
وبالكلب تارة وبالانعام تارة وتقوى هذه المشابهة باطنا حتى تظهر في الصورة الظاهرة
ظهورا خفيا يراه المتفرسون ويظهر في الاعمال ظهورا يراه كل احد ولا يزال يقوى
حتى تستشنع الصورة فتنقلب له الصورة باذن الله وهذا هو المسخ
التام فيقلب الله سبحانه الصورة الظاهرة على صورة الحيوان كما فعل باليهود
واشباههم ويفعل بقوم من هذه الامة يمسخهم قردة وخنازير فسبحان
الله كم من قلب منكوس وصاحبه لا يشعر وقلب ممسوخ وقلب مخسوف به وكم

من مفتون بثناء الناس عليه ومغرور بستر الله عليه ومستدرج بنعم الله عليه وكل
هذه عقوبات واهانة ويظن الجاهل انها كرامة ومنها مكر الله بالماكر ومخادعته
للمخادع واستهزاؤه بالمستهزئ وازاغته للقلب الزائغ عن الحق ومنها نكس القلب حتى
يرى الباطل حقا والحق باطلا والمعروف منكرا والمنكر معروفا ويفسد ويرى انه يصلح
ويصد عن سبيل الله وهو يرى انه يدعو اليه ويشتري الضلالة بالهدى وهو يرى انه
على الهدى ويتبع هواه وهو يزعم انه مطيع لمولاه وكل هذا من عقوبات الذنوب
الجارية على القلب ومنها حجاب القلب عن الرب في الدنيا والحجاب الاكبر يوم القيمة
كما قال تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ
لمحجوبون فمنعتهم الذنوب ان يقطعوا المسافة بينهم وبين قلوبهم فيصلوا
اليها فيروا ما يصلحها ويزكيها وما يفسدها ويشقيها وان يقطعوا المسافة
التي بين قلوبهم وبين ربهم فتصل القلوب اليه فتفوز بقربه وكرامته وتقر به
عينا وتطيب به نفسا بل كانت الذنوب حجابا بينهم وبين ربهم وخالقهم ومنها
المعيشة الضنك في الدنيا والبرزخ والعذاب في الاخرة قال الله تعالى ومن اعرض عن
ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى وفسرت المعيشة الضنك
بعذاب القبر ولا ريب انه من المعيشة الضنك والاية تتناول ما هو اعم منه وان كانت
نكرة في سياق الاثبات فان عمومها من حيث المعنى فانه سبحانه رتب المعيشة بحسب
اعراضه وان تنعم في الدنيا باصناف النعيم ففي قلبه من الوحشة والذل والحسرات
التي تقطع القلوب والاماني الباطلة والعذاب الحاضر ما فيه وانما تواريه سكرات
الشهوات والعشق وحب الدنيا والرياسة وان لم ينضم الى ذلك سكر الخمر فسكر
هذه الامور اعظم من سكر الخمر فانه يفيق صاحبه ويصحو وسكر الهوى وحب
الدنيا لا يفيق الا اذا صار في عسكر الاموات فالمعيشة الضنك لازمة لمن
اعرض عن ذكر الله تعالى الذي انزله على رسوله في دنياه والبرزخ وفي معاده ولا
تقر العين ولا يهتدي القلب ولا تطمئن النفس الا بالهها ومعبودها الذي هو
حق وكل معبود سواه باطل فمن قرت عينه بالله قرت منه كل عين ومن لم تقر عينه
بالله انقطعت نفسه على الدنيا حسرات والله تعالى انما جعل الحيوة الطيبة لمن

امن

امن به وعمل صالحا كما قال تعالى من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه
حيوة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون فضمن لاهل الايمان و
العمل الصالح الجزاء في الدنيا بالحيوة الطيبة وبالحسنى يوم القيمة فلهم اطيب
الحياتين وهم احياء في الدارين ونظيرها قوله واستغفروا ربكم ثم توبوا
اليه يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله ففاز المتقون
المحسنون بنعيم الدنيا والاخرة وحصلوا على الحيوة الطيبة في الدارين فان
طيب النفس وسرور القلب وفرحه ولذته وابتهاجه وطمانينته وانشراحه
ونوره وسعته وعافيته من الشهوات المحرمة والشبهات الباطلة هو النعيم
على الحقيقة ولا نسبة لنعيم البدن اليه فقد كان يقول بعض من ذاق هذه
اللذة لو علم الملوك وابناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف وقال اخر انه
يمر بالقلب اوقات اقول فيها ان كان اهل الجنة في مثل هذا انهم لفي عيش طيب
وقال اخر ان في الدنيا جنة هي في الدنيا كالجنة في الاخرة فمن دخلها دخل تلك الجنة
ومن لم يدخلها لم يدخل جنة الاخرة وقد اشار النبي صلى الله عليه وسلم الى هذه الجنة
بقوله اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا وما رياض الجنة قال حلق الذكر وقال
ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ولا تظن ان قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم
وان الفجار لفي جحيم تختص بيوم المعاد فقط بل هؤلاء في نعيم في دورهم الثلاثة
وهؤلاء في جحيم في دورهم الثلاثة واي لذة ونعيم في الدنيا اطيب من بر القلب
وسلامة الصدر ومعرفة الرب تعالى ومحبته والعمل على موافقته وهل العيش
في الحقيقة الا عيش القلب السليم وقد اثنى الله تعالى على خليله بسلامة قلبه قال
وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم والقلب السليم هو الذي سلم
من الشرك والغل والحقد والحسد والشح والكبر وحب الدنيا والرياسة فسلم من
كل افة تبعده من الله وسلم من كل شبهة تعارض خبره وسلم من كل ارادة تزاحم
مراده وسلم من كل قاطع يقطع عن الله فهذا القلب السليم في جنة معجلة في الدنيا
وفي جنة البرزخ وفي جنة يوم المعاد ولا تتم له سلامته مطلقا حتى يسلم من خمسة
اشياء من شرك يناقض التوحيد وبدعة تخالف السنة وشهوة تخالف الامر

وغفلة تناقض الذكر وهو يناقض التجريد والاخلاص وهذه الخمسة تحجب عن
الله وتحت كل واحدة منها انواع كثيرة تتضمن افراد الاشخاص ولذلك اشتدت
حاجة العبد بل ضرورته الى ان يسأل الله ان يهديه الصراط المستقيم فليس العبد احوج
منه الى هذه الدعوة وليس شيء انفع له منها فان الصراط المستقيم يتضمن علوما
وارادات واعمالا وتروكات ظاهرة وباطنة تجري عليه كل وقت فتفاصيل الصراط
المستقيم قد يعلمها العبد وقد لا يعلمها وقد يكون ما لا يعلمه اكثر مما يعلمه وما يعلمه
وما قد يقدر عليه وقد لا يقدر عليه وهو من الصراط المستقيم وان عجز عنه وما هو لا يقدر
عليه قد تريده نفسه وقد لا تريده كسلا وتهاونا او لقيام مانع وغير ذلك وما تريده
قد تفعله وقد لا تفعله وما تفعله قد تقوم فيه بشروط الاخلاص وقد لا
تقوم فيه بكمال المتابعة وقد لا تقوم وما تقوم فيه بالمتابعة وقد تثبت عليه
وقد تصرف قلبه عنه وهذا كله واقع سار في الخلق فمستقل ومستكثر وليس في
طباع العبد الهداية الى ذلك بل متى وكل الى طباعه حيل بينه وبين ذلك كله
وهذا هو الاركاس الذي اركس الله به المنافقين بذنوبهم فاعادهم الى طباعهم
وما جبلت عليه نفوسهم من الجهل والظلم والرب تبارك وتعالى على صراط مستقيم
في قضائه وقدره وامره ونهيه فيهدي من يشاء عن صراط مستقيم بعدله وحكمته
لعدم صلاحية المحل وذلك موجب صراطه المستقيم الذي هو عليه فهو على
صراط مستقيم ونصب لعباده من امره صراطا ودعاهم جميعا اليه حجة منه
وعدلا وهدى من يشاء منهم الى سلوكه نعمة منه وفضلا ولم يخرج بهذا العدل
وهذا الفضل عن صراطه المستقيم الذي هو عليه فاذا كان يوم لقائه نصب لخلقه
صراطا مستقيما يوصلهم الى جنته ثم صرف عنه من صرف عنه في الدنيا واقام
عليه من اقامه عليه في الدنيا وجعل نور المؤمنين به وبرسوله وما جاء به الذي كان
في قلوبهم في الدنيا نورا ظاهرا يسعى بين ايديهم وبايمانهم في ظلمة الحشر وحفظ عليهم
نورهم حتى قطعوه كما حفظ عليهم الايمان حتى لقوه واطفأ نور المنافقين احوج
ما كانوا اليه كما اطفأه من قلوبهم في الدنيا واقام اعمال العصاة بجنبتي الصراط كلاليب
وحسكا تخطفهم كما خطفتهم في الدنيا عن الاستقامة عليه وجعل قوة سيرهم وسرعتهم عليه

على قدر

على قدر قوة سيرهم وسرعتهم الهدي في الدنيا ونصب للمؤمنين حوضا يشربون
منه بان اشربهم مما شرعه في الدنيا وحرم من الشرب هناك من حرمه من الشرب
مما شرعه ودينه هاهنا فانظر الى الاخرة كانها رأي عين وتأمل حكمة الله سبحانه
في الدارين تعلم حينئذ علما يقينا لا شك فيه ان الدنيا مزرعة الاخرة وعنوانها
وانموذجها وان منازل الناس فيها في السعادة والشقاوة على حسب منازلهم في
هذه الدار في الايمان والعمل الصالح وضدهما وبالله التوفيق فمن اعظم عقوبات
الذنوب الخروج عن الصراط المستقيم في الدنيا والاخرة **فصل** ولما كانت
الذنوب متفاوتة في درجاتها ومفاسدها تفاوتت عقوباتها في الدنيا و
الاخرة بحسب تفاوتها ونحن نذكر فيها بعون الله وتوفيقه فصلا وجيزا
جامعا **فنقول** اصلها نوعان ترك مأمور وفعل محظور وهما الذنبان
اللذان ابتلى الله سبحانه بهما ابوي الجن والانس وكلاهما ينقسم باعتبار محله
الى ظاهر على الجوارح وباطن في القلب وباعتبار متعلقه الى حق الله وحق
لخلقه وان كان كل حق فهو متضمن لحقه لكن سمي حقا للخلق لانه يجب بمطالبتهم
ويسقط باسقاطهم ثم هذه الذنوب تنقسم الى اربعة اقسام ملكية وشيطانية
وسبعية وبهيمية ولا تخرج عن ذلك فالذنوب الملكية ان يتعاطى ما لا
يصلح له من الصفات الربوبية كالعظمة والكبرياء والجبروت والقهر والعلو
واستعباد الخلق ونحو ذلك ويدخل في ذلك الشرك بالرب تعالى وهو نوعان شرك
به في اسمائه وصفاته وجعل الهة اخرى معه وشرك به في معاملته وهذا
الثاني قد لا يوجب دخول النار وان احبط العمل الذي اشرك فيه مع الله غيره
وهذا القسم اعظم انواع الذنوب ويدخل فيه القول على الله بلا علم في خلقه وامره
فمن كان من اهل هذه الذنوب فقد نازع الله سبحانه في ربوبيته وملكه وجعل
له ندا وهذا اعظم الذنوب عند الله ولا ينفع معه عمل **فصل** واما الشيطانية
فالتشبه بالشيطان في الحسد والبغي والغش والغل والخداع والمكر والامر بمعاصي الله
وتحسينها والنهي عن طاعته وتهجينها والابتداع في دينه والدعوة الى البدع و
الضلال وهذا النوع يلي النوع الاول في المفسدة وان كانت مفسدته دونه
فصل واما السبعية فذنوب العدوان والغضب وسفك الدماء والتوثب

للجراة والتوثب قالوا ويدل على هذا ان المعصية تتضمن الاستهانة بامر
المطاع وهيبته وانتهاك حرمته وهذا لا فرق فيه بين ذنب وذنب قالوا
فلا ينظر العبد الى كبر الذنب وصغره في نفسه ولكن ينظر الى قدر من عصاه
وعظمته وانتهاك حرمته بالمعصية وهذا لا يفترق فيه الحال بين معصية
ومعصية فان ملكا مطاعا عظيما لو امر احد مملوكيه ان يذهب في مهم له الى
بلد بعيد وامر اخر ان يذهب في شغل له الى جانب الدار فعصياه وخالفاه
في امره لكانا في مقته والسقوط في عينه سواء قالوا ولهذا كانت معصية
من ترك الحج من مكة وترك الجماعة وهو جار المسجد اقبح عند الله من معصية
من تركه من المكان البعيد فالواجب على هذا اكبر من الواجب على هذا ولو كان
مع رجل مائتا درهم فمنع زكاتها ومع اخر مائتا الف الف فمنع زكاتها في
منع ما وجب على كل واحد منهما ولا يبعد استواءهما في العقوبة اذ كان
كل منهما مصرا على منع زكوة ماله قليلا كان المال او كثيرا

فصل تكشف الغطا عن هذه المسئلة ان يقال ان الله عز وجل ارسل رسله وانزل كتبه و
خلق السموات والارض ليعرف ويوحد ويعبد ويكون الدين كله لله والطاعة
كلها له والدعوة له كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقال
وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وقال تعالى الله الذي خلق سبع
سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير
وان الله قد احاط بكل شيء علما وقال تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما
للناس والشهر الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد ذلك لتعلموا
ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض وان الله بكل شيء عليم فاخبر سبحانه
ان القصد بالخلق والامر ان يعرف باسمائه وصفاته ويعبد وحده لا شريك له
وان يقوم الناس بالقسط وهو العدل الذي قامت به السموات والارض
كما قال تعالى لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان
ليقوم الناس بالقسط فاخبر انه ارسل رسله وانزل كتبه ليقوم الناس
بالقسط وهو العدل الذي قامت به السموات والارض كما قال تعالى

لقد ارسلنا

لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط
فاخبر انه ارسل رسله وانزل كتبه ليقوم الناس بالقسط وهو العدل ومن
اعظم القسط التوحيد بل هو راس العدل وقوامه وان الشرك لظلم عظيم فالشرك
اظلم الظلم والتوحيد اعدل العدل فما كان اشد منافاة لهذا المقصود فهو اكبر
الكبائر وتفاوتها في درجاتها بحسب منافاتها له وما كان اشد موافقة لهذا
المقصود فهو اوجب الواجبات وافرض الطاعات فتامل هذا الاصل حق التامل
واعتبر به تفاصيله تعرف به حكمة احكم الحاكمين واعلم العالمين فيما فرضه على عباده
وحرمه عليهم وتفاوت مراتب الطاعات والمعاصي فلما كان الشرك بالله منافيا بالذات
لهذا المقصود كان اكبر الكبائر على الاطلاق وحرم الله الجنة على كل مشرك واباح دمه وماله
واهله وولده لاهل التوحيد وان يتخذوهم عبيدا لهم لما تركوا القيام بعبوديته
وابى الله ان يقبل من مشرك عملا او يقبل فيه شفاعة او يستجيب له في الاخرة دعوة او
او يقيل له فيها عثرة فان المشرك اجهل الجاهلين بالله حيث جعل له من دونه
ندا وذلك غاية الجهل به كما انه غاية الظلم منه وان المشرك لم يظلم ربه وانما ظلم نفسه
ووقعت مسئلة وهي ان المشرك انما قصده تعظيم جناب الرب تبارك وتعالى فانه
لعظمته لا ينبغي الدخول عليه الا بالوسائط والشفعا كحال الملوك فالمشرك لا يقصد
الاستهانة بجناب الربوبية وانما قصد تعظيمه وقال انما اعبد هذه الوسائط
لتقربني اليه وتدخلني عليه فهو المقصود وهذه وسائل وشفعا فلما كان هذا القدر
موجبا لسخطه وغضبه تبارك وتعالى ومخلدا في النار وموجبا لسفك دما اصحابه
واستباحة حريمهم واموالهم وترتب على هذا سوال اخر وهو انه هل يجوز ان يشرع
الله سبحانه التقرب اليه بالشفعا والوسائط فيكون تحريم هذا انما استفيد من
الشرع ام ذلك قبيح في الفطر والعقول من قبيح الذي هو اقبح من كل قبيح وما السر في
كونه لا يغفر من بين سائر الذنوب كما قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما
دون ذلك لمن يشا فتامل هذا السوال واجمع قلبك وذهنك على جوابه ولا
تستهون بجوابه فان به يحصل الفرق بين المشركين والموحدين والعالمين والجاهلين
واهل الجنة واهل النار فنقول وبالله التوفيق والتاييد ومنه نستمد المعونة

والتسديد فانه من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ولا مانع
لما اعطى ولا معطي لما منع الشرك شركان شرك يتعلق بذات المعبود واسمائه
وصفاته وافعاله وشرك معلق في عبادته ومعاملته وان كان صاحبه
يعتقد انه سبحانه لا شريك له في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله والشرك
الاول نوعان احدهما شرك التعطيل وهو اقبح انواع الشرك كشرك فرعون
اذ قال وما رب العالمين وقال لهامان ابن لي صرحا لعلي اطلع الى اله موسى واني
لاظنه من الكاذبين والشرك والتعطيل متلازمان فكل مشرك معطل وكل
معطل مشرك لكن الشرك لا يستلزم اصل التعطيل بل قد يكون المشرك مقرا بالخالق
سبحانه وصفاته ولكنه عطل حق التوحيد واصل الشرك وقاعدته التي يرجع اليها
هو التعطيل وهو ثلاثة اقسام تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه عن خالقه
وتعطيل الصانع سبحانه عن كماله المقدس بتعطيل اسمائه واوصافه وافعاله وتعطيل
معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد ومن هذا شرك طائفة اهل
وحدة الوجود الذين يقولون ما ثم خالق ومخلوق ولا ها هنا شيئان بل
الحق هو عين الخلق المشبه ومنه شرك الملاحدة القائلين بقدم العالم و
ابديته وانه لم يكن معدوما اصلا بل لم يزل ولا يزال والحوادث باسرها مستندة
عندهم الى اسباب ووسائط اقتضت ايجادها يسمونها العقول والنفوس ومن
هذا شرك من عطل اسماء الرب تعالى واوصافه وافعاله من غلاة الجهمية و
القرامطة فلم يثبتوا له اسما ولا صفة بل جعلوا المخلوق اكمل منه اذ كمال الذات
باسمائها وصفاتها **فصل** النوع الثاني شرك من جعل معه الها اخر ولم
يعطل اسماءه وصفاته وربوبيته كشرك النصارى الذين جعلوه ثالث
ثلاثة فجعلوا المسيح الها وامه الها ومن هذا شرك المجوس القائلين باسناد
حوادث الخير الى النور وحوادث الشر الى الظلمة ومن هذا شرك القدرية
القائلين بان الحيوان هو الذي يخلق افعال نفسه وانها تحدث بدون
مشيئة الله وقدرته وارادته ولهذا كانوا اشباه المجوس ومن هذا شرك
الذي حاج ابراهيم في ربه اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال انا احيي

واميت

واميت فهذا الذي جعل نفسه ندا لله تعالى يحيي ويميت بزعمه كما يحيي الله
ويميت فالزمه ابراهيم ان طرد قولك ان تقدر على الاتيان بالشمس من غير الجهة
التي ياتي بها الله منها فليس هذا انتقالا كما زعم بعض اهل الجدل بل الزمه على
طرد الدليل ان كان حقا ومن هذا شرك كثير ممن يشرك بالكواكب العلويات
ويجعلها اربابا مدبرة لامر هذا العالم كما هو مذهب مشركي الصابئة وغيرهم
ومن هذا شرك عباد الشمس وعباد النار وغيرهم ومن هؤلاء من يزعم
ان معبوده هو الاله حقيقة ومنهم من يزعم ان معبوده اكبر الالهة ومنهم من
يزعم انه اله من جملة الالهة وانه اذا خصه بعبادته والتبتل اليه والانقطاع
اليه اقبل اليه واعتنى به ومنهم من يزعم ان معبوده الادنى يقربه الى
المعبود الذي هو فوقه والفوقاني يقربه الى من هو فوقه حتى يقربه تلك
الالهة الى الله سبحانه وتعالى فتارة تكثر الوسائط وتارة تقل **فصل** واما
الشرك في العبادة فهو اسهل من هذا الشرك واخف امرا فانه يصدر ممن يعتقد
انه لا اله الا الله وانه لا يضر ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع الا الله وانه لا اله غيره
ولا رب سواه ولكن لا يخلص في معاملته وعبوديته بل يعمل لحظ نفسه تارة
ولطلب الدنيا تارة ولطلب الرفعة تارة والمنزلة والجاه عند الخلق تارة فلله
من عمله وسعيه نصيب ولنفسه وحظه نصيب وللشيطان نصيب و
للخلق نصيب وهذا حال اكثر الناس وهو الشرك الذي قال فيه النبي صلى
الله عليه وسلم فيما رواه ابن حبان في صحيحه الشرك في هذه الامة اخفى من
دبيب النمل قالوا كيف ننجو منه يا رسول الله قال قل اللهم اني اعوذ
بك ان اشرك بك وانا اعلم واستغفرك لما لا اعلم فالرياء كله شرك قال تعالى
قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه
فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا اي كما انه اله واحد لا اله
سواه فكذلك يجب ان تكون العبادة له وحده فكما تفرد بالالهية يجب
ان يفرد بالعبودية فالعمل الصالح هو الخالي من الرياء المقيد بالسنة وكان
من دعاء عمر بن الخطاب اللهم اجعل عملي كله صالحا واجعله لوجهك الكريم

وهواه

ينبغي

خالصا ولا يجعل لاحد فيه شيئا وهذا الشرك في العبادة يبطل ثواب العمل وقد
يعاقب عليه اذا كان العمل واجبا فانه نزله منزلة من لم يعمله فيعاقب على ترك
الامر فان الله سبحانه انما امر بعبادة خالصة وقال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين
له الدين حنفاء فمن لم يخلص لله في عبادته لم يفعل ما امر به بل الذي اتى به شيئا غير
المامور به فلا يصح ولا يقبل منه ويقول الله تعالى انا اغنى الشركاء عن الشرك
من عمل عملا اشرك معي فيه غيري فهو للذي اشرك به وانا منه بريء وهذا الشرك
ينقسم الى مغفور والى غير مغفور والى اكبر واصغر والنوع الاول ينقسم الى كبير
واكبر وليس شيء منه مغفور فمنه الشرك بالله في المحبة والتعظيم ان يحب مخلوقا
كما يحب الله فهذا من الشرك الذي لا يغفره الله وهو الشرك الذي قال سبحانه فيه
ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد
حبا لله وقال اصحاب هذا الشرك الاكبر لالهتهم وقد جمعتهم الجحيم تالله ان كنا
لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين ومعلوم انهم ما سووهم به سبحانه في الخلق
والرزق والاماتة والاحياء والملك والقدرة وانما سووهم به في الحب والتاله و
الخضوع لهم والتذلل وهذا غاية الظلم والجهل فكيف يسوى التراب برب
الارباب وكيف يسوى العبيد بمالك الرقاب وكيف يسوى الفقير بالذات
الضعيف بالذات العاجز بالذات المحتاج بالذات الذي ليس له من ذاته
الا العدم الغني بالذات القادر بالذات الذي غناه وقدرته وملكه وجوده
واحسانه وعلمه ورحمته وكماله المطلق التام من لوازم ذاته فاي ظلم اقبح
من هذا واي حكم اشد جورا منه حيث عدل من لا عدل له بخلقه كما قال تعالى
الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين
كفروا بربهم يعدلون فعدل المشرك من خلق السموات والارض وجعل الظلمات
والنور بمن لا يملك لنفسه ولا غيره مثقال ذرة في السموات ولا في الارض
فيا لك من عدل تضمن اكبر الظلم واقبحه **فصل** ويتبع هذا الشرك الشرك
به سبحانه في الافعال والاقوال كالسجود لغيره والطواف لغير بيته وحلق
الراس عبودية وخضوعا لغيره وتقبيل الاحجار غير الحجر الاسود الذي هو

يمينه في الارض او تقبيل القبور واستلامها والسجود لها وقد لعن النبي صلى الله
عليه وسلم من اتخذ قبور الانبياء والصالحين مساجد يصلي لله فيها فكيف من
اتخذ القبور اوثانا يعبدها من دون الله ففي الصحيح عنه انه قال لعن
الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وفي الصحيح عنه ايضا ان من
شرار الناس من تدركهم الساعة وهم احياء والذين يتخذون القبور مساجد
وفي الصحيح ايضا عنه ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد الا فلا
تتخذوا القبور مساجد فاني انهاكم عن ذلك وفي مسند الامام احمد وصحيح
ابن حبان عنه صلى الله عليه وسلم لعن الله زوارات القبور والمتخذين عليها
المساجد والسرج اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد
وقال ان من كان قبلكم كانوا اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره
مسجدا وصوروا فيه تلك الصور اولئك شرار الخلق عند الله يوم القيمة فهذا
حال من يسجد لله في مسجد على قبر فكيف حال من يسجد للقبر نفسه وقد
قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد وقد حمى النبي صلى الله عليه
وسلم جانب التوحيد اعظم حماية حتى نهى عن صلاة التطوع لله سبحانه عند
طلوع الشمس وعند غروبها لئلا تكون ذريعة الى التشبه بعباد الشمس الذين
يسجدون لها في هاتين الحالتين وسد الذريعة بان منع من الصلاة بعد
العصر والصبح لاتصال هذين الوقتين بالوقتين اللذين يسجد المشركون فيهما
للشمس واما السجود لغير الله فقال لا ينبغي لاحد ان يسجد لاحد الا لله ولا
ينبغي في كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم الذي هو في غاية الامتناع كقوله وما
ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا وقوله وما علمناه الشعر وما ينبغي له وقوله وما
تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وقولهم عن الملائكة ما كان ينبغي لنا ان
نتخذ من دونك من اولياء **فصل** ومن الشرك به سبحانه الشرك به في اللفظ
كالحلف بغيره كما رواه احمد وابو داود عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من حلف بغير الله
فقد اشرك صححه الحاكم وابن حبان ومن ذلك قول القائل للمخلوق ما شاء الله وشئت
كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال له رجل ما شاء الله وشئت فقال اجعلتني

لله ندا قل ما شاء الله وحده هذا مع ان الله اثبت للعبد مشيئة كقوله لمن
شاء منكم ان يستقيم فكيف بمن يقول انا متكل على الله وعليك وانا في حسب الله
وحسبك ومالي الا الله وانت وهذا من الله ومنك وهذا من بركات الله
وبركاتك والله لي في السما وانت لي في الارض ويقول والله وحياة فلان
او يقول نذرا لله ولفلان او انا تائب الى الله والى فلان او ارجو الله و
فلانا ونحو ذلك فوازن بين هذه الالفاظ وبين قول القائل ما شاء الله و
شئت ثم انظر ايهما افحش يتبين لك ان قائلها اولى بجواب رسول الله
صلى الله عليه وسلم القائل تلك الكلمة وانه كان قد جعله ندا بها فهذا قد جعل
من لا يداني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء من الاشيا بل لعله ان يكون من
اعدائه ندا لرب العالمين والسجود والعبادة والتوكل والانابة والتقوى
والخشية والتحسب والتوبة والنذر والحلف والتسبيح والتكبير والتهليل
والتحميد والاستغفار وحلق الراس خضوعا وتعبدا والطواف بالبيت
والدعا كل ذلك محض حق الله الذي لا ينبغي ولا يصلح لسواه من ملك مقرب
او نبي مرسل وفي مسند الامام احمد ان رجلا اتي النبي صلى الله عليه وسلم قد اذنب
ذنبا فلما وقف بين يديه قال اللهم اني اتوب اليك ولا اتوب الى محمد فقال
قد عرف الحق لاهله **فصل** واما الشرك في الارادات والنيات فذلك
البحر الذي لا ساحل له وقل من ينجو منه فمن اراد بعمله غير وجه الله او نوى
شيئا غير التقرب اليه وطلب الجزاء منه فقد اشرك في نيته وارادته
والاخلاص ان يخلص لله في اقواله وافعاله وارادته ونيته وهذه هي الحنيفية
ملة ابراهيم التي امر الله بها عباده كلهم ولا يقبل من احد غيرها وهي حقيقة
الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين
وهي ملة ابراهيم التي من رغب عنها فهو من اسفه السفهاء **فصل**
واذا عرفت هذه المقدمة انفتح لك باب الجواب عن الشرك المذكور
فنقول ومن الله وحده نستمد الصواب حقيقة الشرك هو التشبه بالخالق
والتشبيه للمخلوق به هذا هو التشبيه في الحقيقة لا اثبات صفات الكمال

التي وصف الله

التي وصف الله بها نفسه ووصف بها رسوله سبحانه فعكس من نكس الله
قلبه واعمى بصيرته واركسه بكسبه الامر وجعل التوحيد تشبيها و
التشبيه تعظيما وطاعة فالشرك شبه للمخلوق بالخالق في خصائص
الالهية فان من خصائص الالهية التفرد بملك الضر والنفع والعطا والمنع
وذلك يوجب تعلق الدعا والخوف والرجا والتوكل به وحده فمن علق
ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق وجعل من لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا
موتا ولا حياة ولا نشورا فضلا عن غيره شبيها لمن له الامر كله وازمة
الامور كلها بيده ومرجعها اليه فما شا كان وما لم يشا لم يكن لا مانع لما اعطى
ولا معطي لما منع بل اذا فتح لعبده باب الرحمة لم يمسكها احد وان امسكها عنه
لم يرسلها اليه احد فمن اقبح التشبيه تشبيه هذا العاجز الفقير بالذات
القادر بالذات الغني بالذات ومن خصائص الالهية الكمال المطلق من جميع
الوجوه الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه وذلك يوجب ان تكون العبادة
كلها له وحده والتعظيم والاجلال والخشية والدعا والرجا والانابة و
التوبة والتوكل والاستعانة وغاية الذل مع غاية الحب كل ذلك يجب
عقلا وشرعا وفطرة ان يكون له وحده ويمنع عقلا وشرعا وفطرة ان تكون
لغيره فمن جعل شيئا من ذلك لغيره فقد شبه ذلك الغير بمن لا شبيه له
ولا مثل له ولا ند له وذلك اقبح التشبيه وابطله ولشدة قبحه وتضمنه
غاية الظلم اخبر عباده انه لا يغفره مع انه كتب على نفسه الرحمة ومن خصائص
الالهية العبودية التي قامت على ساقين لا قوام لها بدونهما غاية الحب
مع غاية الذل هذا تمام العبودية وتفاوت منازل الخلق فيها بحسب
تفاوتهم في هذين الاصلين فمن اعطى حبه وذله وخضوعه لغير الله فقد
شبهه به في خالص حقه وهذا من المحال ان تجيء به شريعة من الشرائع و
قبحه مستقر في كل فطرة وعقل ولكن غيرت الشياطين فطر اكثر الخلق وعقولهم
فافسدتها عليهم واجتالتهم عنها ومضى على الفطرة الاولى من سبقت له
من الله الحسنى فارسل اليهم رسله وانزل عليهم كتبه بما يوافق فطرهم

وعقولهم فازدادوا بذلك نورا على نور يهدي الله لنوره من يشاء اذا
عرفت هذا فمن خصائص الالهية السجود فمن سجد لغير الله فقد شبه المخلوق
به ومنها التوكل فمن توكل على غيره فقد شبهه به ومنها التوبة فمن تاب لغيره فقد
شبهه به ومنها الحلف باسمه تعظيما واجلالا فمن حلف بغيره فقد شبهه به هذا
في جانب التشبيه واما في جانب التشبه فمن تعاظم ودعا الناس الى اطرائه في المدح
والتعظيم والخضوع والرجاء وتعلق القلب به خوفا ورجاء والتجاء واستعانة
فقد تشبه بالله ونازعه ربوبيته والهيته وهو حقيق بان يهينه الله غاية
الهوان ويذله غاية الذل ويجعله تحت اقدام خلقه وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم
يقول الله عز وجل العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحدا منهما عذبته
وان كان المصور الذي يصنع الصور بيده من اشد الناس عذابا يوم القيمة له
لتشبهه بالله في مجرد الصنعة فما الظن بالتشبه بالله في الربوبية والالهية
كما قال صلى الله عليه وسلم اشد الناس عذابا يوم القيمة المصورون يقال لهم احيوا
وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الله عز وجل ومن اظلم ممن ذهب يخلق كخلقي
فليخلقوا ذرة فليخلقوا شعيرة فنبه بالذرة والشعيرة على ما هو اعظم منها
واكبر والمقصود ان هذا حال من تشبه به في صنعة صورة فكيف حال من تشبه
به في خواص ربوبيته والهيته وكذلك من تشبه به بالاسم الذي لا ينبغي الا لله
وحده كملك الاملاك وحاكم الحكام ونحوه وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال ان اخنع الاسماء عند الله رجل تسمى بشاهان شاه ملك الملوك لا ملك
الا الله وفي لفظ اغيظ رجل على الله رجل تسمى بملك الاملاك وهذا من مقت الله و
غضبه على من تشبه به في الاسم الذي لا ينبغي الا له فهو سبحانه ملك الملوك وحده و
هو حاكم الحكام وحده فهو الذي يحكم على الحكام كلهم ويقضي عليهم كلهم لا غيره

مطلب اعظم الذنوب اساءة الظن بالله

فصل واذا تبين هذا فها هنا اصل عظيم يكشف سر المسئلة وهو ان اعظم
الذنوب عند الله اساءة الظن به فان المسيء به الظن قد ظن به خلاف كماله المقدس
وظن به ما يناقض اسماءه وصفاته ولهذا توعد الله سبحانه الظانين به ظن السوء
بما لم يتوعد به غيرهم كما قال تعالى عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم

جهنم

جهنم وساءت مصيرا وقال تعالى لمن انكر صفة من صفاته وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم
اردكم فاصبحتم من الخاسرين وقال تعالى عن خليله ابراهيم انه قال لقومه ماذا تعبدون
ائفكا الهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين اي فما ظنكم ان يجازيكم اذا لقيتموه
وقد عبدتم غيره وما ظننتم به حتى عبدتم معه غيره وما ظننتم باسمائه وصفاته و
ربوبيته من النقص حتى احوجكم ذلك الى عبودية غيره فلو ظننتم به ما هو اهله من
انه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير وانه غني عن كل ما سواه وكل ما سواه فقير اليه وانه
قائم بالقسط على خلقه وانه المتفرد بتدبير خلقه لا يشركه فيه غيره والعالم بتفاصيل
الامور فلا يخفى عليه خافية من خلقه والكافي لهم وحده فلا يحتاج الى معين والرحمن
بذاته فلا يحتاج في رحمته الى من يستعطفه وهذا بخلاف الملوك وغيرهم من ابناء الدنيا
من الرؤسا فانهم يحتاجون الى من يعرفهم احوال الرعية وحوائجهم والى من يعينهم
على قضاء حوائجهم والى من يسترحمهم ويستعطفهم بالشفاعة فاحتاجوا الى الوسائط
ضرورة لحاجتهم وعجزهم وضعفهم وقصور علمهم فاما القادر على كل شيء والغني بذاته
عن كل شيء العالم بكل شيء الرحمن الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء فادخال الوسائط
بينه وبين خلقه ينقص لحق ربوبيته والهيته وتوحيده وظن به ظن السوء وهذا
يستحيل ان يشرعه لعباده ويمتنع في العقول والفطر وقبحه مستقر في العقول السليمة
فوق كل قبيح يوضح هذا ان العابد معظم لمعبوده متاله خاضع ذليل له والرب
تعالى وحده هو الذي يستحق كمال التعظيم والاجلال والتاله والخضوع والذل
وهذا خالص حقه فمن اقبح الظلم ان يعطي حقه لغيره او يشرك بينه وبينه فيه
ولا سيما اذا كان الذي جعل شريكه في حقه هو عبده ومملوكه كما قال تعالى ضرب لكم مثلا
من انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء تخافونهم
كخيفتكم انفسكم اي اذا كان احدكم يانف ان يكون مملوكه شريكه في رزقه فكيف
تجعلون لي من عبيدي شركاء فيما انا منفرد به وهي الالهية التي لا تنبغي لغيري ولا
تصلح لسواي فمن زعم ذلك فما قدرني حق قدري ولا عظمني حق تعظيمي ولا
افردني بما انا منفرد به وحدي دون خلقي فما قدر الله حق قدره من عبد معه
غيره كما قال تعالى يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله

لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف
الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوي عزيز فما قدر الله حق
قدره من عبد معه من لا يقدر على خلق اضعف حيوان واصغره وان سلبه الذباب
شيئا مما عليه لم يقدر على استنقاذه منه وقال تعالى وما قدروا الله حق قدره
والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون
فما قدر من هذا شانه وعظمته حق قدره من اشرك معه من عباده من ليس له شيء
من ذلك البتة بل هو اعجز شيء واضعفه فما قدر القوي العزيز حق قدره من
اشرك معه الضعيف الذليل وكذلك ما قدره حق قدره من قال انه لم يرسل
رسولا الى خلقه ولا انزل كتابا بل نسبه الى ما لا يليق به ولا يحسن منه من اهمال خلقه
وتضييعهم وتركهم سدى وخلقهم باطلا عبثا ولا قدره حق قدره من نفى حقائق
اسمائه الحسنى وصفاته العلى فنفى سمعه وبصره وارادته واختياره وعلوه فوق
خلقه وكلامه وتكليمه لمن شاء من خلقه بما يريده ونفى عموم قدرته وتعلقها بافعال
عباده من طاعاتهم ومعاصيهم فاخرجها عن قدرته ومشيئته وجعلهم يخلقون
لانفسهم ما يشاؤون بدون مشيئة الرب فيكون في ملكه ما لا يشاء ويشاء ما لا يكون
تعالى الله عن قول اشباه المجوس علوا كبيرا وكذلك ما قدره حق قدره من قال
انه يعاقب عبده على ما لا يفعله العبد ولا له عليه قدرة ولا تاثير له فيه البتة
بل هو نفس فعل الرب جل جلاله فيعاقب عبده على فعله هو سبحانه الذي جبر العبد
عليه وجبره على الفعل اعظم من اكراه المخلوق للمخلوق واذا كان من المستقر في
الفطر والعقول ان السيد لو اكره عبده على فعل والجاه اليه ثم عاقبه عليه لكان
قبيحا فاعدل العادلين وارحم الراحمين واحكم الحاكمين كيف يجبر العبد على فعل
لا يكون للعبد فيه صنع ولا تاثير ولا هو واقع بارادته بل ولا هو فعله البتة
ثم يعاقبه عليه عقوبة الابد تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقول هؤلاء شر من قول
اشباه المجوس والطائفتان ما قدروا الله حق قدره وكذلك ما قدره من لم
يصنه عن بئر ولا حش ولا مكان يرغب عن ذكره بل جعله في كل مكان وصانه
عن عرشه ان يكون مستويا عليه اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح وتعرج

الملئكة

الملئكة والروح اليه وتنزل من عنده ويدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج
اليه فصانه عن استوائه على سرير الملك ثم جعله في كل مكان يانف الانسان بل
غيره من الحيوان ان يكون فيه وما قدره حق قدره من نفى حقيقة محبته ورحمته
ورافته ورضاه وغضبه ومقته ولا من نفى حقيقة حكمته التي هي الغايات
المحمودة المقصودة بفعله ولا من نفى حقيقة فعله ولم يجعل له فعلا
اختياريا يقوم به بل افعاله مفعولات منفصلة عنه فنفى حقيقة مجيئه
واتيانه واستوائه على عرشه وتكليمه موسى من جانب الطور ومجيئه يوم القيمة
لفصل القضاء بين عباده بنفسه الى غير ذلك من افعاله واوصاف كماله
التي نفوها وزعموا انهم بنفيها قد قدروه حق قدره وكذلك لم يقدره
حق قدره من جعل له صاحبة وولدا وجعله يحل في مخلوقاته او جعله
عين هذا الوجود وكذلك لم يقدره حق قدره من قال انه رفع اعداء رسوله
واهل بيته واعلى ذكرهم وجعل فيهم الملك والخلافة والعز ووضع اولياء
رسوله واهل بيته واهانهم واذلهم وضرب عليهم الذلة اينما ثقفوا وهذا
يتضمن غاية القدح في الرب تعالى عن قول الرافضة علوا كبيرا وهذا القول
مشتق من قول اليهود والنصارى في رب العالمين انه ارسل ملكا ظالما
فادعى النبوة لنفسه وكذب على الله ومكث زمانا يكذب عليه كل وقت و
يقول قال كذا وامر كذا ونهى عن كذا وينسخ شرائع انبيائه ورسله
ويستبيح دماء اتباعهم واموالهم وحريمهم ويقول الله اباح لي ذلك والرب
تعالى يظهره ويؤيده ويعليه ويعزه ويجيب دعوته ويمكنه ممن خالفه ويقيم
الادلة على صدقه ولا يعاديه احد الا ظفر به فيصدقه بقوله وفعله و
تقريره ويحدث ادلة تصديقه شيئا بعد شيء ومعلوم ان هذا يتضمن اعظم
القدح والطعن في الرب سبحانه وحكمته ورحمته وربوبيته تعالى الله عن قول
الجاحدين علوا كبيرا فوازن بين قول هؤلاء وقول اخوانهم من الرافضة تجد القولين
كما قال الشاعر ٤ رضيعي لبان ثدي ام تحالفا ٤ باسحم داج عوض لا نتفرق ٤ وكذلك لم
يقدره حق قدره من قال انه يجوز ان يعذب اولياءه ومن لم يعصه طرفة عين و

تقاسما

بين خلقهم دار الجحيم وبين نعيم أعدائه ومن لم يؤمن به طرفة عين وبين خلقهم دار
النعيم وأن كلا الأمرين بالنسبة إليه سواء وإنما الخبر المحض جاء عنه بخلاف
ذلك فمنعناه للخبر لا للمخالفة في حكمته وعدله وقد أنكر سبحانه على من جوز
عليه ذلك غاية الإنكار وجعل الحكم به من أسوأ الأحكام وكذلك لم يقدره
حق قدره من زعم أنه لا يحيي الموتى ولا يبعث من في القبور ولا يجمع خلقه ليوم
يجازي المحسن فيه بإحسانه والمسيء بإساءته ويأخذ للمظلوم فيه حقه من
ظالمه ويكرم المتحملين للمشاق في هذه الدار من أجله وفي مرضاته بأفضل
كرامته ويبين لخلقه الذي يختلفون فيه ويعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين
وكذلك لم يقدره حق قدره من هان عليه أمره فعصاه ونهيه فارتكبه وحقه
فضيعه وذكره فأهمله وغفل عنه وكان هواه آثر عنده من طلب رضاه وطاعة
المخلوق أهم عنده من طاعته فلله الفضلة من قلبه وقوله وعمله وسواه
المقدم في ذلك لأنه المهم عنده يستخف بنظر الله إليه واطلاعه عليه وهو في قبضته
وناصيته بيده ويعظم نظر المخلوق إليه واطلاعه عليه بكل قلبه وجوارحه
فيستحيي من الناس ولا يستحيي من الله ويخشى الناس ولا يخشى الله ويعامل الخلق
بأفضل ما يقدر عليه وإن عامل الله عامله بأهون ما عنده وأحقره وإن
قام في خدمة إلهه من البشر قام بالجد والاجتهاد وبذل النصيحة وقد فرغ
له قلبه وجوارحه وقدمه على كثير من مصالحه حتى إذا قام في حق ربه إن ساعد
القدر قام قياما لا يرضى مخلوق من مخلوق مثله وبذل له من ماله ما يستحيي
أن يواجه به مخلوقا لمثله فهل قدر الله حق قدره من هذا وصفه وهل قدره
حق قدره من شارك بينه وبين عدوه في محض حقه من الإجلال والتعظيم
والطاعة والذل والخضوع والخوف والرجا فلو جعل له من أقرب الخلق إليه
شريكا في ذلك لكان ذلك جراءة وتوثبا على محض حقه واستهانة به وتشريكا
بينه وبين غيره فيما لا ينبغي ولا يصلح إلا له سبحانه وكيف وإنما أشرك بينه و
بين عدوه على الحقيقة فإنه ما عبد من دون الله إلا الشيطان كما قال ألم
تعالى أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين

فما عبد

فما عبد أحد من بني آدم غير الله كائنا ما كان إلا وقعت عبادته للشيطان فيستمتع
العابد بالمعبود في حصول غرضه ويستمتع المعبود بالعابد في تعظيمه له وإشراكه
مع الله الذي هو غاية رضا الشيطان ولهذا قال تعالى ويوم نحشرهم جميعا يا معشر
الجن من الإنس وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا
الذي أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم
فهذه إشارة لطيفة إلى السر الذي لأجله كان الشرك أكبر الكبائر عند الله وأنه لا
يغفر بغير التوبة منه وأنه يوجب الخلود في العذاب في النار وأنه ليس تحريمه
وقبحه بمجرد النهي عنه بل يستحيل على الله سبحانه أن يشرع عبادة إله غيره كما يستحيل
عليه ما يناقض أوصاف كماله ونعوت جلاله وكيف يظن بالمنفرد بالربوبية
والإلهية والعظمة والجلال أن يأذن في الشرك به أو يرضى به تعالى الله عن
ذلك علوا كبيرا **فصل** فلما كان الشرك أشد شيء منافاة للأمر الذي
خلق الله له الخلق والأمر لأجله بالأمر كان أكبر الكبائر عند الله وكذلك الكبر
وتوابعه كما تقدم فإن الله سبحانه خلق الخلق وأنزل الكتب لتكون الطاعة له
وحده والشرك والكبر ينافيان ذلك ولذلك حرم الله الجنة على أهل الشرك
والكبر فلا يدخلها من في قلبه مثقال ذرة من كبر **فصل** ويلي ذلك في كبر
المفسدة القول على الله بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله ووصفه بضد ما
وصف به نفسه ووصفه به رسوله فهو أشد شيء مناقضة ومنافاة لحكمة
الخالق والأمر وقدح في نفس الربوبية وخصائص الرب فإن صدر ذلك عن علم
فهو عناد أقبح من الشرك وأعظم إثما عند الله فإن المشرك المقر بصفات الرب
خير من المعطل الجاحد لصفات كماله كما أن من أقر لملك بالملك ولم يجحد ملكه
ولا الصفات التي استحق بها الملك لكن جعل معه شريكا في بعض الأمور يقربه
إليه خير ممن جحد صفات الملك وما يكون به ملكا هذا أمر مستقر في سائر الفطر
والعقول فأين القدح في صفات الكمال والجحد لها من عبادة واسطة بين المعبود
وبين العابد يتقرب إليه بعبادة تلك الواسطة إعظاما له وإجلالا فداء
التعطيل هو الداء العضال الذي لا دواء له ولهذا حكى الله عن إمام المعطلة فرعون

قد استكثرتم

لمقام الخلق والأمر اهـ



صح

انه لما انكر على موسى ما اخبره به من ان ربه فوق السموات فقال يا هامان ابن لي
صرحا لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى واني لاظنه
كاذبا واحتج الشيخ ابو الحسن الاشعري في كتبه على المعطلة بهذه الاية وقد ذكرت
بلفظه في غير هذا الكتاب وهو كتاب اجتماع الجيوش الاسلامية على حرب المعطلة
والجهمية في اثبات العلو فالقول على الله بلا علم والشرك متلازمان ولما كانت
البدع المضلة جهلا بصفات الله وتكذيبا بما اخبر به عن نفسه واخبر به عنه
رسوله عنادا وجهلا كانت من اكبر الكبائر ان قصرت عن الكفر وكانت احب الى ابليس
من كبائر الذنوب كما قال بعض السلف البدعة احب الى ابليس لعنه الله من
المعصية لان المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها وقال ابليس اهلكت
بني ادم بالذنوب واهلكوني بالاستغفار وبلا اله الا الله فلما رايت ذلك منهم
بثثت فيهم الاهواء فهم يذنبون ولا يتوبون لانهم يحسبون انهم يحسنون
صنعا ومعلوم ان المذنب انما ضرره على نفسه واما المبتدع فضرره على النوع
وفتنة المبتدع في اصل الدين وفتنة المذنب في الشهوة والمبتدع قد قعد
للناس على صراط الله المستقيم يصدهم عنه والمذنب ليس كذلك والمبتدع
قادح في اوصاف الرب وكماله والمذنب ليس كذلك والمبتدع مناقض لما جاء به
الرسول صلى الله عليه وسلم والعاصي ليس كذلك والمبتدع يقطع على الناس طريق
الاخرة والعاصي ليس كذلك بطي السير بسبب ذنوبه **فصل** ثم لما كان
الظلم والعدوان منافيا للعدل الذي به قامت السموات والارض وارسل
الله سبحانه به رسله وانزل كتبه ليقوم الناس به كان من اكبر الكبائر عند الله
وكان درجته في العظم بحسب مفسدته في نفسه فكان قتل الانسان ولده
الطفل الصغير الذي لا ذنب له وقد جبل الله سبحانه القلوب على رحمته وعطفها
عليه وخص الوالدين من ذلك بمزية ظاهرة فقتله خشية ان يشاركه في
مطعمه ومشربه وماله من اقبح الظلم واشده وكذلك قتله ابويه اللذين
كانا سبب وجوده وكذلك قتله ذا رحمه وتتفاوت درجات القتل بحسب
قبحه واستحقاق من قتله السعي في ابقائه ونصيحته ولهذا كان اشد الناس

عذابا

عذابا يوم القيمة من قتل نبيا او قتله نبي ويليه من قتل اماما او عالما
يامر الناس بالقسط ويدعوهم الى الله وينصحهم في دينهم وقد جعل الله
سبحانه جزاء قتل النفس المؤمنة عمدا الخلود في النار وغضب الجبار
ولعنته واعداد العذاب العظيم له هذا موجب قتل المؤمن عمدا ما لم
يمنع منه مانع ولا خلاف ان الاسلام الواقع بعد القتل طوعا واختيارا
مانع من نفوذ ذلك الجزا وهل تمنع توبة المسلم منه بعد وقوعه فيه قولان
للسلف والخلف وهما روايتان عن احمد والذين قالوا لا تمنع التوبة من
نفوذه راوا انه حق لادمي لم يستوفه في دار الدنيا وخرج منها بظلامته
فلا بد ان يستوفى له في دار العدل قالوا وما استوفاه الوارث فانما استوفاه
محض حقه الذي خيره الله بين استيفائه والعفو عنه وما نفع المقتول
من استيفاء وارثه واي استدراك لظلامته حصل له باستيفاء وارثه
وهذا اصح القولين في المسئلة ان حق المقتول لا يسقط باستيفاء الوارث
وهما وجهان لاصحاب الشافعي واحمد وغيرهم ورات طائفة انه يسقط بالتوبة
واستيفاء الوارث فان التوبة تهدم ما قبلها والذنب الذي قد جناه قد
اقيم عليه حده قالوا واذا كانت التوبة تمحو اثر الكفر والسحر وما هو اعظم
اثما من القتل فكيف يقصر عن محو اثر القتل وقد قبل الله توبة الكفار
الذين قتلوا اولياءه وجعلهم من خيار عباده ودعا الذين حرقوا اولياءه
وفتنوهم عن دينهم ودعاهم الى التوبة وقال يا عبادي الذين اسرفوا على
انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو
الغفور الرحيم فهذه في حق التائب وهي تتناول الكفر وما دونه وكيف
يتوب العبد من الذنب ويعاقب عليه بعد التوبة هذا معلوم انتفاؤه
في شرع الله وجزائه قالوا وتوبة هذا المذنب تسليم نفسه ولا يمكن
تسليمها الى المقتول فاقام الشارع وليه مقامه وجعل تسليم النفس
اليه كتسليمها الى المقتول بمنزلة تسليم المال الذي عليه لوارثه فانه يقوم
مقام تسليمه للمورث والتحقيق في المسئلة ان القتل يتعلق به ثلاثة

وعنهم رواية ثانية

حقوق حق الله وحق المقتول وحق الولي فاذا اسلم القاتل نفسه
طوعا واختيارا الى الولي ندما على ما فعل وخوفا من الله وتوبة نصوحا
سقط حق الله بالتوبة وحق الولي بالاستيفا او الصلح او العفو وبقي
حق المقتول يعوضه الله عنه يوم القيمة عن عبده التائب المحسن ويصلح
بينه وبينه فلا يذهب حق هذا ولا تبطل توبة هذا واما مسئلة
المال فقد اختلف فيها فقالت طائفة اذا ادى ما عليه من المال الى الوارث
فقد برئ من عهدته في الاخرة كما برئ منها في الدنيا وقالت طائفة بل المطالبة
لمن ظلمه باخذه باقية عليه يوم القيمة وهو لم يستدرك ظلامته باخذ
وارثه له فانه منعه من انتفاعه طول حيوته ومات ولم ينتفع به وهذا
ظلم لم يستدركه وانما انتفع غيره باستدراكه وبنوا على هذا انه لو انتقل
من واحد الى واحد وتعدد الورثة كانت المطالبة للجميع لانه حق كان
يجب عليه دفعه الى كل واحد منهم عند كونه هو الوارث وهذا قول طائفة
من اصحاب مالك واحمد وفصل وحكم شيخنا رحمه الله بين الطائفتين فقال
ان تمكن الموروث من اخذ ماله والمطالبة به فلم ياخذه حتى مات صارت
المطالبة للوارث في الاخرة كما هي كذلك في الدنيا وان لم يتمكن من طلبه
واخذه بل حال بينه وبينه ظلما وعدوانا فالطلب له في الاخرة وهذا
التفصيل من احسن ما يقال فان المال اذا استهلكه الظالم على الموروث
وتعذر عليه اخذه منه صار بمنزلة عبده الذي قتله قاتل وداره التي
احرقها غيره وطعامه وشرابه الذي اكله وشربه غيره ومثل هذا انما تلف
على الموروث فحق المطالبة لمن تلف على ملكه فبقي ان يقال فاذا كان المال
عقارا وارضا او اعيانا باقية قائمة بعد الموت فهي ملك للوارث يجب على
الغاصب دفعها اليه كل وقت فاذا لم يدفع اليه اعيان ماله استحق المطالبة
بها عند الله كما يستحق المطالبة بها في الدنيا وهذا السؤال قوي لا تخلص منه
الا بان يقال المطالبة لهما جميعا كما لو غصب مالا مشتركا بين جماعة استحق كل منهم
المطالبة بحصته وكما لو استولى على وقف مترتب على بطون فابطل حق البطون

كلهم

كلهم منه كانت المطالبة يوم القيمة لجميعهم ولم يكن بعضهم اولى بها من بعض
والله اعلم **فصل** ولما كانت مفسدة القتل هذه المفسدة قال الله تعالى
من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد
في الارض فكانما قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا وقد
اشكل فهم هذا على كثير من الناس وقالوا معلوم ان اثم قاتل مائة اعظم عند الله من
اثم قاتل نفس واحدة وانما اتوا من ظنهم ان التشبيه في مقدار الاثم والعقوبة واللفظ
لم يدل على هذا ولا يلزم من تشبيه الشي بالشي اخذه بجميع احكامه وقد قال
تعالى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحيها وقال كانهم يوم يرون
ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار وذلك لا يوجب ان لبثهم في الدنيا انما كان
هذا المقدار وقال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى العشا في جماعة فكانما قام نصف الليل
ومن صلى الفجر في جماعة فكانما قام الليل كله اي مع العشاء كما جاء في لفظ اخر
واصرح من هذا قوله صلى الله عليه وسلم من صام رمضان واتبعه بست من شوال فكانما
صام الدهر كله وقوله صلى الله عليه وسلم من قرا قل هو الله احد فكانما قرا ثلث القران
ومعلوم ان ثواب فاعل هذه الاشيا لا يبلغ ثواب المشبه به فيكون قدرهما سوا
ولو كان قدر الثواب سوا لم يكن لمصلي العشا والفجر في جماعة منفعة في قيام الليل
غير التعب والنصب وما اوتي عبد بعد الايمان افضل من الفهم عن الله ورسوله
وذلك فضل الله يؤتيه من يشا فان قيل ففي اي شي وقع التشبيه بين قاتل
نفس واحدة وقاتل الناس جميعا قيل في وجوه متعددة **احدها** ان كلا منهما
عاص لله ورسوله مخالف لامره متعرض لعقوبته وكل منهما قد باء بغضب من الله
ولعنته واستحقاق الخلود في نار جهنم واعد له عذابا عظيما وان تفاوتت دركات
العذاب فليس اثم من قتل نبيا او اماما عادلا او عالما يامر الناس بالقسط كاثم
من قتل من لا مزية له من احاد الناس **الثاني** انهما سوا في استحقاق ازهاق
النفس **الثالث** انهما سوا في الجراءة على سفك الدم الحرام فان من قتل نفسا
بغير استحقاق بل بمجرد الفساد في الارض او لاخذ ماله فانه يجترئ على قتل كل من
ظفر به وامكنه قتله فهو معاد للنوع الانساني ومنها انه يسمى قاتلا او فاسقا

وظالما وعاصيا بقتله واحد كما يسمى كذلك بقتله الناس جميعا ومنها ان الله سبحانه
جعل المؤمنين في توددهم وتراحمهم وتواصلهم كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو
تداعى له سائر البدن بالحمى والسهر فاذا اتلف القاتل من هذا الجسد عضوا فكانما اتلف سائر
الجسد والم جميع اعضائه فمن اذى مؤمنا فكانما اذى جميع المؤمنين وفي اذى جميع المؤمنين
اذى جميع الناس فان الله انما يدافع عن الناس بالمؤمنين الذين بينهم فايذاء الخفير ايذاء
المخفر وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تقتل النفس ظلما بغير حق الا كان على ابن ادم الاول كفل
من دمها لانه اول من سن القتل ولم يجئ هذا الوعيد في اول زان ولا في اول سارق ولا اول
شارب مسكر وان كان اول المشركين قد يكون اولى بذلك من اول قاتل لانه اول من سن
الشرك ولهذا راى النبي صلى الله عليه وسلم عمرو بن لحي يعذب اعظم العذاب في النار لانه اول من
غير دين ابراهيم وقال تعالى ولا تكونوا اول كافر به اي فيقتدي بكم من بعدكم فيكون اثم كفرهم
عليكم وكذلك حكم من سن سنة سيئة فاتبع عليها وفي جامع الترمذي عن ابن عباس عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال يجيء المقتول بالقاتل يوم القيمة ناصيته وراسه بيده و
اوداجه تشخب دما يقول يا رب سل هذا فيم قتلني فذكروا لابن عباس التوبة فتلا
هذه الاية ومن يقتل مؤمنا متعمدا ثم قال ما نسخت هذه الاية ولا بدلت واني له التوبة
قال هذا حديث حسن وفيه ايضا عن نافع قال نظر عبد الله بن عمر يوما الى الكعبة
فقال ما اعظمك واعظم حرمتك والمؤمن اعظم حرمة منك عند الله قال هذا حديث
حسن وفي صحيح البخاري عن جندب قال اول ما ينتن من الانسان بطنه فمن استطاع منكم
ان لا ياكل الا طيبا فليفعل ومن استطاع ان لا يحول بينه وبين الجنة ملء كف من دم اهراقه
فليفعل وفي صحيحه ايضا عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال المؤمن
في فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما وذكر البخاري عن ابن عمر قال من ورطات الامور التي
لا مخرج لمن اوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله وفي الصحيحين عن ابي هريرة رضي
الله عنه يرفعه سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر وفيهما ايضا عنه صلى الله عليه وسلم لا ترجعوا بعدي
كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وفي صحيح البخاري عنه صلى الله عليه وسلم من قتل معاهدا
لم يرح رائحة الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة اربعين عاما هذه عقوبة قاتل عدو
الله اذا كان في عهده وامانه فكيف عقاب قاتل عبده المؤمن واذا كانت امراة قد

دخلت النار في هرة حبستها حتى ماتت جوعا وعطشا فراها النبي صلى الله عليه وسلم
في النار والهرة تخدشها في وجهها وصدرها فكيف عقوبة من حبس مؤمنا بغير جرم
حتى مات وفي بعض السنن عنه صلى الله عليه وسلم لزوال الدنيا اهون على الله من قتل مؤمن

فصل ولما كانت مفسدة الزنى من اعظم المفاسد وهي منافية لمصلحة نظام العالم
في حفظ الانساب وحماية الفروج وصيانة الحرمات وتوقي ما يوقع اعظم العداوة
والبغضاء بين الناس من افساد كل منهم امراة صاحبه وبنته واخته وامه وفي ذلك
خراب العالم كانت تلي مفسدة القتل في الكبر ولهذا قرنها الله سبحانه بها في كتابه و
رسوله بها في سنته كما تقدم قال الامام احمد ولا اعلم بعد قتل النفس شيئا اعظم من الزنى
وقد اكد الله سبحانه حرمته بقوله والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي
حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم
القيمة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وامن الاية فقرن الزنى بالشرك وقتل النفس
وجعل جزاء ذلك الخلود في العذاب المضاعف ما لم يرفع العبد موجب ذلك بالتوبة
والايمان والعمل الصالح قال تعالى ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا فاخبر
عن فحشه في نفسه وهو القبيح الذي قد تناهى قبحه حتى استقر فحشه في العقول حتى
عند كثير من الحيوان كما ذكر البخاري في صحيحه عن عمرو بن ميمون الاودي قال رايت في
الجاهلية قردا زنى بقردة فاجتمع القرود عليهما فرجموهما حتى ماتا ثم اخبر عن غايته انه
ساء سبيلا فانه سبيل هلكة وبوار وافتقار في الدنيا وسبيل عذاب وخزي ونكال
في الاخرة ولما كان نكاح ازواج الاباء من اقبحه خصه بمزيد ذم فقال انه كان فاحشة
ومقتا وساء سبيلا وعلق سبحانه فلاح العبد على حفظ فرجه منه فلا سبيل له الى الفلاح
بدونه فقال قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو
معرضون والذين هم للزكوة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم
او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون وهذا
يتضمن ثلثة امور من لم يحفظ فرجه لم يكن من المفلحين وانه من الملومين ومن العادين
ففاته الفلاح واستحق اسم العدوان ووقع في اللوم فمقاساة الم الشهوة ومعاناتها
ايسر من بعض ذلك ونظير هذا ان الله ذم الانسان وانه خلق هلوعا لا يصبر على سراء ولا على

ولا على ضره بل اذا مسه الخير منع وبخل واذا مسه الشر جزع وظهر الامر
استثناه بعد ذلك من الناجين من خلقه فذكر منهم الذين هم لفروجهم حافظون
الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك
هم العادون وامر الله تعالى نبيه ان يامر المومنين بغض ابصارهم وحفظ فروجهم
وان يعلمهم انه مشاهد لاعمالهم مطلع عليها يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور
ولما كان مبدا ذلك من قبل البصر جعل الامر بغضه مقدما على حفظ الفرج فان
الحوادث مبداها من النظر كما ان معظم النار من مستصغر الشرر فيكون نظرة
ثم خطرة ثم خطوة ثم خطيئة ولهذا قيل من حفظ هذه الاربعة احرز دينه وهي
اللحظات والخطرات واللفظات والخطوات فينبغي للعبد ان يكون بواب نفسه
على هذه الابواب الاربعة ويلازم الرباط على ثغورها فمنها يدخل عليه العدو
فيجوس خلال الديار ويتبر ما على الارض تتبيرا **فصل** واكثر ما يدخل
المعاصي على العبد من هذه الابواب الاربعة فنذكر في كل منها فصلا يليق به فاما
اللحظات فهي رائد الشهوات ورسولها وحفظها اصل حفظ الفرج فمن اطلق
بصره اورده موارد الهلكات **وقال** النبي صلى الله عليه وسلم لا تتبع النظرة النظرة فانما
لك الاولى وليست لك الاخرة **وفي** المسند عنه صلى الله عليه وسلم النظر سهم مسموم
من سهام ابليس فمن غض بصره عن محاسن امراة لله اورث الله قلبه حلاوة الى
يوم القيمة هذا معنى الحديث **وقال** غضوا ابصاركم واحفظوا فروجكم **وقال**
اياكم والجلوس على الطرقات قالوا يا رسول الله مجالسنا ما لنا منها بد قال فان كنتم
لا بد فاعلين فاعطوا الطريق حقه قالوا وما حقه قال غض البصر وكف الاذى ورد
السلام وكف الاذى والنظر اصل عامة الحوادث التي تصيب الانسان فان النظرة
تولد الخطرة ثم تولد الخطرة فكرة ثم تولد الفكرة شهوة ثم تولد الشهوة ارادة
ثم تقوى فتصير عزيمة جازمة فيقع الفعل ولا بد ما لم يمنع مانع وفي هذا قيل
الصبر على غض الطرف ايسر من الم ما بعده وقال الشاعر

كل الحوادث مبداها من النظر ... ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة بلغت من قلب صاحبها ... كمبلغ السهم بين القوس والوتر
والعبد ما دام ذا طرف يقلبه ... في اعين العين موقوف على الخطر

ومن آفات النظر انه يورث الحسرات والزفرات والحرقات فيرى العبد ما ليس
قادرا عليه ولا صابرا عنه وهذا من اعظم العذاب ان ترى ما لا صبر لك عن بعضه
ولا قدرة لك على بعضه وقال الشاعر

وانت متى ارسلت طرفك رائدا ... لقلبك يوما اتعبتك المناظر
رايت الذي لا كله انت قادر ... عليه ولا عن بعضه انت صابر

وهذا البيت يحتاج الى الشرح ومراده انك ترى ما لا تصبر عليه ولا عن شيء منه
وان قوله لا كله انت قادر عليه نفي لقدرته على الكل التي لا تنتفي الا بنفي القدرة
عن كل واحد واحد وكم من ارسل لحظاته فما اقلعت الا وهو يتشحط بينهن قتيلا
كما قيل

يا ناظرا ما اقلعت لحظاته ... حتى تشحط بينهن قتيلا

ولي من ابيات

مل السلامة فاغتدت لحظاته ... وقفا على طلل يظن جميلا
ما زال يتبع اثره لحظاته ... حتى تشحط بينهن قتيلا

ومن العجب ان لحظة الناظر سهم لا يصل الى المنظور اليه حتى يتبوأ مكانا من قلب
الناظر **ولي من قصيدة**

يا راميا من سهام اللحظ مجتهدا ... انت القتيل بما ترمي فلا تصب
وباعث الطرف يرتاد الشفاء له ... احبس رسولك لا ياتيك بالعطب

واعجب من ذلك ان النظر تجرح القلب فيتبعها جرحا على جرح ثم لا يمنعه الم
الجراحة من استدعاء تكررها **ولي ايضا في هذا المعنى**

ما زلت تتبع نظرة في نظرة ... في اثر كل مليحة ومليح
وتظن ذاك دواء جرحك وهو في ... التحقيق تجريح على تجريح
فذبحت طرفك باللحاظ وبالبكا ... فالقلب منك ذبيح اي ذبيح

وقد قيل حبس اللحظات ايسر من دوام الحسرات **فصل** فاما الخطرات
فشانها اصعب فانها مبدا الخير والشر ومنها تتولد الارادات والهمم والعزائم
فمن راعى خطراته ملك زمام نفسه وقهر هواه ومن غلبته خطراته فهواه ونفسه
له اغلب ومن استهان بالخطرات قادته الى الهلكات ولا تزال الخطرات
تتردد على القلب حتى تصير منى باطلة كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه

لم يجد شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب واخس الناس
همة واوضعهم نفسا من رضي من الحقائق بالاماني الكاذبة واستجلبها لنفسه
وتحلى بها وهي لعمر الله رؤس اموال المفلسين ومتاجر البطالين وهي
قوت النفس الفارغة التي قد قنعت من الوصل بزورة الخيال ومن
الحقائق بكواذب الامال كما قال الشاعر

منى ان تكن حقا تكن احسن المنا ... والا فقد عشنا بها زمنا رغدا

وهي اضر شيء على الانسان ويتولد من العجز والكسل وتولد التفريط والحسرة
والندم والمتمني لما فاته مباشرة الحقيقة يجسد محبة صورة صورها
نفسه في قلبه وعانقها وضمها اليه فقنع بوصال صورة وهمية خيالية
صورها فكره وذلك لا يجدي عليه شيئا وانما مثله مثل الجائع والظمان يصور
في وهمه صورة الطعام والشراب وهو لا ياكل ولا يشرب والسكون الى ذلك
واستحلاؤه يدل على خساسة النفس ووضاعتها وانما شرف النفس وزكاها
وطهارتها وعلوها بان ينفي عنها كل خطرة لا حقيقة لها ولا يرضى ان يخطرها
بباله ويانف لنفسه منها ثم الخطرات بعد اقسام تدور على اربعة اصول
خطرات يستجلب بها منافع دنياه وخطرات يستدفع بها مضار دنياه وخطرات
يستجلب بها مصالح اخرته وخطرات يستدفع بها مضار اخرته فليحصر
خطراته وافكاره وهمومه في هذه الاقسام الاربعة فاذا انحصرت له فيها فما
امكن اجتماعه منها لم يتركه لغيره واذا تزاحمت عليه الخطرات لتزاحم
متعلقاتها قدم الاهم الذي يخشى فوته واخر الذي ليس باهم ولا يخاف فوته
بقي قسمان اخران احدهما مهم لا يفوت والثاني غير مهم ولكنه يفوت
ففي كل منهما ما يدعو الى تقديمه فها هنا يقع التردد والحيرة فان قدم المهم
خشي فوات ما دونه وان قدم ما دونه فاته الاشتغال به من الاهم
وكذلك يعرض له امران لا يمكن الجمع بينهما ولا يحصل الا بتفويت الاخر فهذا
موضع استعمال العقل والفقه والمعرفة ومن ها هنا ارتفع من ارتفع و
انجح من انجح وخاب من خاب فاكثر من ترى ممن يعظم عقله ومعرفته يؤثر غير

المهم

المهم الذي يفوت ولا تجد احدا يسلم من ذلك ولكن من مستقل ومستكثر و
التحكيم في هذا الباب للقاعدة الكبرى التي يكون عليها مدار الشرع والقدر واليها
يرجع الخلق والامر وهي ايثار اكبر المصلحتين واعلاهما وان فاتت المصلحة التي
هي دونهما والدخول في ادنا المفسدتين لدفع ما هو اكبر منها فيفوت مصلحة ليحصل
ما هو اعظم منها فخطرات العاقل وفكره لا يتجاوز ذلك وبذلك جاءت الشرائع ومصالح
الدنيا والاخرة ولا تقوم الا على ذلك واعلى الفكرة واجلها وانفعها ما كان لله والدار
الاخرة فما كان لله فهو انواع احدها الفكرة في اياته المنزلة وتعقلها وفهم مراده منها
ولذلك انزلها الله تعالى لا لمجرد تلاوتها بل التلاوة وسيلة قال بعض السلف انزل القرآن
ليعمل به فاتخذوا تلاوته عملا الثاني الفكرة في اياته المشهودة والاعتبار بها والاستدلال
بها على اسمائه وصفاته وحكمته واحسانه وبره وجوده وقد حث سبحانه عباده
على التفكر في اياته وتدبرها وتعقلها وذم الغافل عن ذلك الثالث الفكرة في الائه
واحسانه وانعامه على خلقه باصناف النعم وسعة رحمته ومغفرته وحلمه
وعلمه وهذه الانواع الثلاثة تستخرج من القلب معرفة الله ومحبته وخوفه و
رجاءه ودوام الفكرة في ذلك مع الذكر يصبغ القلب في المعرفة والمحبة صبغة
الرابع الفكرة في عيوب النفس وافاتها وفي عيوب العمل وهذه الفكرة عظيمة النفع
وهي باب لكل خير وتاثيرها في كسر النفس الامارة ومتى كسرت عاشت النفس المطمئنة
وانتعشت وصار الحكم لها فحيي القلب ودارت كلمته في مملكته وبث امراءه وجنوده
في مصالحه الخامس الفكرة في واجب الوقت ووظيفته وجمع الهم كله فالعارف ابن
وقته فان اضاعه ضاعت عليه مصالحه كلها فجميع المصالح انما تنشا من الوقت فمتى ضاع
الوقت لم يستدركه ابدا قال الشافعي صحبت الصوفية فلم استفد منهم سوى حرفين
احدهما قولهم الوقت سيف فان قطعته والا قطعك وذكر الكلمة الاخرى فوقت
الانسان هو عمره في الحقيقة وهو مادة حياته الابدية في النعيم المقيم ومادة
معيشته الضنك في العذاب الاليم وهو يمر اسرع من مر السحاب فما كان من
وقته لله وبالله فهو حياته وعمره وغير ذلك ليس محسوبا من حياته وان عاش فيه عاش عيش البهائم
فاذا قطع وقته في الغفلة والسهو والاماني الباطلة وكان خير ما قطعه به النوم و

و البطالة فموت هذا خير من حياته واذا كان العبد وهو في الصلاة ليس له من صلاته الا ما عقل منها فليس له من عمره الا ما كان فيه بالله وله وما عدا هذه الاقسام من الخطرات والفكر فاما وساوس شيطانيه واما اماني باطله وخدع كاذبه بمنزلة خواطر المصابين في عقولهم من السكارى والمحشوشين والموسوسين ولسان حال هؤلاء يقول عند انكشاف الحقائق شعر

ان كان منزلتي في الحب عندكم ... ما قد لقيت فقد ضيعت ايامي
امنية ظفرت نفسي بها زمنا ... واليوم احسبها اضغاث احلامي

واعلم ان ورود الخاطر لا يضر انما يضر استدعاؤه ومحادثته والخاطر كالمار على الطريق فان لم تستدعه وتركته مر وانصرف عنك وان استدعيته سحرك بحديثه وخدعه وغروره وهو اخف شيء على النفس الفارغة البطالة واثقل شيء على القلب والنفس الشريفة السماوية المطمئنة وهما متعاديتان وكلما خف على هذه ثقل على هذه وكلما التذت به احدهما تالمت به الاخرى فليس على النفس الامارة اشق من العمل لله ولطاعته وكذا ليس على النفس المطمئنة اشق من العمل لغير الله واجابة داعي الهوى وليس عليها شيء اضر منه والملك مع هذه عن ميمنة القلب والشيطان مع تلك على ميسرة القلب والحرب مستمرة لا تضع اوزارها الى ان يستوفي اجلها من الدنيا والباطل كله يتحيز مع الشيطان والامارة والحق كله يتحيز مع الملك والمطمئنة والحرب دول وسجال والنصر مع الصبر ومن صبر وصابر ورابط واتقى الله فله العاقبة في الدنيا والاخرة وقد حكم الله حكما لا يبدل ابدا ان العاقبة للتقوى والعاقبة للمتقين فالقلب لوح فارغ والخواطر نقوش تنقش فيه فكيف يليق بالعاقل ان يكون نقوش لوحه ما بين كذب وغرور وخدع واماني باطلة وسراب لا حقيقة له فاي حكمة وعلم وهدى ينتقش مع هذه النقوش واذا اراد ان ينتقش ذلك في لوح قلبه كان بمنزلة العلم النافع في محل مشغول بكتابة ما لا منفعة فيه فان لم يفرغ القلب من الخواطر الردية لم تستقر فيه الخواطر النافعة فانها لا تستقر الا في محل فارغ كما قيل

اتاني هواها قبل ان اعرف الهوى ... فصادف قلبا خاليا فتمكنا

ولهذا

ولهذا كثير من ارباب السلوك بنوا سلوكهم على حفظ الخواطر وان لا يمكنوا خاطرا يدخل قلوبهم حتى تصير القلوب فارغة قابلة للكشف وظهور حقائق العلويات فيها وهؤلاء حفظوا شيئا وغابت عنهم اشياء فانهم اخلوا القلوب من ان يطرقها خاطر فبقيت فارغة لا شيء فيها فصادفها الشيطان خالية فبذر فيها الباطل في قوالب اوهمهم انها اعلى الاشياء واشرفها وعوضهم بها عن الخواطر التي هي مادة العلم والهدى واذا خلا القلب عن هذه الخواطر جاء الشيطان فوجد المحل خاليا فشغله بما يناسب حال صاحبه حيث لم يستطع ان يشغله بالخواطر السفلية فشغله بارادة التجريد والفراغ من الارادات التي لا صلاح للعبد ولا فلاح الا بان تكون هي المستولية على قلبه وهي ارادة مراد الله الديني الامري الذي يحبه ويرضاه وشغل القلب واهتمامه بمعرفته على التفصيل والقيام به وتنفيذه في الخلق والطرق الى ذلك والتوصل اليه بالدخول في الخلق لتنفيذه فيثبطهم الشيطان عن ذلك بان دعاهم الى تركه وتعطيله من باب الزهد في خواطر الدنيا واسبابها واوهم ان كمالهم في ذلك التجريد والفراغ وهيهات انما الكمال في امتلاء القلب والسر من الخواطر والارادات والفكر في تحصيل مراضي الرب تعالى من العبد ومن الناس والفكر في طرق ذلك والتوصل اليه فاكمل الناس اكثرهم خواطر وفكرا وارادات لذلك كما ان انقص الناس اكثرهم خواطر وفكرا وارادات لحظوظه وهواه اين كانت والله المستعان وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كانت تتزاحم عليه الخواطر في مراضي الرب تعالى فربما استعملها في صلاته فكان يجهز جيشه وهو في الصلاة فيكون قد جمع بين الجهاد والصلاة وهذا من باب تداخل العبادات في العبادة الواحدة وهو باب عزيز شريف لا يعرفه الا صادق الطلب متضلع من العلم عالي الهمة بحيث يدخل في عبادة يظفر فيها بعبادات شتى وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فصل واما اللفظات فحفظها بان لا يخرج لفظة ضائعة بل لا يتكلم الا فيما يرجو فيه الربح والزيادة في دينه فاذا اراد ان يتكلم بالكلمة نظر فيها هل فيها فائدة او ربح ام لا فان لم يكن فيها ربح امسك عنها وان كان فيها ربح نظر هل يفوته بها كلمة هي اربح منها فلا يضيعها بهذه واذا اراد

ان تستدل على ما في القلب فاستدل عليه بحركة اللسان فانه يطلع على ما في
القلب شاء صاحبه ام ابى قال يحيى بن معاذ القلوب كالقدور تغلي بما فيها
والسنتها مغارفها فانظر الرجل حتى يتكلم فان لسانه يغترف لك مما في قلبه
حلو وحامض وعذب واجاج وغير ذلك ويبين لك طعم قلبه اغتراف لسانه
اي كما تطعم بلسانك طعم ما في القدر من الطعام فتدرك العلم بحقيقته كذلك
تطعم ما في قلب الرجل من لسانه فتذوق ما في قلبه من لسانه كما تذوق ما في
القدر بلسانك وفي حديث انس المرفوع لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم
قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه وسئل عن اكثر ما يدخل الناس
النار فقال الفم والفرج قال الترمذي حديث صحيح وقد سأل معاذ النبي
صلى الله عليه وسلم عن العمل الذي يدخله الجنة ويباعده من النار فاخبره
براسه وعموده وذروة سنامه ثم قال الا اخبرك بملاك ذلك كله قال بلى
يا رسول الله فاخذ بلسان نفسه ثم قال كف عليك هذا فقال
وانا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال ثكلتك امك يا معاذ وهل يكب الناس
في النار على وجوههم او على مناخرهم الا حصائد السنتهم قال الترمذي
حديث صحيح ومن العجب ان الانسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من
اكل الحرام والظلم والزنى والسرقة وشرب الخمر ومن النظر المحرم وغير ذلك
ويصعب عليه التحفظ من حركة اللسان حتى ترى الرجل يشار اليه بالدين
والعبادة والزهد وهو يتكلم بالكلمات من سخط الله لا يلقي لها بالا ينزل
بالكلمة الواحدة منها ابعد ما بين المشرق والمغرب وكم ترى من رجل متورع
عن الفواحش والظلم ولسانه يفري في اعراض الاحياء والاموات ولا يبالي
ما يقول واذا اردت ان تعرف ذلك فانظر الى ما رواه مسلم في حديث جندب
ابن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رجل والله لا يغفر الله لفلان
فقال الله عز وجل من ذا الذي يتالى علي اني لا اغفر لفلان قد غفرت له
واحبطت عملك فهذا العابد الذي قد عبد الله ما شاء ان يعبده احبطت هذه
الكلمة الواحدة عمله كله وفي حديث ابي هريرة نحو ذلك ثم قال ابو هريرة

طعم

تكلم بكلمة

تكلم بكلمة اوبقت دنياه واخرته وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم ان العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا يرفعه بها
بالا يرفعه بها درجات وان العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي
بها في جهنم وعند مسلم ان العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار ابعد
ما بين المشرق والمغرب وعند الترمذي من حديث بلال بن الحارث عن النبي صلى
الله عليه وسلم ان احدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن ان يبلغ ما بلغت
فيكتب الله له بها رضوانه الى يوم يلقاه وان احدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله
ما يظن ان يبلغ ما بلغت فيكتب الله له بها سخطه الى يوم يلقاه وكان علقمة
يقول كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن الحارث وفي حديث جامع الترمذي
ايضا من حديث انس قال توفي رجل من الصحابة فقال رجل ابشر بالجنة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اولا تدري فلعله تكلم فيما لا يعنيه او بخل
بما لا ينقصه قال حديث حسن وفي لفظ ان غلاما استشهد يوم احد فوجد
على بطنه صخرة مربوطة من الجوع فمسحت امه التراب عن وجهه وقالت هنيئا
لك يا بني بالجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم فيما
لا يعنيه ويمنع ما لا يضره وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
يرفعه من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت وفي لفظ لمسلم من كان
يؤمن بالله واليوم الاخر فاذا شهد امرا فليتكلم بخير او ليسكت وذكر الترمذي باسناد
صحيح عنه صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وعن سفيان بن عبد الله
الثقفي قال قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام قولا لا اسال عنه احدا بعدك قال قل
امنت بالله ثم استقم قلت يا رسول الله ما اخوف ما تخاف علي فاخذ بلسان
نفسه ثم قال هذا وهذا الحديث صحيح وعن ام حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال كلام ابن ادم كله عليه لا له الا امر بمعروف او نهي عن منكر
او ذكر الله قال الترمذي حديث حسن وفي حديث اخر اذا اصبح العبد فان الاعضاء
كلها تكفر اللسان تقول اتق الله فانما نحن بك فان استقمت استقمنا وان اعوججت
اعوججنا وقد كان السلف يحاسب احدهم نفسه في يوم حار ويوم بارد ولعد

ظ
لعله تكلم

من اهل العلم صح

بان
نعبث صح

روى بعض الاكابر في النوم فسئل عن حاله فقال انا موقوف على كلمة قلتها قلت
ما احوج الناس الى غيث فقيل لي وما يدريك انا اعلم بمصالح عبادي وقال بعض
الصحابة لخادمه يوما هات لي السفرة نعبث بها ثم قال استغفر الله ما اتكلم بكلمة
منذ اسلمت الا وانا اخطمها وازمها الا هذه الكلمة خرجت مني بغير خطام ولا
زمام او كما قال وايسر حركات الجوارح حركة اللسان وهي اضرها على العبد و
اختلف السلف والخلف هل يكتب جميع ما يلفظ به او الخير والشر فقط على قولين
اظهرهما الاول وقال بعض السلف كل كلام ابن ادم عليه لا له الا ما كان من ذكر الله
وما والاه وكان الصديق رضي الله عنه يمسك بلسانه ويقول هذا اوردني الموارد
والكلام اسيرك فاذا خرج من فيك صرت اسيره والله عند لسان كل قائل وما يلفظ
من قول الا لديه رقيب عتيد وفي اللسان افتان عظيمتان ان خلص من احدهما
لم يخلص من الاخرى افة الكلام وافة السكوت وقد يكون كل واحدة منهما اعظم
من الاخرى في وقتها والساكت عن الحق شيطان اخرس عاص لله مراء مداهن اذا
لم يخف على نفسه والمتكلم بالباطل شيطان ناطق عاص لله واكثر الخلق منحرف
في كلامه وسكوته فهم بين هذين النوعين واهل الوسط وهم اهل الصراط
المستقيم كفوا السنتهم عن الباطل واطلقوها فيما يعود عليهم نفعه في
الاخرة فلا يرى احدهم انه يتكلم بكلمة تذهب عليه ضائعة بلا منفعة فضلا
ان تضره في اخرته وان العبد ليأتي يوم القيمة بحسنات كامثال الجبال
فيجد لسانه قد هدمها عليه ويأتي بسيئات كامثال الجبال فيجد لسانه قد
هدمها من ذكر الله وما اتصل به فصل واما الخطوات فحفظها بان لا ينقل
قدمه الا فيما يرجو ثوابه فان لم يكن في خطاه مزيد ثواب فالقعود عنها
خير له ويمكنه ان يستخرج من كل مباح يخطو اليه قربة ينويها لله فتقع خطاه
قربة ولما كانت العثرة عثرتين كما قيل

يموت الفتى من عثرة بلسانه ... وليس يموت المرء من عثرة الرجل
فعثرته في فيه ترمي براسه ... وعثرته في الرجل تبرا على مهل

عثرة الرجل وعثرة اللسان جاءت احداهما قرينة الاخرى في قوله تعالى وعباد الرحمن

الذين

الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما فوصفهم
بالاستقامة في لفظاتهم وخطواتهم كما جمع بين اللحظات والخطرات في قوله تعالى
يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور فصل وهذا كله ذكرناه مقدمة
بين يدي تحريم الفواحش ووجوب حفظ الفرج وقد قال صلى الله عليه وسلم اكثر
ما يدخل الناس النار الفم والفرج وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم لا يحل
دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك
لدينه المفارق للجماعة وهذا الحديث في اقتران الزنى بالكفر وقتل النفس نظير
الاية التي في الفرقان ونظير ~~الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم~~ حديث ابن
مسعود رضي الله عنه وبدأ صلى الله عليه وسلم بالاكثر وقوعا ثم بالذي يليه فالزنا اكثر
وقوعا من قتل النفس وقتل النفس اكثر وقوعا من الردة وايضا فانه انتقال من
الاكثر الى ما هو اكبر منه ومفسدة الزنا مناقضة لصلاح العالم فان المراة
اذا زنت ادخلت العار على زوجها واهلها واقاربها ونكست رؤسهم بين
الناس وان حملت من الزنا فان قتلت ولدها جمعت بين الزنا وبين القتل
وان حملته الزوج ادخلت على اهله واهلها اجنبيا ليس منهم فورثهم وراهم
وخلا بهم وانتسب اليهم وليس منهم الى غير ذلك من مفاسد زناها واما زنا
الرجل فانه يوجب اختلاط الانساب ايضا وافساد المراة المصونة وتعريضها
للتلف والفساد ففي هذه الكبيرة خراب الدنيا والدين وان عمرت القبور
في البرزخ والنار في الاخرة فكم في الزنا من استحلال المحرمات وفوات حقوق
ووقوع مظالم ومن خاصيته انه يوجب الفقر ويقصر العمر ويكسو صاحبه
سواد الوجه وثوب المقت بين الناس ومن خاصيته ايضا انه يشتت القلب
ويمرضه ان لم يمته ويجلب الهم والحزن والخوف ويباعد صاحبه من الملك
ويقرب من الشيطان فليس بعد مفسدة القتل اعظم مفسدة من مفسدته
ولهذا شرع فيه القتل على اشنع الوجوه وافحشها واصعبها وافضحها ولو
بلغ العبد ان امراته قتلت لكان اسهل عليه من ان يبلغه انها زنت وقال
سعد بن عبادة لو رايت رجلا مع امراتي لضربته بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك

وقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تعجبون من غيرة سعد والله لانا اغير منه و
الله اغير مني ومن اجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن متفق عليه
وفي الصحيحين ايضا عنه صلى الله عليه وسلم ان الله يغار وان المؤمن يغار وغيرة
الله ان ياتي العبد ما حرم الله عليه وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم لا احد
اغير من الله من اجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا احد احب اليه
العذر من الله من اجل ذلك ارسل الرسل مبشرين ومنذرين ولا احد احب اليه
المدح من الله من اجل ذلك اثنى على نفسه وفي الصحيحين في خطبته صلى الله عليه
وسلم في صلاة الكسوف انه قال يا امة محمد والله انه لا احد اغير من الله ان
يزني عبده او تزني امته يا امة محمد والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا
ولبكيتم كثيرا ثم رفع يديه وقال اللهم هل بلغت وفي ذكر هذه الكبيرة بخصوصها
عقيب صلاة الكسوف سر بديع لمن تامله وظهور الزنا من امارات خراب
العالم وهو من اشراط الساعة كما في الصحيحين عن انس بن مالك انه قال لاحدثنكم
حديثا لا يحدثكم احد بعدي سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان من اشراط الساعة ان يرفع العلم ويظهر
الجهل ويشرب الخمر ويظهر الزنا ويقل الرجال ويكثر النسا حتى يكون لخمسين
امراة القيم الواحد وقد جرت سنة الله سبحانه في خلقه انه عند ظهور الزنا
يغضب سبحانه ويشتد غضبه فلا بد ان يؤثر غضبه في الارض عقوبة قال
عبد الله بن مسعود ما ظهر الزنا والربا في قرية الا اذن الله باهلاكها وراى
بعض احبار بني اسرائيل ابنا له يغامز امراة فقال مهلا يا بني فصرع الاب
عن سريره فانقطع نخاعه وسقطت امراته وقيل له هكذا غضبك لي لا يكون
في خير ابدا وخص سبحانه حد الزنا من بين الحدود بثلاث خصائص
احدها القتل فيه باشنع القتلات وحيث خففه فجمع فيه بين العقوبة على
البدن بالجلد وعلى القلب بتغريبه عن وطنه سنة الثاني انه نهى عباده ان
ياخذهم بالزناة رافة في دينه بحيث تمنعهم من اقامة الحد عليهم فانه سبحانه
من رافته ورحمته بهم شرع هذه العقوبة فهو ارحم منكم ولم يمنعه ذلك رحمته

من امره

من امره بهذه العقوبة فلا يمنعكم انتم ما تقوم بقلوبكم من الرافة من اقامة
امره وهذا وان كان عاما في سائر الحدود ولكن ذكر في حد الزنا خاصة لشدة الحاجة
الى ذكره فان الناس لا يجدون في قلوبهم من الغلظة والقسوة على الزاني ما يجدونه
على السارق والقاذف وشارب الخمر فقلوبهم ترحم الزاني اكثر مما ترحم غيره من
ارباب الجرائم والواقع شاهد بذلك فنهوا ان تاخذهم هذه الرافة وتحملهم
على تعطيل حد الله وسبب هذه الرحمة ان هذا ذنب يقع من الاشراف والاوساط
والاراذل وفي النفوس اقوى الدواعي اليه والمشاركة فيه كثير واكثر اسبابه
العشق والقلوب مجبولة على رحمة العاشق وكثير من الناس يعد مساعدته
طاعة وقربة وان كانت الصورة المعشوقة محرمة عليه ولا يستنكر هذا الامر
فانه مستقر عند ما شاء الله من اشباه الانعام وقد حكي لنا من ذلك شيء كثير
اكثره عن ناقصي العقول كالخدام والنسا وايضا فان هذا ذنب غالب ما يقع مع
التراضي من الجانبين ولا يقع فيه من العدوان والظلم والاغتصاب ما تنفر النفوس
منه وفيها شهوة غالبة فتصور ذلك لنفسها فتقوم بها رحمة تمنع اقامة الحد
وهذا كله من ضعف الايمان وكمال الايمان ان تقوم به قوة يقيم بها امر الله ورحمة يرحم
بها المحدود فيكون موافقا لربه تعالى في امره ورحمته الثالث انه سبحانه امر ان
يكون حدهما بمشهد من المؤمنين فلا يكون خلوة حيث لا يراهما احد وذلك
ابلغ في مصلحة الحد وحكمة الزجر وحد الزاني المحصن مشتق من عقوبة
الله لقوم لوط بالقذف بالحجارة وذلك لاشتراك الزنا واللواط في الفحش
وفي كل منهما فساد ينافي حكمة الله تعالى في خلقه وامره فان في اللواط من المفاسد
ما يفوت الحصر والتعداد ولان يقتل المفعول به خير له من ان يؤتى فانه يفسد
فسادا لا يرجى له بعده صلاح ابدا ويذهب خيره كله وتمص الارض ماء
الحيا من وجهه فلا يستحيي بعد ذلك من الله ولا من خلقه ويعمل في قلبه وروحه
نطفة الفاعل ما يعمل السم في البدن وقد اختلف الناس هل يدخل الجنة
مفعول به على قولين سمعت شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية يحكيهما والذين
قالوا لا يدخل الجنة احتجوا بامور منها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة

لعله مباعدته

ولد زانية فاذا كان هذا حال ولد الزنا مع انه لا ذنب له في ذلك ولكنه مظنة كل
شر وخبث وهو جدير ان لا يجيء منه خير ابدا لانه مخلوق من نطفة خبيثة و
اذا كان الجسد الذي يربى على الحرام النار اولى به فكيف بالجسد المخلوق من
النطفة الحرام قالوا والمفعول به اشر من ولد الزنا واخزى واخبث واوسخ
واقبح وهو جدير ان لا يوفق لخير وان يحال بينه وبينه وكلما عمل خيرا قيض له
ما يفسده عقوبة وقل ان يرى من كان كذلك في صغره الا وهو في كبره شر
مما كان ولا يوفق لعلم نافع ولا عمل صالح ولا توبة نصوح والتحقيق في المسئلة
ان يقال ان تاب المبتلى بهذا البلاء وتاب ورزق توبة نصوحا وعملا صالحا
وكان في كبره خيرا منه في صغره وبدل سيئاته بحسنات وغسل عار ذلك عنه
بانواع الطاعات والقربات وغض بصره وحفظ فرجه عن المحرمات وصدق
الله في معاملته فهذا مغفور له وهو من اهل الجنة فان الله يغفر الذنوب
جميعا وان كانت التوبة تمحو كل ذنب حتى الشرك بالله وقتل انبيائه واوليائه
والسحر والكفر وغير ذلك فلا تقصر عن محو هذا الذنب وقد استقرت حكمة
الله عدلا وفضلا ان التائب من الذنب كمن لا ذنب له وقد ضمن الله سبحانه لمن تاب
من الشرك وقتل النفس والزنا انه يبدل سيئاته حسنات وهذا حكم عام
لكل تائب من كل ذنب وقد قال الله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم
فلا يخرج من هذا العموم ذنب واحد ولكن هذا في حق التائبين خاصة
واما مفعول به كان في كبره شرا مما كان في صغره لم يوفق لتوبة نصوح ولا لعمل
صالح ولا يستدرك ما فات واحيا ما مات ولا بدل الحسنات بالسيئات
فهذا بعيد ان يوفق عند الخاتمة لدخول الجنة عقوبة على عمله فان الله يعاقب
على السيئة سيئة اخرى وتتضاعف عقوبة السيئات بعضها ببعض كما يثيب
على الحسنة بحسنة اخرى فاذا نظرت الى كثير من المحتضرين وجدتهم يحال
بينهم وبين حسن الخاتمة عقوبة لهم على اعمالهم السيئة قال الحافظ
ابو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الاشبيلي رحمه الله واعلم ان لسوء الخاتمة اعاذنا

الله منها اسباب ولها طرق وابواب اعظمها الانكباب على الدنيا والاعراض
عن الاخرة والاقدام والجراءة على معاصي الله عز وجل وربما غلب على الانسان
ضرب من الخطيئة ونوع من المعاصي وجانب من الاعراض ونصيب من الجراءة
والاقدام فملك قلبه وسبى عقله واطفأ نوره وارسل عليه حجبه فلم تنفع فيه
تذكرة ولا نجعت فيه موعظة فربما جاءه الموت على ذلك فسمع النداء من مكان
بعيد فلم يتبين المراد ولا علم ما اراد وان كرر عليه الداعي واعاد وروي ان بعض
الرجال الناصر نزل به الموت فجعل ابنه يقول قل لا اله الا الله فقال الناصر مولاي
فاعاد عليه القول فقال مثل ذلك ثم اصابته غشية فلما افاق قال الناصر مولاي
وكان هذا دابه كلما قيل له قل لا اله الا الله قال الناصر مولاي ثم قال لابنه
يا فلان الناصر انما يعرفك بسيفك والقتل ثم مات قال عبد الحق وقيل لاخر ممن
اعرفه قل لا اله الا الله فجعل يقول الدار الفلانية اصلحوا فيها كذا والبستان
الفلاني افعلوا فيه كذا قال وفيما اذن لي ابو طاهر السلفي ان احدث به عنه
ان رجلا نزل به الموت فقيل له قل لا اله الا الله فجعل يقول بادسيرده يازده
تفسيره عشرة باحدى عشر وقيل لاخر قل لا اله الا الله فجعل يقول اين الطريق
الى حمام منجاب قال وهذا الكلام له قصة وذلك ان رجلا كان واقفا بباب
داره وكان بابها يشبه باب الحمام فمرت به جارية لها منظر فقالت اين الطريق
الى حمام منجاب فقال هذا حمام منجاب فدخلت الدار ودخل وراها فلما رأت
نفسها في داره وعلمت انه قد خدعها اظهرت له البشر والفرح باجتماعها معه
وقالت له يصلح ان يكون معنا ما يطيب به عيشنا وتقر به عيوننا فقال لها
الساعة آتيك بكل ما تريدين وتشتهين وخرج وتركها في الدار ولم يغلقها
فاخذ ما يصلح ورجع فوجدها قد خرجت وذهبت ولم تخنه في شيء فهام الرجل
واكثر الذكر لها وجعل يمشي في الطرق والازقة ويقول

يا رب قائلة يوما وقد تعبت ۞ كيف الطريق الى حمام منجاب

فبينما هو يوما يقول ذلك واذا بجارية اجابته من طاق قريب

هلا جعلت اذ لما ظفرت بها ۞ حرزا على الدار او قفلا على الباب

فازداد هيمانه واشتد هيجانه ولم يزل كذلك حتى كان هذا البيت آخر كلامه
من الدنيا **قال** ويروى ان رجلا عشق شخصا فاشتد كلفه به وتمكن حبه من
قلبه حتى وقع البابه ولزم الفراش بسببه وتمنع ذلك الشخص عليه واشتد
نفاره عنه فلم تزل الوسائط تمشي بينهما حتى وعده بان يعوده فاخبر بذلك
البائس الفقير ففرح واشتد سروره وفرحه وانجلى غمه وجعل ينظر الى الميعاد
الذي ضربه له فبينا هو كذلك اذ جاءه الساعي بينهما فقال انه وصل معي الى
بعض الطريق ورجع فرغبت اليه وكلمته فقال انه ذكرني وفرح بي ولا ادخل مداخل
الريب ولا اعرض نفسي لمواضع التهم فعاودته فابى وانصرف فلما سمع البائس اسقط
في يده وعاد الى اشد مما كان به وبدت عليه علامات الموت فجعل يقول في تلك
الحال ابيات شعر

اسلم يا راحة العليل ... ويا شفا المدنف النحيل
رضاك اشهى الى فؤادي ... من رحمة الخالق الجليل

فقلت له يا فلان اتق الله قال قد كان فقمت عنه فما جاوزت باب داره حتى سمعت
صيحة الموت فعياذا بالله من سوء العاقبة وشؤم الخاتمة ولهذا بكى سفيان الثوري
ليلة الى الصباح فلما اصبح قيل له كل هذا خوفا من الذنوب فاخذ تبنة من الارض
وقال الذنوب اهون علي من هذه وانما ابكي من خوف الخاتمة وهذا من اعظم
الفقه ان يخاف الرجل ان تخدعه ذنوبه عند الموت فتحول بينه وبين الخاتمة
الحسنى **وقد** ذكر الامام احمد عن ابي الدرداء انه لما احتضر جعل يغمى عليه ثم يفيق ويقرأ
ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون
فمن هذا خاف السلف من الذنوب ان تكون حجابا بينهم وبين الخاتمة بالحسنى
قال واعلم ان سوء الخاتمة اعاذنا الله منها لا يكون لمن استقام ظاهره وصلح
باطنه ما سمع بهذا ولا علم به ولله الحمد وانما يكون لمن له فساد في العقيدة او اصرار
على الكبائر واقدام على العظائم فربما غلب ذلك عليه حتى ينزل به الموت قبل
التوبة فياخذه قبل اصلاح الطوية ويصطلم قبل الانابة فيظفر به الشيطان
عند تلك الصدمة ويختطفه عند تلك الدهشة والعياذ بالله **قال** ويروى
انه كان بمصر رجل يلزم مسجدا للاذان والصلاة وعليه بهاء الطاعة وانوار

العبادة فرقى يوما المنارة على عادته للاذان وكان تحت المنارة دار لنصراني ذمي
فاطلع فيها فرأى ابنة صاحب الدار فافتتن بها فترك الاذان ونزل اليها ودخل الدار
فقالت له ما شانك وما تريد قال اريدك قالت لماذا قال قد سلبت لبي واخذت
بمجامع قلبي قالت لا اجيبك الى ريبة قال اتزوجك قالت انت مسلم وانا نصرانية
وابي لا يزوجني منك قال لها اتنصر قالت ان فعلت افعل فتنصر الرجل ليتزوجها
واقام معهم في الدار فلما كان في اثناء ذلك اليوم رقي الى سطح كان في الدار فسقط منه
فمات فلم يظفر بها وفاته دينه **فصل** ولما كانت مفسدة اللواط من
اعظم المفاسد كانت عقوبته في الدنيا والاخرة من اعظم العقوبات وقد اختلف
الناس هل هو اغلظ عقوبة من الزنى او الزنى اعظم عقوبة منه او عقوبتهما
سوا على ثلاثة اقوال فذهب علي بن ابي طالب وابو بكر الصديق وخالد بن الوليد
وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عباس وجابر بن زيد وعبد الله بن معمر والزهري
وربيعة بن ابي عبد الرحمن ومالك واسحق بن راهويه والامام احمد في اصح الروايتين
عنه والشافعي في احد قوليه الى ان عقوبته اغلظ من عقوبة الزنا وعقوبته
القتل على كل حال محصنا كان او غير محصن وذهب عطاء بن ابي رباح والحسن
البصري وسعيد بن المسيب وابراهيم النخعي وقتادة والاوزاعي والشافعي في
ظاهر مذهبه والامام احمد في الرواية الثانية عنه وابو يوسف ومحمد الى ان عقوبته
عقوبة الزنا سوا وذهب الحكم والامام ابو حنيفة الى ان عقوبته دون عقوبة
الزاني وهي التعزير قالوا لانه معصية من المعاصي لم يقدر الله ولا رسوله
فيه حدا مقدرا فكان فيه التعزير كاكل الميتة والدم ولحم الخنزير قالوا
ولانه وطء في محل لا تشتهيه الطباع بل ركبها الله على النفرة منه حتى الحيوان
البهيم فلم يكن فيه حد كوطء الحمار وغيره قالوا ولانه لا يسمى زانيا لغة
ولا شرعا ولا عرفا فلا تدخل في النصوص الدالة على حد الزانيين قالوا ولانا
راينا قواعد الشريعة ان المعصية اذا كان الوازع عنها طبعا اكتفي بذلك الوازع
من الحد واذا كان في الطباع تقاضيها جعل فيها الحد بحسب اقتضاء الطباع
لها ولهذا جعل الحد في الزنى والسرقة وشرب المسكر دون اكل الميتة والدم

ولحم الخنزير قالوا وأطرد هذا انه لا حد في وطي البهيمة ولا الميتة وقد جبل الله
سبحانه الطباع على النفرة من وطي الرجل مثله اشد نفرة كما جبلها على النفرة من
استدعاء الرجل من يطؤه بخلاف الزنى فان الداعي فيه من الجانبين قالوا ولان
احد النوعين اذا استمتع بشكله لم يجب عليه الحد كما لو تساحقت المراتان واستمتعت
كل واحدة منهما بالاخرى **قال** اصحاب القول الاول وهو جمهور الامة وحكاه
غير واحد اجماعا للصحابة ليس في المعاصي اعظم مفسدة من هذه المفسدة وهي تلي
مفسدة الكفر وربما كانت اعظم من مفسدة القتل كما سنبينه ان شاء الله تعالى
قالوا ولم يبتل الله سبحانه بهذه الكبيرة قبل قوم لوط احدا من العالمين وعاقبهم
عقوبة لم يعاقب بها امة غيرهم وجمع عليهم من انواع العقوبات من الاهلاك
وقلب ديارهم عليهم والخسف بهم ورجمهم بالحجارة من السما فنكل بهم
نكالا لم ينكله بامة سواهم وذلك لعظم مفسدة هذه الجريمة التي تكاد الارض
تميد من جوانبها اذا عملت عليها وتهرب الملئكة الى اقطار السموات والارض
اذا شاهدوها خشية نزول العذاب على اهلها فيصيبهم معهم وتعج الارض
الى ربها تبارك وتعالى وتكاد الجبال تزول عن اماكنها وقتل المفعول به خير له
من وطئه فاذا وطئه قتله قتلا لا ترجى الحيوة معه بخلاف قتله فانه مظلوم
شهيد وربما ينتفع به في اخرته قالوا والدليل على هذا ان الله سبحانه وتعالى جعل
حد القتل الى خيرة الولي ان شاء قتل وان شاء عفا وحتم قتل اللوطي حدا
كما اجمع عليه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ودلت عليه السنة الصحيحة
الصريحة التي لا معارض لها بل عليها عمل الصحابة والخلفاء الراشدين **وقد**
ثبت عن خالد بن الوليد انه وجد في بعض نواحي العرب رجلا ينكح كما تنكح المراة
فكتب الى ابي بكر الصديق فاستشار ابو بكر الصحابة رضي الله عنهم فكان علي بن
ابي طالب رضي الله عنه اشدهم قولا فيه فقال ما فعل هذا الا امة من الامم
واحدة وقد علمتم ما فعل الله بها ارى ان يحرق بالنار فكتب ابو بكر فحرقه **وقال**
عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ينظر اعلى بناء في القرية فيرمى اللوطي منها منكسا
ثم يتبع بالحجارة واخذ عبد الله بن عباس هذا الحد من عقوبة الله للوطية

قوم لوط

قوم لوط وابن عباس هو الذي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجدتموه يعمل عمل
قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به رواه اهل السنن وصححه ابن حبان وغيره **واحتج**
الامام احمد بهذا الحديث واسناده على شرط البخاري قالوا وثبت عنه انه قال لعن الله من
عمل عمل قوم لوط ولم يجئ عنه لعنة الزاني في حديث واحد وقد لعن جماعة من اهل الكبائر
فلم يتجاوز بهم اللعنة مرة واحدة وكرر لعن اللوطية واكده ثلاث مرات واطبق اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتله فلم يختلف فيه منهم رجلان وانما اختلفت اقوالهم في صفة
قتله فظن بعض الناس ان ذلك اختلاف منهم في قتله فحكاها مسئلة نزاع بين الصحابة
وهي بينهم مسئلة اجماع لا مسئلة نزاع قالوا ومن تامل قوله سبحانه ولا تقربوا الزنا انه كان
فاحشة وساء سبيلا وقوله في اللواط اتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين
تبين له تفاوت ما بينهما فانه سبحانه نكر الفاحشة في الزنا اي هو فاحشة من الفواحش
وعرفها في اللواط وذلك يفيد انه جامع لمعاني اسم الفاحشة كما يقول زيد الرجل
ونعم الرجل زيد اي اتاتون الخصلة التي استقر فحشها عند كل احد وهي لظهور
فحشها وكماله غنية عن ذكرها بحيث لا ينصرف الاسم الى غيرها وهذا نظير قول فرعون
لموسى وفعلت فعلتك التي فعلت اي الفعلة الشنعا الظاهرة المعلومة لكل احد
ثم اكد سبحانه شان فحشها بانها لم يعملها احد من العالمين قبلهم ثم زاد في التاكيد
بان صرح بما تشمئز منه القلوب وتنبو عنه الاسماع وتنفر منه اشد نفرة الطباع
وهو اتيان الرجل رجلا مثله ينكحه كما ينكح الانثى فقال ائنكم لتاتون الرجال ثم
نبه على استغنائهم عن ذلك وان الحامل لهم عليه ليس الا مجرد الشهوة لا الحاجة
التي لاجلها مال الذكر الى الانثى من قضاء الوطر ولذة الاستمتاع وحصول المودة
والرحمة التي تنسى المراة لها ابويها وتذكر بعلها وحصول النسل الذي هو حفظ
هذا النوع الذي هو اشرف المخلوقات وتحصين المراة وقضاء وطرها وحصول
علاقة المصاهرة التي هي اخت النسب وقيام النساء على الرجال وخروج احب
الخلق الى الله من جماعهن كالانبيا والاوليا والمؤمنين ومكاثرة النبي صلى الله عليه
وسلم بامته الى غير ذلك من مصالح النكاح التي اللواط يقاوم ذلك ويربا عليه بما لا يمكن
حصر فساده ولا يعلم تفصيله الا الله ثم اكد سبحانه قبح ذلك بان حكم عليهم بالاسراف

ومجاوزة الحد فقال بل انتم قوم مسرفون فتامل هل جاء مثل ذلك او
قريب منه في الزنا واكد سبحانه ذلك عليهم بقوله ونجيناه من القرية التي
كانت تعمل الخبائث ثم اكد عليهم الذم بوصفين في غاية القبح فقال انهم
كانوا قوم سوء فاسقين وسماهم مفسدين في قول نبيهم رب انصرني
على القوم المفسدين وسماهم ظالمين في قول الملئكة لابراهيم انا مهلكوا
اهل هذه القرية ان اهلها كانوا ظالمين فتامل من عوقب بمثل هذه
العقوبات ومن ذمه الله بمثل هذه المذمات ولما جادل فيهم خليل
الله ابراهيم الملئكة وقد اخبروه باهلاكهم فقيل له يا ابراهيم
اعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك وانهم اتيهم عذاب غير مردود
وتامل خبث اللوطية وفرط تمردهم على الله حيث جاؤا نبيهم لوطا
لما سمعوا بانه قد طرقه اضياف هم من احسن البشر صورا فاقبل اللوطية
اليه يهرعون فلما راهم قال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم ففدا اضيافه
ببناته يزوجهم بهن خوفا على نفسه واضيافه من العار الشديد فقال
يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي اليس منكم
رجل رشيد فردوا عليه ولكن رد جبار عنيد لقد علمت ما لنا في بناتك
من حق وانك لتعلم ما نريد قال لو ان لي بكم قوة او اوي الى ركن شديد
فنفث نبي الله نفثة مصدور خرجت من قلب مكروب عميد وقال لو ان لي بكم قوة
او اوي الى ركن شديد فنفس له رسل الله وكشفوا عن حقيقة الحال
واعلموه انهم ليسوا ممن يوصل اليهم والى اليه بسببهم سبيل فلا تخف
منهم ولا تعبا بهم وهون عليك فقالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا
اليك وبشروه بما جاؤا به من الوعد له ولقومه من الوعيد المصيب
فقالوا فاسر باهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم احد الا امرأتك
انه مصيبها ما اصابهم ان موعدهم الصبح فاستبطأ نبي الله موعد هلاكهم
وقال اريد اعجل من هذا فقالت الملئكة اليس الصبح بقريب فوالله ما كان

بين

لهم صح

بين هلاك اعداء الله ونجاة نبيه واوليائه الا ما بين السحر وطلوع الفجر واذا
بديارهم قد اقتلعت من اصولها ورفعت نحو السما حتى سمعت الملئكة
نباح الكلاب ونهيق الحمير فبرز المرسوم الذي لا يرد من عند الرب الجليل
الى عبده ورسوله جبريل بان يقلبها عليهم كما اخبر به في محكم التنزيل
فقال عز من قائل فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة
من سجيل فجعلهم اية للعالمين وموعظة للمتقين ونكالا وسلفا لمن
شاركهم في اعمالهم من المجرمين وجعل ديارهم بطريق السالكين ان في
ذلك لايات للمتوسمين وانها لبسبيل مقيم ان في ذلك لاية للمؤمنين اخذهم
على غرة وهم نائمون وجاءهم باسه وهم في سكرتهم يعمهون فما اغنى عنهم
ما كانوا يكسبون فانقلبت تلك اللذات الاما فاصبحوا بها يعذبون
كانت في الحيوة الدنيا لاهلها عذابا فصارت في الممات عذابا ذهبت
اللذات واعقبت الحسرات وانقضت الشهوات واورثت الشقاوة
تمتعوا قليلا وعذبوا طويلا رتعوا مرتعا وخيما فاعقبهم عذابا اليما
واسكرتهم خمر تلك الشهوة فما استفاقوا منها الا في ديار المعذبين
وارقدتهم تلك الغفلة فما استيقظوا الا وهم في منازل الهالكين فندموا
والله اشد الندامة حين لا ينفع الندم وبكوا على ما اسلفوه بدل الدموع
بالدم فلو رايت الاعلى والاسفل من هذه الطائفة والنار تخرج من
منافذ وجوههم وابدانهم وهم بين اطباق الجحيم وهم يشربون بدل
لذيذ الشراب كؤس الحميم ويقال لهم وهم على وجوههم مسحبون ذوقوا
ما كنتم تكسبون اصلوها فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون
ما كنتم تعملون ولقد قرب الله سبحانه مسافة العذاب بين الامة وبين اخوانهم
في العمل فقال مخوفا لهم ان يقع الوعيد وما هي من الظالمين ببعيد شعر

فيا ناكح الذكران يهنيكم البشرا ... فيوم معاد الناس ان لكم اجرا
كلوا واشربوا وازنوا ولوطوا وابشروا ... فان لكم زفا الى الجنة الحمرا
فاخوانكم قد مهدوا الدار قبلكم ... وقالوا الينا عجلوا لكم البشرى

وها نحن اسلافكم في انتظاركم — سيجمعنا الجبار في ناره الكبرا
ولا تحسبون ان الذين نكحتم — يغيبون عنكم بل ترونهم جهرا
ويلعن كل منكم لخليله — ويشقى به المحزون في الكرة الاخرا
يعذب كل منهما بشريكه — كما اشتركا في لذة توجب الوزرا

فصل في الاجوبة عما احتج به من جعل عقوبة هذه الفاحشة دون عقوبة الزنا اما قولهم انها معصية لم يجعل الله فيها حدا معينا اعاذنا الله منها فجوابه من وجوه **احدها** ان المبلغ عن الله جعل حد صاحبها القتل حتما وما يشرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانما شرعه عن الله فان اردتم ان حدها غير معلوم بالشرع فهو باطل وان اردتم انه غير ثابت بنص الكتاب لم يلزم انتفاء حكمه لثبوته بالسنة **الثاني** ان هذا ينتقض عليكم بالرجم فانه انما ثبت بالسنة فان قلتم بل ثبت بقران نسخ لفظه وبقي حكمه قلنا فينتقض عليكم بحد شارب الخمر **الثالث** ان نفي دليل معين لا يستلزم نفي مطلق الدليل ولا نفي المدلول فكيف وقد قدمنا ان الدليل الذي نفيتموه غير منتف **واما** قولكم انه وطي في محل لا تشتهيه الطباع بل ركب الله الطباع على النفرة منه فهو كوطي الميتة والبهيمة فجوابه من وجوه **احدها** انه قياس فاسد الاعتبار مردود بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجماع الصحابة كما تقدم بيانه **الثاني** ان قياس وطي الامرد الجميل الذي فتنته تربي على كل فتنة على وطي اتان او امراة ميتة من افسد القياس وهل يعدل احد قط باتان او بقرة او ميتة او شيئا من ذلك عقل عاشق او اسر قلبه او استولى على فكره ونفسه فليس في القياس افسد من هذا **الثالث** انه منتقض بوطي الام والبنت والاخت وان النفرة الطبيعية عنه حاصلة مع ان الحد فيه من اغلظ الحدود في احد القولين وهو القتل بكل حال محصنا كان او غير محصن وهذا هو احد الروايتين عن الامام احمد وهو قول اسحق بن راهويه وجماعة من اهل الحديث **وقد** روى ابو داود من حديث البرا بن عازب قال لقيت عمي ومعه الراية فقلت الى اين تريد قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رجل نكح امراة ابيه من بعده ان اضرب عنقه واخذ ماله **قال** الترمذي

لعله ان نفي

هذا حديث

هذا حديث حسن **قال** الجوزجاني عم البرا اسمه الحارث بن عمرو **وفي** سنن ابن ماجه من حديث ابن عباس قال **قال** رسول الله صلى الله عليه وسلم من وقع على ذات محرم فاقتلوه ورفع الى الحجاج رجل اغتصب اخته على نفسها فقال احبسوه واسالوا من ها هنا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالوا عبد الله بن مطرف فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من تخطى حرم المؤمنين فخطوا وسطه بالسيف **وفيه** دليل القتل بالتوسط وهذا **دليل** مستقل في المسئلة وهو ان من لا يباح وطيه بحال ففيه القتل دليله من وقع على امه او بنته وكذلك يقال في وطي ذوات المحارم ووطي من لا يباح وطيه بحال فكان حده القتل كاللوطي والتحقيق ان يستدل على المسئلتين بالنص والقياس يشهد لصحة كل منهما **وقد** اتفق المسلمون على ان من زنا بذات محرمه فعليه الحد وانما اختلفوا في صفة الحد هل هو القتل بكل حال او حده حد الزاني على قولين فذهب الشافعي ومالك واحمد في احد روايتيه ان حده حد الزاني وذهب احمد واسحق وجماعة من اهل الحديث الى ان حده القتل بكل حال وكذلك اتفقوا كلهم على انه لو اصابها باسم النكاح عالما انه يحد الا ابا حنيفة وحده فانه راى ذلك شبهة مسقطة للحد ومنازعوه يقولون اذا اصابها باسم النكاح فقد زاد الجريمة غلظا وشدة فانه ارتكب محذورين عظيمين محذور العقد ومحذور الوطي فكيف يخفف عنه العقوبة بضم محذور العقد الى محذور الزنا **واما** وطي الميتة ففيه قولان للفقهاء وهما في مذهب احمد وغيره **احدها** يجب به الحد وهو قول الاوزاعي وان فعله اعظم جرما واكبر ذنبا لانه انضم الى الفاحشة هتك حرمة الميتة

فصل واما وطي البهيمة فللفقهاء فيه ثلاثة اقوال **احدها** انه يؤدب وهو قول مالك وابو حنيفة والشافعي في احد قوليه وهو قول اسحق **الثاني** ان حكمه حكم الزاني يجلد ان كان بكرا ويرجم ان كان محصنا وهذا قول الحسن والقول **الثالث** ان حكمه حكم اللوطي نص عليه احمد فيخرج على الروايتين في حده هل هو القتل حتما او كالزاني والذين قالوا حده القتل احتجوا بما رواه

لعله الجرجاني

ابو داود من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم من اتى بهيمة فاقتلوه
واقتلوها معه قالوا ولانه وطي لا يباح بحال فكان فيه القتل كحد اللوطي ومن لم ير عليه
حدا قالوا لم يصح فيه الحديث ولو صح لقلنا به ولم يحل لنا مخالفته قال اسمعيل بن سعيد
الشالنجي سالت احمد عن الذي اتى البهيمة فوقف عندها ولم يثبت حديث عمرو بن
ابي عمرو في ذلك قال الطحاوي الحديث ضعيف وايضا فراويه ابن عباس وقد افتى
بانه لا حد عليه قال ابو داود وهذا يضعف الحديث ولا ريب ان الزاجر الطبيعي
عن اتيان البهيمة اقوى من الزاجر الطبيعي عن التلوط وليس الامران في طباع الناس
سوا فالحاق احدهما بالاخر من افسد القياس **فصل** واما قياسكم وطي
الرجل لمثله على تدالك المراتين فمن افسد القياس اذ لا ايلاج هناك وانما نظيره
مباشرة الرجل الرجل من غير ايلاج على انه قد جاء في بعض الاثار المرفوعة اذا اتت
المراة المراة فهما زانيتان ولكن لا يجب الحد بذلك لعدم الايلاج وان اطلق عليها
اسم الزنا العام كزنا العين واليد والرجل والفم واذا ثبت هذا فاجمع المسلمون
على حكم التلوط مع المملوك كحكمه مع غيره ومن ظن ان تلوط الانسان مع مملوكه
جائز واحتج على ذلك بقوله تعالى الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين
وقاس ذلك على امته المملوكة فهو كافر يستتاب كما يستتاب المرتد فان تاب والا
ضرب عنقه وتلوط الانسان بمملوكه كتلوطه بمملوك غيره في الاثم والحكم **فصل**
فان قيل وهل مع ذلك كله دوا لهذا الداء العضال ورقية لهذا السحر القتال وما
الاحتيال لدفع هذا الخبال وهل من طريق قاصد الى التوفيق وهل يمكن السكران
بخمرة الهوى ان يفيق وهل يملك العاشق قلبه والعشق قد وصل الى سويدائه وهل
للطبيب بعد ذلك حيلة في برئه من سودائه ان لامه لائم التذ بملامته ذكرا
لمحبوبه وان عذله عاذل وسابه في طريق مطلوبه ينادي عليه شاهد حاله بلسان
مقاله شعر

وقف الهوى بي حيث انت فليس لي … متاخر عنه ولا متقدم
واهنتني فاهنت نفسي جاهدا … يامن يهون عليك ممن يكرم
اشبهت اعدائي فصرت احبهم … اذ كان حظي منك حظي منهم
اجد الملامة في هواك لذيذة … حبا لذكرك فليلمني اللوم

ولعل

ولعل هذا هو المقصود بالسوال الاول الذي وقع عليه الاستفتا والذي يطلب له
الدوا قيل نعم **الجواب** من راس وما انزل الله سبحانه داء الا انزل له دوا علمه
من علمه وجهله من جهله والكلام في دوا هذا الداء من طريقين **احدهما** حسم مادته
قبل حصولها **والثاني** قلعها بعد نزولها وكلاهما يسير على من يسره الله عليه ومتعذر على
من لم يعنه الله فان ازمة الامور بيده واما الطريق المانعة من حصول هذا الدا فامران
احدهما غض البصر كما تقدم فان النظرة سهم مسموم من سهام ابليس ومن اطلق لحظاته
دامت حسراته وفي غض البصر عدة منافع احدها انه امتثال لامر الله الذي هو غاية
سعادة العبد في معاشه ومعاده فليس للعبد في دنياه واخرته انفع من امتثال
اوامر ربه تبارك وتعالى وما سعد من سعد في الدنيا والاخرة الا بامتثال اوامر
ربه وما شقي من شقي في الدنيا والاخرة الا بتضييع اوامر ربه **الثانية** انه يمنع من
وصول اثر السهم المسموم الذي لعل فيه هلاكه الى قلبه **الثالثة** انه يورث القلب
انسا بالله وجمعا على الله فان اطلاق البصر يفرق القلب ويشتته ويبعده من
الله وليس على القلب شي اضر من اطلاق البصر فانه يوقع الوحشة بين العبد
وبين ربه **الرابعة** انه يقوي القلب ويفرحه كما ان اطلاق البصر يضعفه ويحزنه
الخامسة انه يكسب القلب نورا كما ان اطلاقه يكسبه ظلمة ولهذا ذكر سبحانه اية
النور عقيب الامر بغض البصر فقال قل للمومنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا
فروجهم ثم قال اثر ذلك الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح
اي مثل نوره في قلب العبد المومن الذي امتثل اوامره واجتنب نواهيه واذا
استنار القلب اقبلت وفود الخيرات اليه من كل جانب كما انه اذا اظلم اقبلت
سحائب البلا والشر عليه من كل مكان فما شئت من بدع وضلالة واتباع هوى
واجتناب هدى واعراض عن اسباب السعادة واشتغال باسباب الشقاوة فان
ذلك انما يكشفه النور الذي في القلب فاذا فقد ذلك النور بقي صاحبه كالاعمى
الذي يجوس في حنادس الظلمات **السادسة** انه يورث فراسة صادقة يميز بها
بين المحق والمبطل والصادق والكاذب وكان شاه ابن شجاع الكرماني يقول
من عمر ظاهره باتباع السنة وباطنه بدوام المراقبة وغض بصره عن المحارم

وكف نفسه عن الشهوات واغتذا بالحلال لم تخط فراسته وكان شاه بن شجاع هذا
لا تخطي له فراسة والله سبحانه يجزي العبد على عمله بما هو من جنس عمله ومن ترك لله
شيئا عوضه الله خيرا منه فاذا غض بصره عن محارم الله عوضه الله بان يطلق نور
بصيرته عوضا عن حبسه بصره لله ويفتح له باب العلم والايمان والمعرفة والفراسة
الصادقة المصيبة التي انما تنال ببصيرة القلب وضد هذا ما وصف الله به اللوطية
من العمه الذي هو ضد البصيرة فقال تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون فوصفهم
بالسكرة التي هي فساد العقل والعمه الذي هو فساد البصر فالتعلق بالصور يوجب
فساد العقل وعمى البصيرة وسكر القلب كما قال القائل

سكران سكر هوى وسكر مدامة ... ومتى افاقة من به سكران

وقال آخر

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم ... العشق اعظم مما بالمجانين
العشق لا يستفيق الدهر صاحبه ... وانما يصرع المجنون في الحين

السابعة انه يورث القلب ثباتا وشجاعة وقوة فيجمع الله له بين سلطان البصيرة
والحجة وسلطان القدرة والقوة كما في الاثر الذي يخالف هواه يفرق الشيطان من
ظله وضد هذا المتبع لهواه من ذل النفس ووضاعتها ومهانتها وخستها وحقارتها
ما جعل الله سبحانه فيمن عصاه كما قال الحسن انهم وان طقطقت بهم البغال وهملجت
بهم البراذين ان ذل المعصية في قلوبهم ابى الله الا ان يذل من عصاه وقد جعل
سبحانه العز قرين طاعته والذل قرين معصيته فقال تعالى ولله العزة ولرسوله
وللمؤمنين وقال ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين والايمان
قول وعمل ظاهر وباطن وقال تعالى من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اليه
يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه اي من كان يريد العزة فليطلبها
بطاعة الله وذكره من الكلم الطيب والعمل الصالح وفي دعاء القنوت انه
لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت ومن اطاع الله فقد والاه فيما اطاعه
فيه وله من العز بحسب طاعته ومن عصاه فقد عاداه فيما عصاه فيه وله
من الذل بحسب معصيته الثامنة انه يسد على الشيطان مدخله الى القلب
فانه يدخل مع النظرة وينفذ معها الى القلب اسرع من نفوذ الهوى في المكان

الخالي فيمثل له صورة المنظور اليه ويزينها ويجعلها صنما يعكف عليه القلب
ثم يعده ويمنيه ويوقد على القلب نار الشهوات ويلقي عليه حطب المعاصي
التي لم يكن يتوصل اليها بدون تلك الصورة فيصير القلب في اللهب فمن
ذلك اللهيب تلك الانفاس التي يجد فيها وهج النار وتلك الزفرات والحرقات
فان القلب قد احاطت به النيران من كل جانب وهو في وسطها كالشاة في وسط
التنور ولهذا كانت عقوبة اصحاب الشهوات للصور المحرمة ان جعل لهم
في البرزخ تنور من نار واودعت ارواحهم فيه الى يوم حشر اجسادهم
اراه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم في المنام في الحديث المتفق على صحته التاسعة انه
يفرغ القلب للفكرة في مصالحه والاشتغال بها واطلاق البصر يشتته عن ذلك و
يحول بينه وبينه فتنفرط عليه اموره ويقع في اتباع هواه وفي الغفلة عن
ذكر ربه وقال تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا
واطلاق النظر يوجب هذه الامور الثلاثة بحسبه العاشرة ان بين العين
والقلب منفذا وطريقا يوجب انتقال احدهما عن الاخر وان يصلح بصلاحه
ويفسد بفساده فاذا فسد القلب فسد النظر واذا فسد النظر فسد القلب
وكذلك في جانب الصلاح فاذا خربت العين وفسدت خرب القلب وفسد
وصار كالمزبلة التي هي محل النجاسات والقاذورات والاوساخ فلا يصلح
لسكنى معرفة الله ومحبته والانابة اليه والانس به والسرور بقربه فيه وانما
يسكن فيه اضداد ذلك فهذه اشارة الى بعض فوائد غض البصر تطلعك
على ما وراءها فصل الثاني اشتغال القلب بما يصده عن ذلك ويحول
بينه وبين الوقوع فيه وهو اما خوف مقلق او حب مزعج فمتى خلا
القلب من خوف ما هو فواته اضر عليه من حصول هذا المحبوب او خوف
ما حصوله اضر عليه من فوات المحبوب او محبة ما هو انفع له وخير له
من هذا المحبوب وفواته اضر عليه من فوات هذا المحبوب لم يجد بدا من
عشق الصور وشرح هذا ان النفس لا تترك محبوبا الا لمحبوب اعلى
منه او خشية مكروه حصوله اضر عليه من فوات هذا المحبوب وهذا

يحتاج صاحبه الى امرين ان فقدا او احدهما لم ينتفع بنفسه احدهما بصيرة صحيحة يفرق بها بين درجات المحبوب والمكروه فيؤثر اعلى المحبوبين على ادناهما ويحتمل ادنى المكروهين ليتخلص من اعلاهما وهذا خاصة العقل ولا يعد عاقلا من كان بضد ذلك بل قد يكون البهائم احسن حالا منه الثاني قوة عزم وصبر يتمكن بها من هذا الفعل والترك فكثيرا ما يعرف الرجل قدر التفاوت ولكن يابى له ضعف نفسه وهمته وعزيمته على ايثار الانفع من خيفته وحرصه ووضاعة نفسه وخسة همته ومثل هذا لا ينتفع بنفسه ولا ينتفع به غيره وقد منع الله سبحانه امامة الدين الا من اهل الصبر واليقين فقال تعالى وبقوله يهتدي المهتدون وجعلنا هم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا باياتنا يوقنون وهذا هو الذي ينتفع بعلمه وينتفع به الناس وضده لا ينتفع بعلمه ولا ينتفع به الناس ومن الناس من ينتفع بعلمه في نفسه ولا ينتفع به غيره فالاول يمشي في نوره ويمشي الناس في نوره والثاني قد يطفي نوره فهو يمشي في الظلمات ومن تبعه في ظلمته والثالث يمشي في نوره وحده والله اعلم

فصل اذا عرفت هذه المقدمة فلا يمكن ان يجتمع في القلب حب المحبوب الاعلى وعشق الصور ابدا بل هما ضدان لا يتلاقيان بل لا بد ان يخرج احدهما صاحبه فمن كانت قوة حبه كلها للمحبوب الاعلى الذي محبة ما سواه باطلة وعذاب على صاحبها صرفه ذلك عن محبة ما سواه وان احبه لم يحبه الا لاجله ولكونه وسيلة له الى محبته او قاطعا له عما يضاد محبتها وينقصها والمحبة الصادقة تقتضي توحيد المحبوب وان لا يشرك بينه وبين غيره في محبته واذا كان المحبوب من الخلق يانف ويغار ان يشرك محبه غيره في محبته ويمقته لذلك ويبعده ولا يحظيه بقربه ويعده كاذبا في دعوى محبته مع انه ليس اهلا لصرف قوة المحبة كلها اليه فكيف بالحبيب الاعلى الذي لا ينبغي المحبة الا له وحده وكل محبة لغيره فهي عذاب على صاحبها ووبال ولهذا لا يغفر الله ان يشرك به في هذه المحبة ويغفر ما دون

ذلك

ذلك لمن يشاء فمحبة الصور تفوت محبة ما هو انفع للعبد منها بل يفوت محبة ما ليس له صلاح ولا نعيم ولا حياة نافعة الا بمحبته وحده فليختر احدى المحبتين فانهما لا يجتمعان في القلب ولا يرتفعان منه بل من اعرض عن محبة الله وذكره والشوق الى لقائه ابتلاه بمحبة غيره فيعذبه بها في الدنيا وفي البرزخ وفي الاخرة واما ان يعذبه بمحبة الاوثان او محبة الصلبان او محبة النيران او محبة المردان او محبة النسوان او محبة الاثمان والاخلان او محبة ما دون ذلك مما هو في غاية الحقارة والهوان فالانسان عبد محبوبه كائنا ما كان كما قيل بيت من الشعر

انت القتيل بكل من احببته ... فاختر لنفسك في الهوى من تصطفي

فمن لم يكن الهه مالكه ومولاه كان الهه هواه قال الله تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون

فصل وخاصة التعبد الحب مع الخضوع والذل للمحبوب فمن احب شيئا وخضع له فقد تعبد قلبه له بل التعبد اخر مراتب الحب ويقال له التتيم ايضا فان اول مراتبه العلاقة وسميت علاقة لتعلق الحب بالمحبوب قال

وعلقت ليلى وهي ذات تمائم ... ولم يبد للاتراب من ثديها حجم

وقال

اعلاقة ام الوليد بعيد ما ... افنان راسك كالثغام المخلس

ثم بعدها الصبابة وسميت بذلك لانصباب القلب الى المحبوب قال

تشكى المحبون الصبابة ليتني ... تحملت ما يلقون من بينهم وحدي

فكانت لقلبي لذة الحب كلها ... فلم يلقها قبلي محب ولا بعدي

ثم الغرام وهو لزوم الحب للقلب لزوما لا ينفك عنه ومنه سمي الغريم غريما لملازمته صاحبه ومنه قوله تعالى ان عذابها كان غراما وقد اولع المتاخرون بهذا اللفظ في الحب وقل ان تجده في اشعار العرب ثم العشق وهو افراط المحبة ولهذا لا يوصف به الرب تعالى ولا يطلق في حقه ثم الشوق وهو سفر القلب الى المحبوب احث السفر وقد جاء اطلاقه في حق الرب تعالى كما في مسند الامام احمد من حديث عمار بن ياسر انه صلى صلاة فاوجز فيها فقيل له في ذلك فقال اني دعوت فيها بدعوات كان النبي صلى الله

عليه وسلم يدعو بهن اللهم اني اسالك بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق احيني
ان كانت الحياة خيرا لي وتوفني ان كان الوفاة خيرا لي اللهم واسالك خشيتك في
الغيب والشهادة واسالك كلمة الحق في الغضب والرضى واسالك القصد في الفقر
والغنا واسالك نعيما لا ينفد واسالك قرة عين لا ينقطع واسالك برد العيش بعد
الموت واسالك لذة النظر الى وجهك واسالك الشوق الى لقائك في غير ضراء مضرة
ولا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين ذكر انه طال شوق
الابرار الى لقائي واني الى لقائهم اشد شوقا وهذا هو المعنى الذي عبر عنه صلى الله
عليه وسلم بقوله من احب لقاء الله احب الله لقاءه وقال بعض اهل البصائر في قوله
تعالى من كان يرجو لقاء الله فان اجل الله لآت لما علم سبحانه شدة شوق اوليائه
الى لقائه وان قلوبهم لا تهدى دون لقائه ضرب لهم اجلا وموعدا للقاء تسكن
نفوسهم به واطيب العيش والذه على الاطلاق عيش المحبين المشتاقين المستانسين
بحياتهم هي الحيوة الطيبة في الحقيقة ولا حيوة للعبد اطيب ولا انعم ولا اهنا
منها وهي الحيوة الطيبة المذكورة في قوله تعالى من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو
مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة ليس المراد منها الحيوة المشتركة بين المؤمنين والكفار
والابرار والفجار من طيب المأكل والمشرب والملبس والمنكح بل ربما زاد اعداء الله
على اوليائه في ذلك اضعافا مضاعفة وقد ضمن الله سبحانه لكل من عمل صالحا
ان يحييه حيوة طيبة وهو صادق الوعد الذي لا يخلف وعده واي حيوة اطيب
من حيوة من اجتمعت همومه كلها وصارت هما واحدا في مرضات الله ولم يتشعب
قلبه بالاقبال على الله واجتمعت ارادته وافكاره التي كانت منقسمة بكل واد منها
شعبة على الله فصار ذكر محبوبه الاعلى وحبه والشوق الى لقائه والانس بقربه هو
المستولي عليه تدور همومه وارادته وقصوده بل خطرات قلبه فان سكت
سكت بالله وان نطق نطق به وان سمع فبه يسمع وان ابصر فبه يبصر وبه يبطش
وبه يمشي وبه يتحرك وبه يسكن وبه يحيى وبه يموت وبه يبعث كما في صحيح البخاري
عنه صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى انه قال ما تقرب الي عبدي بمثل اداء
ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت

كنت

سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي
بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سالني لاعطينه ولئن استعاذني لاعيذنه
وما ترددت عن شيء انا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت واكره
مساءته ولا بد له منه فتضمن هذا الحديث الشريف الالهي الذي حرم على غليظ الطبع
كثيف القلب فهم معناه والمراد به حصر اسباب محبته في امرين اداء فرائضه والتقرب
اليه بالنوافل واخبر سبحانه ان اداء فرائضه احب ما تقرب اليه المتقربون ثم
بعدها النوافل فان المحب لا يزال يكثر من النوافل حتى يصير محبوبا لله اوجبت
محبة الله له محبة اخرى منه لله فوق المحبة الاولى فشغلت هذه المحبة قلبه
عن الفكرة والاهتمام بغير محبوبه وملكت عليه روحه ولم يبق فيه سعة لغير
محبوبه البتة فصار ذكر محبوبه وحبه الاعلى مالكا لزمام قلبه
مستوليا على روحه استيلاء المحبوب على محبة محبوبه الصادق في محبته التي
قد اجتمعت قوى حبه كلها له ولا ريب ان هذا المحب ان سمع سمع بمحبوبه وان ابصر
ابصر وان بطش بطش به وان مشى مشى به فهو في قلبه ومعه وانيسه وصاحبه
فالباء هاهنا باء المصاحبة وهي مصاحبة لا نظير لها ولا تدرك بمجرد الاخبار عنها
والعلم بها فالمسئلة حالية لا علمية محضة واذا كان المخلوق يجد هذا في
محبة المخلوق التي لم يخلق لها ولم يفطر عليها كما قال بعض المحبين شعر

خيالك في عيني وذكرك في فمي ... ومثواك في قلبي فاين تغيب

وقال الاخر

ومن عجب اني احن اليهم ... واسال عنهم من لقيت وهم معي
وتطلبهم عيني وهم في سوادها ... ويشتاقهم قلبي وهم بين اضلعي

وهذا القف قول الاخر

ان قلت غبت فقلبي لا يصدقني ... اذ انت فيه مكان السر لم تغب
او قلت ما غبت قال الطرف كذبت ... فقد تحيرت بين الصدق والكذب

فليس شيء ادنى الى المحب من محبوبه وربما تمكنت منه المحبة حتى يصير ادنى اليه من نفسه بحيث ينسى
نفسه ولا ينساه كما قال

اريد لانسى ذكرها فكانما ... تمثل لي ليلى بكل سبيل

وقال اخر

يراد من القلب نسيانكم ... وتابى الطباع على الناقل

وخص في الحديث السمع والبصر واليد والرجل بالذكر فان هذه الالات الات

والكراهة
الادراك والات العقل والسمع والبصر يوردان على العقل الاراده
ويجلبان اليه الحب والبغض فيستعمل اليد والرجل فاذا كان سمع العبد بالله
وبصره بالله كان محفوظا في الات ادراكه وكان محفوظا في حبه وبغضه محفوظا في بطشه
ومشيه وتامل كيف اكتفى بذكر السمع والبصر واليد والرجل عن اللسان فانه اذا كان
ادراك السمع الذي يحصل باختياره تارة وبغير اختيار تارة وكذلك البصر قد يقع
بغير الاختيار فجاه وكذلك حركة اليد والرجل التي لا بد للعبد منها فكيف بحركة
اللسان التي لا تقع الا بقصد واختيار وقد يستغني العبد عنها الا حيث امر بها ايضا
فان انفعال اللسان عن القلب اتم من انفعال سائر الجوارح فانه ترجمانه ورسوله وتامل
كيف حقق تعالى كون العبد به عند سمعه وبصره وبطشه ومشيه بقوله كنت سمعه
الذي يسمع به وبصره وبطشه الذي يبصر به ويده الذي يبطش بها ورجله التي
يمشي بها تحقيقا لكونه مع عبده وكون عبده به في ادراكاته سمعه وبصره وحركاته بيده
ورجله وتامل كيف قال بي يسمع وبي يبصر ولم يقل ولي يسمع ولي يبصر ولي يمشي و
لي يبطش وربما يظن الظان ان اللام اولى بهذا الموضع اذ هي ادل على الغاية ووقوع
هذه الامور لله وذلك اخص من وقوعها به وهذا من الوهم والغلط اذ ليست
الباء هاهنا لمجرد الاستعانة فان حركات الابرار والفجار وادراكاتهم انما هي
بمعونة الله لهم وانما الباء هاهنا للمصاحبة اي انما يسمع ويبصر ويبطش ويمشي
وانا صاحبه ومعه وكقوله في الحديث الاخر انا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي
شفتاه وهذه هي المعية الخاصة المذكورة في قوله تعالى لا تحزن ان الله معنا
وقوله صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقوله تعالى ان الله لمع المحسنين
وقوله ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وقوله واصبروا ان الله مع الصابرين
وقوله كلا ان معي ربي سيهدين وقوله تعالى لموسى وهرون انني معكما اسمع وارى
فهذه الباء مفيدة لمعنى هذه المعية دون اللام ولا يتاتى للعبد الاخلاص والصبر و
التوكل ونزوله في منازل العبودية الا بهذه الباء وهذه المعية فمتى كان العبد
بالله هانت عليه المشاق وانقلبت المخاوف في حقه امانا فبالله يهون كل صعب
ويسهل كل عسير ويقرب كل بعيد وبالله تزول الهموم والغموم والاحزان فلا هم

مع الله

مع الله ولا غم ولا حزن الا حيث يفوته معنى هذه الباء فيصير قلبه حينئذ
كالحوت اذا فارق الماء يثب ويتقلب حتى يعود اليه ولما حصلت هذه الموافقة
من العبد لربه في محابه حصلت موافقة الرب لعبده في حوائجه ومطالبه
فقال لئن سالني لاعطينه وان استعاذني لاعيذنه اي كما وافقني في مرادي بامتثال
اوامري والتقرب الي بمحابي فانا اوافقه في رغبته ورهبته فيما يسالني ان افعله به
ويستعيذني ان يناله وقوي امر هذه الموافقة من الجانبين حتى اقتضى تردد الرب
سبحانه في اماتة عبده لانه يكره الموت والرب تعالى يكره ما يكرهه عبده ويكره مساءته
فمن هذه الجهة يقتضي ان لا يميته ولكن مصلحته في اماتته فانه ما اماته الا ليحييه
ولا امرضه الا ليصحه ولا افقره الا ليغنيه ولا منعه الا ليعطيه ولم يخرجه من
الجنة في صلب ابيه الا ليعيده اليها على احسن احواله ولم يقل لابيه اخرج
منها الا وهو يريد ان يعيده اليها فهذا هو الحبيب على الحقيقة لا سواه بل لو كان
في كل منبت شعرة من العبد محبة تامة لله لكان بعض ما يستحقه على عبده شعر

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى	ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل في الارض يالفه الفتى	وحنينه ابدا لاول منزل

فصل ثم التتيم وهو اخر مراتب الحب وهو تعبد المحب لمحبوبه يقال تيمه
الحب اذا عبده ومنه تيم الله اي عبد الله وحقيقة التعبد الذل والخضوع
للمحبوب ومنه قولهم طريق معبد اي مذلل قد ذللته الاقدام فالعبد هو
الذي ذلله الحب والخضوع لمحبوبه ولهذا كانت اشرف احوال العبد ومقاماته
هي العبودية فلا منزل له اشرف منها وقد ذكر الله اكرم الخلق عليه واحبهم اليه
وهو رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم بالعبودية في اشرف مقاماته وهو
مقام الدعوة اليه والتحدي بالنبوة ومقام الاسرى فقال سبحانه وانه لما
قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا وقال وان كنتم في ريب مما
نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وقال سبحان الذي اسرى بعبده ليلا
من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله وفي حديث الشفاعة
اذهبوا الى محمد عبد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فنال ذلك بكمال عبوديته

مقام الشفاعة

وكمال مغفرة الله له والله سبحانه خلق الخلق لعبادته وحده لا شريك له التي هي اكمل
انواع المحبة مع اكمل انواع الخضوع والذل وهذا هو حقيقة الاسلام وملة
ابراهيم التي من رغب عنها فقد سفه نفسه قال تعالى ومن يرغب عن ملة
ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين
اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني
ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب
الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله ابائك ابراهيم و
اسمعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون ولهذا كان اعظم الذنوب عند الله
الشرك والله لا يغفر ان يشرك به واصل الشرك بالله الاشراك في المحبة كما قال تعالى و
من الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد حبا لله و
اخبر سبحانه ان من الناس من يشرك به فيتخذ من دونه ندا يحبه كما يحب الله واخبر
ان الذين امنوا اشد حبا لله من اصحاب الانداد لاندادهم وقيل بل المعنى انهم
اشد حبا لله من اصحاب الانداد لله فانهم وان احبوا الله لكن لما اشركوا بينه
وبين اندادهم في المحبة ضعفت محبتهم لله والموحدون لله لما خلصت محبتهم
له كانت اشد من محبة اولئك والعدل برب العالمين والتسوية بينه وبين
الانداد هو في هذه المحبة كما تقدم ولما كان مراد الله من خلقه هو خلوص هذه
المحبة له انكر على من اتخذ من دونه وليا او شفيعا غاية الانكار وجمع ذلك
تارة وافرد احدهما عن الآخر بالانكار تارة فقال تعالى ان ربكم الله الذي
خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع
الا من بعد اذنه وقال تعالى الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة
ايام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع افلا تتذكرون
وقال وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه من ولي
ولا شفيع لعلهم يتقون وقال في الافراد ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل
اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون وقال تعالى من ورائهم جهنم ولا يغني
عنهم ما كسبوا شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء ولهم عذاب عظيم

فاذا ولى

فاذا ولى العبد ربه وحده اقام له الشفعاء وعقد الموالاة بينه وبين عباده
المؤمنين فصاروا اولياءه في الله بخلاف من اتخذ مخلوقا وليا من دون الله
فهذا لون وذاك لون كما ان الشفاعة الشركية الباطلة لون والشفاعة الحق
الثابتة التي انما تنال بالتوحيد لون وهذا موضع فرقان بين اهل التوحيد
واهل الاشراك والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم والمقصود ان حقيقة
العبودية لا تحصل مع الاشراك بالله في المحبة بخلاف المحبة لله فانها من لوازم
العبودية وموجباتها فان محبة الرسول بل تقديمه في الحب على الانفس والاباء
والابناء لا يتم الايمان الا بها اذ محبته من محبة الله وكذلك كل حب في الله ولله كما
في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان
لفظ في الصحيح لا يجد حلاوة الايمان الا من كان فيه ثلاث خصال ان يكون
الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان يرجع في
الكفر بعد اذ انقذه الله منه كما يكره ان يلقى في النار وفي الحديث الذي في السنن
من احب لله وابغض لله واعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان وفي حديث
اخر ما تحاب رجلان في الله الا كان افضلهما اشدهما حبا لصاحبه فان هذه
المحبة من لوازم محبة الله وموجباتها وكلما كانت اقوى كان اصلها كذلك
فصل وههنا اربعة انواع من المحبة يجب التفريق بينها وانما ضل من
ضل بعدم التمييز بينها احدها محبة الله ولا تكفي وحدها في النجاة من عذابه
والفوز بثوابه فان المشركين وعباد الصليب واليهود وغيرهم يحبون الله
محبة ما يحب الله وهذه هي التي تدخله في الاسلام وتخرجه عن الكفر واحب الناس
الى الله اقومهم بهذه المحبة واشدهم فيها الثاني الحب لله وفيه وهي من لوازم
محبة ما يحب ولا تستقيم محبة ما يحب الا بالحب فيه وله الثالث المحبة مع الله
وهي المحبة الشركية وكل من احب شيئا مع الله لا لله ولا من اجله ولا فيه فقد اتخذه
ندا من دون الله وهذه محبة المشركين وبقي قسم خامس ليس مما نحن فيه وهو المحبة
الطبيعية وهي ميل الانسان الى ما يلائم طبعه كمحبة العطشان للماء والجائع للطعام ومحبة
النوم والزوجة والولد فتلك لا تذم الا اذا الهت عن ذكر الله وشغلت عن محبته

كما قال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله وقال تعالى رجال
لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فصل ثم الخلة وهي تتضمن كمال المحبة ونهايتها
بحيث لا تبقى في قلب المحب سعة لغير محبوبه وهي منصب لا يقبل المشاركة
بوجه ما وهذا المنصب خاص للخليلين صلوات الله وسلامه عليهما ابراهيم
ومحمد كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا وفي
الصحيح عنه قال لو كنت متخذا خليلا من اهل الارض لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن
صاحبكم خليل الله وفي حديث اخر اني ابرا الى كل خليل من خلته ولما سال ابراهيم
الولد فاعطيه وتعلق حبه بقلبه فاخذ منه شعبة غار الحبيب على خليله ان يكون
في قلبه موضع لغيره فامره بذبحه وكان الامر في المنام ليكون تنفيذ الامر به
اعظم ابتلاء وامتحانا ولم يكن المقصود ذبح الولد ولكن المقصود ذبحه من
قلبه ليخلص القلب للرب فلما بادر الخليل الى الامتثال وقدم محبة ربه على
محبة ولده حصل المقصود فرفع الذبح وفدي بذبح عظيم فان الرب تعالى
ما امر بشيء ابطله راسا بل لا بد ان يبقى بعضه او بدله كما ابقى شرعية الفدا
وكما ابقى استحباب الصدقة بين يدي المناجاة وكما ابقى الخمس الصلوات بعد رفع
الخمسين وابقى ثوابها وقال لا يبدل القول لدي هي خمس وهي خمسون في الاجر
فصل واما ما يظنه بعض الغالطين ان المحبة اكمل من الخلة وان ابراهيم
خليل الله ومحمد حبيب الله فمن جهله فان المحبة عامة والخلة خاصة والخلة
نهاية المحبة وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان الله اتخذه خليلا ونفى ان يكون له
خليل غير ربه مع اخباره بحبه لعائشة ولابيها ولعمر بن الخطاب وغيرهم وايضا
فان الله سبحانه يحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب الصابرين ويحب المحسنين
ويحب المتقين ويحب المقسطين وخلته خاصة بالخليلين والشاب التائب
حبيب الله وانما هذا من قلة العلم والفهم عن الله ورسوله فصل
وقد تقدم ان العبد لا يترك ما يحبه ويهواه الا لما يحبه ويهواه ولكن يترك اضعفهما
محبة لاقواهما محبة كما انه يفعل ما يكرهه لحصول ما محبته اقوى عنده من كراهة
ما يفعله او لخلاص من مكروه كراهته عنده اقوى من كراهة ما يفعله وتقدم

ان خاصة

ان خاصة العقل ايثار اعلى المحبوبين على ادناهما وايسر المكروهين على اقواهما
وتقدم ان هذا كمال لقوة الحب والبغض ولا يتم له هذا الا بامرين قوة الادراك
وشجاعة القلب فان التخلف عن ذلك والعمل بخلافه يكون اما لضعف الادراك
بحيث انه لا يدرك مراتب المحبوب والمكروه على ما هي عليه واما لضعف في النفس
وعجز في القلب لا يطاوعه على ايثار الاصلح له مع علمه بانه الاصلح فاذا صح ادراكه
وقويت نفسه وتشجع قلبه على ايثار المحبوب الاعلى والمكروه الادنى فقد
وفق لاسباب السعادة فمن الناس من يكون سلطان شهوته اقوى من سلطان
عقله وايمانه فيقهر الغالب للضعيف ومنهم من يكون سلطان ايمانه وعقله
اقوى من سلطان شهوته واذا كان كثير من المرضى يحميه الطبيب عما يضره فتابى
عليه نفسه وشهوته الا تناوله ويقدم شهوته على عقله وتسميه الاطبا عديم
المروة فهكذا اكثر مرضى القلب يوثرون ما يزيد مرضهم لقوة شهوتهم له
فاصل الشر من ضعف الادراك وقوة النفس ودناءتها واصل الخير من كمال
الادراك وقوة النفس وشرفها وشجاعتها فالحب والارادة اصل كل فعل و
مبداه والبغض والكراهة اصل كل ترك ومبداه وهاتان القوتان في
القلب اصل سعادة العبد وشقاوه ووجود الفعل الاختياري لا يكون الا
بوجود سببه من الحب والارادة واما عدم الفعل فتارة يكون لعدم مقتضيه
وسببه وتارة يكون لوجود البغض والكراهة المانع منه وهذا متعلق الامر
والنهي وهو الذي يسمى الكف وهو متعلق الثواب والعقاب وبهذا يزول
الاشتباه في مسئلة الترك هل هو امر وجودي او عدمي والتحقيق انه
قسمان فالترك المضاف الى عدم السبب المقتضي عدمي والمضاف الى
السبب المانع من الفعل وجودي فصل وكل واحد من الفعل و
الترك الاختياري انما يوثره الحي لما فيه من حصول المنفعة التي يلتذ
بحصولها او زوال الالم الذي يحصل له الشفا بزواله ولهذا يقال شفا صدره
وشفى قلبه قال الشاعر: هي الشفاء لدائي لو ظفرت بها ۞ وليس منها شفاء الداء مبذول
وهذا مطلوب يوثره العاقل بل الحيوان البهيم ولكن يغلط فيه اكثر الناس غلطا

فيما انه قصد حصول اللذة بما يعقب عليه اعظم الالم فيؤلم نفسه من حيث
يظن انه يحصل لذاتها ويشفي قلبه بما يعقب عليه غاية المرض وهذا شأن من
قصر نظره على العاجل ولم يلاحظ العواقب وخاصة العقل النظر في العواقب فاعقل
الناس من آثر لذته وراحته الآجلة الدائمة على العاجلة المنقضية الزائلة
واسفه الخلق من باع نعيم الابد وطيب الحياة الدائمة واللذة العظمى التي لا
تنغيص فيها ولا نقص بوجه ما بلذة منغصة مشوبة بالآلام والمخاوف وهي
سريعة الزوال وشيكة الانفصال قال بعض العلماء فكرت فيما يسعى فيه العقلاء
فرأيت سعيهم كله في مطلوب واحد وان اختلفت طرقهم في تحصيله رأيتهم
جميعهم انما يسعون في دفع الهم والغم عن نفوسهم فهذا بالاكل والشرب وهذا
بالتجارة والكسب وهذا بالنكاح وهذا بسماع الغناء والاصوات المطربة وهذا
باللهو واللعب فقلت هذا المطلوب مطلوب العقلاء ولكن الطرق كلها غير موصلة
اليه بل لعل اكثرها انما توصل الى ضده ولم ار في جميع هذه الطرق طريقا موصلة اليه
الا الاقبال على الله ومعاملته وحده وايثار مرضاته على كل شيء فان سالك هذه
الطريق ان فاته حظه من الدنيا فقد ظفر بالحظ العالي الذي لا فوت معه وان
حصل للعبد حصل له كل شيء وان فاته فاته كل شيء وان ظفر بحظه من الدنيا ناله
على اهنأ الوجوه فليس للعبد انفع من هذه الطريق ولا اوصل منها الى لذته وبهجته
وسعادته وبالله التوفيق **فصل** والمحبوب قسمان محبوب لنفسه
ومحبوب لغيره والمحبوب لغيره لا بد ان ينتهي الى المحبوب لنفسه دفعا للتسلسل
المحال وكل ما سوى المحبوب الحق فهو محبوب لغيره وليس شيء يحب لنفسه الا الله
وحده وكل ما سواه مما يحب فان محبته تبع لمحبة الرب تبارك وتعالى كمحبة
ملائكته وانبيائه واوليائه فانها تبع لمحبته سبحانه وهي من لوازم محبته فان محبة
المحبوب توجب محبة ما يحبه وهذا موضع يجب الاعتناء به فانه محل فرقان
بين المحبة النافعة لغيره والتي لا تنفع بل قد تضر واعلم انه لا يحب لذاته الا من كماله
من لوازم ذاته والهيته وربوبيته وغناه من لوازم ذاته وما سواه فانما يبغض
ويكره لمنافاته محابه ومضادته لها وبغضه وكراهته بحسب قوة هذه المنافاة

وضعفها

وضعفها فما كان اشد منافاة كان اشد كراهة من الاعيان والاوصاف والافعال
والارادات وغيرها فهذا ميزان عدل يوزن به موافقة الرب ومخالفته وموالاته ومعاداته
فاذا رأينا شخصا يحب ما يكرهه الرب تعالى ويكره ما يحبه علمنا ان فيه معاداته بحسب ذلك
واذا رأينا الشخص يحب ما يحبه الرب ويكره ما يكرهه وكلما كان الشيء احب الى الرب كان
احب اليه وآثر عنده وكلما كان ابغض الى الرب كان ابغض اليه وابعد منه علمنا ان فيه
من موالاة الرب بحسب ذلك فتمسك بهذا الاصل غاية التمسك في نفسك وفي غيرك فالولاية
عبارة عن موافقة المولى الحميد في محابه ومساخطه ليست بكثرة صوم ولا صلاة ولا تمزق ولا
رياضة والمحبوب لغيره قسمان ايضا احدهما ما يلتذ المحب بادراكه وحصوله والثاني ما يتألم به ولكن
يحتمله لافضائه الى المحبوب كشرب الدواء الكريه قال الله تعالى كتب عليكم القتال وهو كره
لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون
فاخبر سبحانه ان القتال مكروه لهم مع انه خير لهم لافضائه الى اعظم محبوب والنفع والنفوس
تحب الراحة والرفعة والرفاهية وذلك شر لها لافضائه الى فوات هذا المحبوب
فالعاقل لا ينظر الى لذة المحبوب العاجل فيؤثرها والم المكروه العاجل فيرغب عنه فان
ذلك قد يكون شرا له بل قد يجلب عليه غاية الالم ويفوته اعظم اللذة بل عقلاء الدنيا يتحملون
المشاق المكروهة لما يعقبهم من اللذة بعدها وان كانت منقطعة والامور اربعة مكروه
يوصل الى مكروه ومكروه يوصل الى محبوب ومحبوب يوصل الى مكروه فالمحبوب الموصل
الى المحبوب قد اجتمع فيه داعي الفعل من وجهين والمكروه الموصل الى المكروه قد اجتمع فيه
داعي الترك من وجهين بقي القسمان الاخران يتجاذبهما الداعيان وهما معترك الابتلاء
والامتحان فالنفس يؤثر اقربهما جوارا منها وهو العاجل والعقل والايمان يؤثر
انفعهما وابقاهما والقلب بين الداعيين وهو الى هذا مرة والى هذا مرة وهاهنا محل
الابتلاء شرعا وقدرا فداعي العقل والايمان ينادي كل وقت حي على الفلاح عند الصباح
يحمد القوم السرى وفي الممات يحمد العبد التقى فان اشتد ظلام ليل المحبة وتحكم سلطان
الشهوة والارادة يقول شعرا: ما هي الا ساعة ثم تنقضي * ويذهب هذا كله ويزول
فصل واذا كان الحب اصل كل عمل من حق وباطل فاصل الاعمال الدينية حب الله
ورسوله وكل ارادة تمنع كمال الحب لله ورسوله وتزاحم هذه المحبة او شبهة تمنع كمال التصديق

وهي معارضة لاصل الايمان ومضعفة له فان قويت حتى عارضت اصل الحب
والتصديق كانت كفرا وشركا اكبر وان لم تعارضه قدحت في كماله واثرت فيه ضعفا
وفتورا في العزيمة والطلب وهي تحجب الواصل وتقطع الطالب وتنكس الراغب فلا
تصح الموالاة الا بالمعاداة كما قال تعالى على لسان امام الحنفاء المحبين انه قال لقومه
افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين فلم
يصح لخليل الله هذه الموالاة والخلة الا بتحقيق هذه المعاداة فانه لا ولا الا لله
ولا ولا الا بالبراءة من كل معبود سواه قال تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم
والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برءاؤ منكم ومما تعبدون من دون الله وقال تعالى
واذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين
وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون اي جعل هذه البراة والموالاة من
كل معبود سواه كلمة باقية في عقبه يتوارثها الانبياء واتباعهم بعضهم عن بعض
وهي كلمة لا اله الا الله وهي التي ورثها امام الحنفا لاتباعه الى يوم القيمة وهي الكلمة
التي قامت بها الارض والسموات وفطر الله عليها جميع المخلوقات وعليها اسست
الملة ونصبت القبلة وجردت سيوف الجهاد وهي محض حق الله على جميع العباد
وهي الكلمة العاصمة للدم والاموال والذرية في هذه الدار والمنجية من عذاب القبر
وعذاب النار وهو المنشور الذي لا يدخل الجنة الا به والحبل الذي لا يصل الى الله من لم
يتعلق بسببه وهي كلمة الاسلام ومفتاح دار السلام وبها انقسم الناس الى شقي و
سعيد ومقبول وطريد وبها انفصلت دار الكفر من دار الايمان وتميزت دار النعيم
من دار الشقا والهوان وهي العمود الحامل للفرض والسنة ومن كان اخر كلامه لا اله الا الله
دخل الجنة وروح هذه الكلمة وسرها افراد الرب جل ثناؤه وتقدست اسماؤه و
تبارك اسمه وتعالى جده ولا اله غيره بالمحبة والاجلال والتعظيم والخوف والرجا
وتوابع ذلك من التوكل والانابة والرغبة والرهبة فلا يحب سواه وكل ما يحب غيره
فانه يحب تبعا لمحبته وكونه وسيلة الى زيادة محبته ولا يخاف سواه ولا يرجى سواه
ولا يتوكل الا عليه ولا يرغب الا اليه ولا يرهب الا منه ولا يحلف الا باسمه ولا
ينذر الا له ولا يتاب الا اليه ولا يطاع الا امره ولا يحتسب الا به ولا يستغاث من

الشدائد

الشدائد الا به ولا يلتجا الا اليه ولا يسجد الا له ولا يذبح الا له وباسمه ويجتمع ذلك كله
في حرف واحد وهو ان لا يعبد الا اياه بجميع انواع العبادة فهو تحقيق شهادة ان
لا اله الا الله ولهذا حرم الله على النار من شهد ان لا اله الا الله حقيقة الشهادة ومحال
ان يدخل النار من تحقق بحقيقة هذه الشهادة وقام بها كما قال تعالى والذين هم بشها
دتهم
قائمون فيكون قائما بشهادته في ظاهره وباطنه في قلبه وقالبه فان من الناس من تكون
شهادته ميتة ومنهم من تكون نائمة اذا نبهت انتبهت ومنهم من تكون مضطجعة
ومنهم من تكون الى القيام اقرب وهي في القلب بمنزلة الروح في البدن فروح ميتة وروح
مريضة الى الموت اقرب وروح صحيحة قائمة بمصالح البدن وفي الحديث الصحيح عنه صلى
الله عليه وسلم اني لاعلم كلمة لا يقولها عبد عند الموت الا وجدت روحه لها روحا فحياة
الروح بحيوة هذه الكلمة فيها كما ان حيوة البدن بوجود الروح فيه وكما ان من
مات على هذه الكلمة فهو في الجنة يتقلب فيها فمن عاش على تحقيقها والقيام بها
فروحه يتقلب في جنة الماوى وعيشه اطيب عيش قال الله تعالى واما من خاف مقام ربه
ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى فالجنة ماواه يوم اللقا وجنة المعرفة
والمحبة والانس بالله والشوق الى لقائه والفرح به والرضا به وعنه ماوى روحه في
هذه الدار فمن كانت هذه الجنة ماواه ههنا كانت جنة الخلد ماواه يوم المعاد
ومن حرم هذه الجنة فهو لتلك اشد حرمانا والابرار في النعيم وان اشتد بهم العيش
وضاقت عليهم الدنيا والفجار في الجحيم وان اتسعت عليهم الدنيا قال تعالى من عمل صالحا
من ذكر او انثى وهو مومن فلنحيينه حيوة طيبة وطيب الحيوة جنة الدنيا قال تعالى
من يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا
حرجا فاي نعيم اطيب من شرح الصدر واي عذاب امر من ضيق الصدر وقال تعالى
الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين امنوا وكانوا يتقون لهم البشرى
في الحيوة الدنيا وفي الاخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم فالمومن المخلص
من اطيب الناس عيشا وانعمهم بالا واشرحهم صدرا واسرهم قلبا وهذه جنة عاجلة
قبل الجنة الاجلة قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا
وما رياض الجنة قال حلق الذكر ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري

روضة من رياض الجنة ومن هذا قد سالوه عن وصاله في الصوم فقال اني لست كهيئتكم اني اظل عند ربي يطعمني ويسقيني فاخبر صلى الله عليه وسلم انما يحصل له من الغذا عند ربه يقوم مقام الطعام والشراب وانما يحصل له من ذلك امر يختص به لا يشركه فيه غيره فاذا امسك عن الطعام والشراب فله عنه عوض يقوم مقامه وينوب منابه ويغني عنه كما قيل

لها احاديث من ذكراك تشغلها ... عن الشراب وتلهيها عن الزاد
لها بوجهك نور تستضاء به ... ومن حديثك في اعقابها حادي
اذا شكت من كلال السير اوعدها ... روح القدوم فتحيى عند ميعاد

فصل وكلما كان وجود الشي انفع للعبد وهو اليه احوج كان تالمه بفقده اشد وكلما كان عدمه انفع له كان تالمه بوجوده اشد ولا شي على الاطلاق انفع للعبد من اقباله على الله واشتغاله بذكره وتنعمه بحبه وايثاره لمرضاته بل لا حياة له ولا نعيم ولا سرور ولا بهجة الا بذلك فعدمه الم شي له واشده عذابا عليه وانما يغيب الروح عن شهود هذا الالم والعذاب اشتغالها بغيره واستغراقها في ذلك الغير فغيب تام عن شهود ما هي فيه من الم الفوت بفراقه احب شي اليها وانفعه لها وهذا بمنزلة السكران المستغرق في سكره الذي احترقت داره وامواله واهله واولاده وهو لاستغراقه في السكر لا يشعر بالم ذلك الفوت وحسرته حتى اذا صحى وكشف عنه غطا السكر وانتبه من رقدة الخمر فهو اعلم بحاله حينئذ وهكذا الحال سوا عند كشف الغطا ومعاينة طلائع الاخرة والاشراف على مفارقة الدنيا والانتقال منها الى الله بل الالم والحسرة والعذاب هناك اشد باضعاف مضاعفة فان المصاب في الدنيا يرجو جبر مصيبته بالعوض ويعلم انه قد اصيب بشي زائل لا بقا له فكيف بمن مصيبته بما لا عوض عنه ولا بد منه ولا نسبة بينه وبين الدنيا جميعها فلو قضى الله سبحانه بالموت من هذه الحسرة والالم لكان العبد جديرا به وان الموت ليعود اعظم امنيته واكبر حسرته هذا لو كان الالم على مجرد الفوات فكيف وهناك من العذاب على الروح والبدن بامور اخرى وجودية ما لا يقدر قدره فتبارك من حمل هذا الخلق الضعيف هذين الالمين العظيمين اللذين لا تحملهما الجبال الرواسي

فاعرضها

فاعرض الان على نفسك اعظم محبوب لك في الدنيا بحيث لا تطيب لك الحياة الا معه فاصبحت وقد اخذ منك وحيل بينك وبينه احوج ما كنت اليه فكيف يكون حالك هذا ومنه كل عوض فكيف بمن لا عوض عنه كما قال

من كل شي اذا ضيعته عوض ... وما من الله ان ضيعته عوض

وفي اثر الهي ابن ادم خلقتك لعبادتي فلا تلعب وتكفلت برزقك فلا تتعب ابن ادم اطلبني تجدني فان وجدتني وجدت كل شي وان فتك فاتك كل شي وانا احب اليك من كل شي

فصل ولما كانت المحبة جنسا تحته انواع متفاوتة في القدر والوصف كان اغلب ما يذكر فيها من حق الله تعالى ما يختص به ويليق به من انواعها ولا تصلح الا له وحده مثل العبادة والانابة ونحوهما فان العبادة لا تصلح الا له وحده وكذلك الانابة وقد تذكر المحبة باسمها المطلق كقوله يحبهم ويحبونه وقوله ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد حبا لله واعظم انواع المحبة المذمومة المحبة مع الله التي يسوي المحب فيها بين محبته لله ومحبته للند الذي اتخذ من دونه واعظم انواعها المحمودة محبة الله وحده ومحبة ما احب وهذه المحبة هي اصل السعادة وراسها التي لا ينجو احد من العذاب الا بها والمحبة المذمومة الشركية هي اصل الشقاوة وراسها التي لا يبقى في العذاب الا اهلها فاهل المحبة الذين احبوا الله وعبدوه وحده لا شريك له لا يدخلون النار ومن دخلها منهم بذنوبه فانه لا يبقى فيها منهم احد ومدار القران على الامر بتلك المحبة ولوازمها والنهي عن المحبة الاخرى ولوازمها وضرب الامثال والمقاييس للنوعين وذكر قصص النوعين وتفصيل اعمال النوعين واوليائهم ومعبود كليهما واخباره عن فعله بالنوعين وعن حال النوعين في الدور الثلث دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار فالقران في شان النوعين واصل دعوة جميع الرسل من اولهم الى اخرهم انما هو عبادة الله وحده لا شريك له المتضمنة لكمال الحب وكمال الخضوع والذل له والاجلال والتعظيم ولوازم ذلك من الطاعة والتقوى وقد ثبت في الصحيحين من حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال والذي نفسي بيده لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين وفي صحيح

البخاري ان عمر بن الخطاب قال يا رسول الله والله لانت احب الي من كل شيء الا من نفسي
فقال لا يا عمر حتى اكون احب اليك من نفسك فقال والذي بعثك بالحق لانت احب
الي من نفسي قال الان يا عمر فان كان هذا شان محبة عبده ورسوله ووجوب تقديمها
على محبة نفس الانسان وولده ووالده والناس اجمعين فما الظن بمحبة مرسله
سبحانه وتعالى ووجوب تقديمها على محبة ما سواه ومحبة الرب تعالى تختص عن محبة
غيره في قدرها وصفتها وافراده سبحانه بها فان الواجب له من ذلك ان يكون
احب الى العبد من ولده ووالده بل من سمعه وبصره ونفسه التي بين جنبيه
فيكون الهه الحق ومعبوده احب اليه من ذلك كله والشيء قد يحب من وجه
دون وجه وقد يحب لغيره وليس شيء يحب لذاته من كل وجه الا الله وحده
ولا يصلح الالوهية الا له ولو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا والتاله هو المحبة
والطاعة والخضوع فصل وكل حركة في العالم العلوي والسفلي فاصلها
المحبة فهي علتها الفاعلية الغائية وذلك لان الحركات ثلاثة انواع حركة اختيارية
وحركة طبيعية وحركة قسرية فالحركة الطبيعية اصلها السكون وانما يتحرك
الجسم اذا خرج عن مستقره الطبيعي فهو يتحرك للعود اليه وخروجه عن
مستقره وحركته انما هو بتحريك القاسر المحرك له فله حركة قسرية بتحريك قاسره
وحركة طبيعية بذاته يطلب بها العود الى مركزه وكلا حركتيه تابعة للقاسر
المحرك فهو اصل الحركتين والحركة الاختيارية الارادية هي اصل الحركتين
الاخريين وهي تابعة للارادة والمحبة فصارت الحركات الثلاث تابعة
للمحبة والارادة والدليل على انحصار الحركات في هذه الثلاث ان المتحرك
له ان كان شعور بالحركة فهي الارادية وان لم يكن له شعور بها فاما ان
يكون على وفق طبعه والاول الطبيعية والثاني القسرية اذا ثبت هذا
فما في السموات والارض وما بينهما من حركات الافلاك والشمس والقمر والنجوم
والرياح والسحاب والمطر والنبات وحركات الاجنة في بطون امهاتها
فانما هي بواسطة الملئكة المدبرات امرا فالمقسمات امرا كما دل على ذلك
نصوص القران والسنة في غير موضع والايمان بذلك من تمام الايمان بالملئكة

لعله الايمان

فان الله

فان الله وكل بالرحم ملئكة وبالقطر ملئكة وبالنبات ملئكة وبالرياح ملئكة
وبالافلاك والشمس والقمر والنجوم ووكل بكل عبد اربعة من الملئكة كاتبين على
يمينه وشماله وحافظين له من بين يديه ومن خلفه ووكل ملئكة بقبض روحه
وتجهيزها الى مستقرها من الجنة والنار وملئكة بمسائلته وامتحانه في قبره و
عذابه هناك ونعيمه وملئكة تسوقه الى المحشر اذا قام من قبره وملئكة
لتعذيبه في النار وملائكة تنعمه في الجنة ووكل بالجبال ملئكة وبالسحاب
ملئكة تسوقه حيث امرت به وبالقطر ملئكة تنزله بامر الله بقدر معلوم كما شاء
الله ووكل ملئكة بغرس الجنة وعمل آلتها وفرشها وبنائها والقيام عليها وملئكة
بالنار كذلك فاعظم جند الله الملئكة ولفظ الملك يشعر بانه رسول منفذ لامر
غيره فليس لهم من الامر شيء بل الامر كله لله وهم يدبرون الامر ويقسمونه بامر الله
واذنه قال الله تعالى اخبارا عنهم وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا
وما بين ذلك وما كان ربك نسيا وقال تعالى وكم من ملك في السموات لا تغني
عني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى واقسم سبحانه بطوائف
الملئكة المنفذين لامره في الخليقة كما قال تعالى والصافات صفا فالزاجرات زجرا
فالتاليات ذكرا فالمقسمات امرا وقال تعالى والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا
والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا وقال تعالى والنازعات غرقا
والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا وقد
ذكرنا معنى ذلك وسر الاقسام به في كتاب ايمان القران واذا عرف ذلك فجميع
تلك المحبات والحركات والارادات والافعال هي عبادة منهم لرب الارض
والسموات وجميع الحركات الطبيعية والقسرية تابعة لها فلولا الحب ما
دارت الافلاك ولا تحركت الكواكب المنيرات ولا هبت الرياح المسخرات
ولا مرت السحاب الحاملات ولا تحركت الاجنة في بطون الامهات ولا انصدع
عن الحب انواع النبات ولا اضطربت امواج البحار الزاخرات ولا تحركت
المدبرات والمقسمات ولا سبحت بحمد فاطرها الارضون والسموات وما
بينهما من انواع المخلوقات فسبحان من تسبح السموات السبع والارض ومن

ينهى وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا يفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا
فصل اذا عرف ذلك فكل حي له ارادة ومحبة وعمل بحسبه وكل متحرك
فاصل حركته المحبة والارادة ولا صلاح للموجودات الا بان تكون حركاتها
ومحبتها لفاطرها وباريها وحده كما لا وجود لها الا بابداعه وحده ولهذا
قال تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا ولم يقل سبحانه لما وجدتا ولكانتا
معدومتين ولا قال لعدمتا اذ هو سبحانه قادر على ان يبقيهما على وجه الفساد
لكن لا يمكن ان يكونا على وجه الصلاح والاستقامة الا ان يكون الله وحده
هو معبودهما ومعبود ما حوتاه وسكن فيهما فلو كان للعالم الهان لفسد
نظامه غاية الفساد فان كل اله يطلب مغالبة الاخر والعلو عليه وتفرده دونه
بالالهية اذ الشركة نقص ينافي كمال الهيئة والاله لا يرضى لنفسه ان يكون
الها ناقصا فان قهر احدهما الاخر كان هو الاله وحده والمقهور ليس باله
وان لم يقهر احدهما الاخر لزم عجز كل منهما ونقصه ولم يكن تام الالهية
فيجب ان يكون فوقهما اله قاهر لهما حاكم عليهما والا ذهب كل منهما بما خلق وطلب
كل منهما العلو على الاخر وفي ذلك فساد امر السموات والارض ومن فيهن كما
هو المعهود من فساد البلد اذا كان فيه ملكان متكافيان وفساد الزوجة
اذا كان لها زوجان والشول اذا كان فيه فحلان واصل فساد العالم انما
هو من اختلاف الملوك والخلفا ولهذا لم يطمع اعداء المسلمين فيهم من
زمن من الازمنة الا في زمن تعدد فيه ملوك المسلمين واختلافهم و
انفراد كل منهم ببلاد وطلب بعضهم العلو على البعض وصلاح السموات
واستقامتها وانتظام امر المخلوقات على اتم نظام من اظهر الادلة على
انه لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو
على كل شيء قدير وان كل معبود من لدن عرشه الى قرار ارضه باطل
الا وجهه الاعلى **قال تعالى** ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب
كل اله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم
الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون وقال **تعالى** ام اتخذوا الهة من الارض

هم ينشرون

هم ينشرون لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما
يصفون لا يسال عما يفعل وهم يسالون **قال الله تعالى** قل لو كان معه الهة كما
يقولون اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا وفي المعنى لابتغوا السبيل
اليه بالمغالبة والقهر كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض ويدل عليه
قوله في الاية الاخرى ولعلى بعضهم على بعض قال **شيخنا** والصحيح ان المعنى
لابتغوا اليه سبيلا بالتقرب اليه وطاعته فكيف تعبدونهم من دونه
وهم لو كانوا الهة كما تقولون لكانوا عبيدا له قالوا ويدل على هذا وجوه منها
قوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون
رحمته ويخافون عذابه اي هولاء الذين يعبدونهم من دوني هم عبادي كما انتم
عبادي يرجون رحمتي ويخافون عذابي فلماذا تعبدونهم **الثاني** سبحانه لم يقل لابتغوا عليه
سبيلا وقال لابتغوا اليه سبيلا وهذا اللفظ انما يستعمل في التقرب كقوله تعالى اتقوا
الله وابتغوا اليه الوسيلة واما في المغالبة فانما يستعمل كقوله فان اطعنكم فلا
تبغوا عليهن سبيلا **الثالث** انهم لم يقولوا ان الهتهم تطلب العلو عليه وهو سبحانه
قد قال قل لو كان معه الهة كما تقولون وهم انما كانوا يقولون ان تبتغي التقرب
اليه وتقربهم زلفا اليه فقال لو كان الامر كما تقولون لكانت تلك الالهة
عبيدا له فلماذا تعبدون عبيده من دونه **فصل** والمحبة لها اثار وتوابع
ولوازم واحكام سواء كانت محمودة او مذمومة نافعة او ضارة من الوجد
والذوق والحلاوة والشوق والانس والاتصال بالمحبوب والقرب والانفصال
عنه والبعد منه والهجران والفرح والسرور والبكاء والحزن وغير ذلك من
احكامها ولوازمها والمحبة المحمودة هي المحبة النافعة التي تجلب لصاحبها ما
ينفعه في دنياه واخرته وهي عنوان سعادته والمحبة المذمومة التي تجلب لصاحبها
ما يضره في دنياه واخرته وهي عنوان شقاوته ومعلوم ان الحي العاقل لا يختار
محبة ما يضره ويشقيه وانما يصدر ذلك عن جهل وظلم فان النفس قد تهوى ما
يضرها ولا ينفعها وذلك ظلم من الانسان لنفسه اما بان يكون جاهلا بحال
محبوبها بان تهوى الشيء وتحبه غير عالمة بما في محبته من المضرة وهذا حال من يتبع

هواه بغير علم واما عالمه بما في محبته من المضرة لكن تؤثر هواها على علمها وقل
تتركب محبتها من امرين من اعتقاد فاسد وهوى متبع وهذا حال من اتبع
الظن وما تهوى الانفس فلا تنفع المحبة الفاسدة الا من جهل او اعتقاد فاسد
وهوى غالب او ما تركب من ذلك فاعان بعضه بعضا فتتفق شبهة يشتبه بها
الحق والباطل يزين له امر المحبوب وشهوة تدعوه الى حصوله فيتساعد
جيش الشهوة والشبه على جيش العقل والايمان والغلبة لاقواهما واذا
عرف هذا فتوابع كل نوع من انواع المحبة له حكم متبوعه فالمحبة النافعة
المحمودة التي هي عنوان سعادة العبد توابعها كلها نافعة له حكمها حكم
متبوعها فان بكا نفعه وان حزن نفعه وان فرح نفعه وان انقبض نفعه
وان انبسط نفعه فهو يتقلب في منازل المحبة واحكامها في مزيد وربح وقربه
والمحبة الضارة المذمومة توابعها واثارها كلها ضارة لصاحبها مبعدة له
من ربه كيف ما تقلب في اثارها في منازلها فهو في خسارة وبعد وهذا
شان كل فعل تولد عن طاعة ومعصية وكل ما تولد عن الطاعة فهو زيادة
لصاحبه وقربه وقوته وكلما تولد عن المعصية فهو خسران لصاحبه وبعد
قال تعالى ذلك بانهم لا يصيبهم ظما ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطاون
موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا
يضيع اجر المحسنين ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا
الا كتب لهم به عمل صالح ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون فاخبر سبحانه
في الاية الاولى ان المتولد عن طاعتهم وافعالهم يكتب لهم عمل صالح واخبر
في الثانية ان اعمالهم الصالحة التي باشروها تكتب لهم انفسها والفرق
بينهما ان الاول ليس من فعلهم وانما تولد عنه فكتب لهم به عمل صالح والثاني
نفس اعمالهم فكتبت لهم فليتامل لبيب المحبة هذا الفصل حق التامل ليعلم
ما له وعليه بيت شعر: سيعلم يوم العرض اي بضاعة ❊ اضاع وعند الوزن ما كان حصل
فصل وكما ان المحبة والارادة اصل كل فعل كما تقدم فهي اصل كل دين
سواء كان حقا او باطلا فان الدين هو من الاعمال الباطنة والظاهرة

والمحبة

والمحبة والارادة اصل ذلك كله والدين هو الطاعة والعبادة والخلق فهو الطاعة اللازمة
الدائمة التي صارت خلقا وعادة فلهذا فسر الخلق بالدين في قوله تعالى وانك لعلى
خلق عظيم قال الامام احمد عن ابن عيينة قال ابن عباس لعلى دين عظيم وسئلت عائشة
رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القران والدين فيه معنى
الاذلال والقهر وفيه معنى الذل والخضوع والطاعة فكذلك يكون من الاعلى الى الاسفل كما يقال
دنته فدان اي قهرته فذل قال الشاعر: هو دان الرباب اذ هو الدين ❊ فاضحى بعزة وصيال
ويكون من الادنى للاعلى كما يقال دنت الله ودنت لله وفلان لا يدين لله دينا ولا يدين الله
دينا فدان لله اي اطاع الله واحبه وخافه ودان لله اي خشع لله وخضع وذل و
انقاد والدين الباطن لابد فيه من الحب والخضوع كالعبادة سوا بخلاف الدين الظاهر
فانه لا يستلزم الحب وان كان فيه انقياد وذل في الظاهر وسمى الله سبحانه يوم القيمة يوم
الدين فانه اليوم الذي يدين الناس فيه باعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر وذلك
يتضمن حسابهم وجزاهم فلذلك فسر بيوم الجزا ويوم الحساب قال تعالى فلولا ان
كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين اي هلا تردون الروح الى مكانها
ان كنتم غير مربوبين ومقهورين ولا مجزيين وهذه الاية تحتاج الى تفسير فانها
سيقت بالاحتجاج عليهم في انكارهم البعث والحساب ولابد ان يكون الدليل
مستلزما لمدلوله بحيث ينتقل الذهن منه الى المدلول لما بينهما من التلازم فيكون الملزوم
دليلا على اللازم ولا يجب العكس ووجه الاستدلال انهم اذا انكروا البعث والجزا
فقد كفروا بربهم وانكروا قدرته وربوبيته وحكمته فاما ان يقروا بان لهم ربا قاهرا
لهم متصرفا فيهم كما يشا يميتهم اذا شا ويامرهم وينهاهم ويثيب
محسنهم ويعاقب مسيئهم واما لا يقروا برب هذا شانه فان اقروا به امنوا بالبعث
والنشور والدين الامري والجزائي وان انكروا وكفروا به فقد زعموا انهم غير مربوبين
ولا محكوم عليهم ولا لهم رب يتصرف فيهم كما اراد فهلا يقدرون على دفع الموت عنهم
اذا جاءهم وعلى رد الروح الى مستقرها اذا بلغت الحلقوم وهذا خطاب للحاضرين
عند المحتضر وهم يعاينون موته فهلا تردون روحه الى مكانها ان كان لكم قدرة وتصرف
ولستم مربوبين ولا مقهورين لقاهر قادر يمضي عليكم احكامه وينفذ فيكم اوامره
وهذا غاية التعجيز لهم اذ تبين عجزهم عن رد نفس واحدة من مكان الى مكانها ولو

احتج علي ذلك الثقلان فيا لها من اية دالة على ربوبيته سبحانه ووحدانيته و
تصرفه في عباده ونفوذ احكامه فيهم وجريانها عليهم والدين دينان دين شرعي
امري ودين احساني جزائي وكلاهما لله وحده فالدين كله لله سبحانه امرا وجزاء
والمحبة اصل كل واحد من الدينين فان ما شرعه الله سبحانه وكلي وامر به فانه
يحبه ويرضاه وما نهى عنه فانه يكرهه ويبغضه لمنافاته لما يحبه ويرضاه فهو يحب
ضده فعاد دينه الامري كله الى محبته ورضاه ودين العبد لله انما يقبل اذا كان
عن محبة ورضى قال صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا وبالاسلام
دينا وبمحمد رسولا فهذا الدين قايم بالمحبة وبسببها شرع وعليها اسس وكذلك
دينه الجزائي فانه يتضمن مجازاة المحسن باحسانه والمسيئ باسائته فكل من الامرين
محبوب للرب فانها عدله وفضله وكلاهما من صفات كماله وهو سبحانه يحب
اسمائه وصفاته ويحب من يحبها وكل واحد من الدينين فهو صراطه المستقيم
الذي هو عليه سبحانه فهو على صراط مستقيم في امره ونهيه وثوابه وعقابه كما
قال تعالى اخبارا عن نبيه هود انه قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء
مما تشركون به من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اني توكلت على الله ربي
وربكم ثم اخبر عن قدرته وقهره لكل ما سواه وذل كل شيء لعظمته فقال ما من دابة
الا هو اخذ بناصيتها فكيف اخاف من ناصيته بيد غيره وهو في قبضته وتحت
قهره وسلطانه دونه وهل هذا الا من اجهل الجهل واقبح الظلم ثم انه اخبر سبحانه
انه على صراط مستقيم في كل ما يقضيه ويقدره فلا يخاف العبد ظلمه ولا جوره و
اخاف ما دونه فان ناصيته بيده ولا اخاف جوره ولا ظلمه فانه على صراط مستقيم
فهو سبحانه ماض في عبده حكمه عدل فيه قضاؤه له الملك وله الحمد لا يخرج لتصرفه
في عباده حكمه عن العدل والفضل ان اعطى واكرم وهدى ووفق فبفضله
ورحمته وان منع واهان واضل وخذل واشقى فبعدله وحكمته وهو على
صراط مستقيم في هذا وهذا وفي الحديث الصحيح ما اصاب عبدا قط هم ولا حزن
فقال اللهم اني عبدك ابن عبدك ابن امتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل
في قضاؤك اسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك او انزلته في كتابك او علمته

احدا من خلقك او استأثرت به في علم الغيب عندك ان تجعل القرآن ربيع قلبي
ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي وغمي الا اذهب الله همه وغمه وابدله
مكانه فرحا فهذا يتناول حكم الرب الكوني والامري وقضاؤه الذي يكون باختيار
العبد وغير اختياره وكلا الحكمين ماض في عبده وكلا القضائين عدل فيه
فهذا الحديث مشتق من هذه الاية بينهما اقرب نسب **فصل** ويختم الجواب
بفصل يتعلق بعشق الصور وما فيه من المفاسد العاجلة والاجلة والاجلة
وان كانت اضعاف ما يذكره ذاكر فانه يفسد القلب بالذات واذا فسد فسدت
الارادات والاقوال والاعمال وفسد ثغر التوحيد كما تقدم وكما سنقرره ايضا
ان شاء الله تعالى والله سبحانه انما حكى هذا المرض عن طائفتين من الناس وهما
اللوطية والنساء فاخبر عن عشق امراة العزيز ليوسف وما راودته وكادته
به واخبر عن الحال التي صار اليها يوسف بصبره وعفته وتقواه مع ان الذي
ابتلي به امر لا يصبر عليه الا من صبره الله فان موافقة الفعل بحسب قوة الداعي
وزوال المانع وكان الداعي هاهنا في غاية القوة وذلك لوجوه احدها ما ركبه
الله سبحانه وتعالى في طبع الرجل من ميله الى المراة كما يميل العطشان الى الماء والجائع
الى الطعام حتى ان كثيرا من الناس يصبر عن الطعام والشراب ولا يصبر عن النساء
وهذا لا يذم اذا صادف حلالا بل يحمد كما في كتاب الزهد للامام احمد من
حديث يوسف بن عطية الصفار عن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال حبب
الي من دنياكم النساء والطيب اصبر عن الطعام والشراب ولا اصبر عنهن الثاني
ان يوسف عليه السلام كان شابا وشهوة الشباب وحدته اقوى الثالث
انه كان عزبا ليس له زوجة ولا سرية تكسر سورة الشهوة الرابع انه كان في بلاد
غربة يتاتى للغريب فيها من قضاء الوطر ما لا يتاتى له من وطنه بين اهله و
معارفه الخامس ان المراة كانت ذات منصب وجمال بحيث ان كل واحد من هذين
الامرين يدعو الى موافقتها السادس انها غير ممتنعة ولا ابية فان كثيرا من
الناس يزيل رغبته في المراة اباها وامتناعها لما يجد في نفسه لخضوع والسوال
لها وكثير من الناس يزيده الاباء والامتناع ارادة وحبا كما قال الشاعر

عن انس م

وزادني كلفا في الحب ان منعت ** احب شيء الى الانسان ما منعا

فطباع الناس تختلف في ذلك فمنهم من يتضاعف حبه عند بذل المراة ورغبتها
ويضمحل عند اباها وامتناعها واخبرني بعض القضاة ان ارادته وشهوته
تضمحل عند امتناع امراته او سريته وابائها بحيث لا يعاودها ومنهم من
يضاعف حبه وارادته بالمنع فيشتد شوقه كلما منع ويحصل له من اللذة
بالظفر بالضد بعد امتناعه ونفاره فاللذة بادراك المسئلة بعد استصعابها
وشدة الحرص على ادراكها السابع انها طلبت وارادت وبذلت الجهد فكفته
مونة الطلب وذل الرغبة اليها بل كانت هي الراغبة وهو العزيز المرغوب اليه
الثامن انه في دارها وتحت سلطانها وقهرها بحيث يخشى ان لم يطاوعها من
اذاها له فاجتمع داعي الرغبة والرهبة التاسع انه لا يخشى ان تنم عليه ولا احد
من جهتها فانها هي الطالبة الراغبة وقد غلقت الابواب وغيبت الرقبا
العاشر انه كان في الظاهر مملوكا في الدار بحيث يدخل ويخرج ويحضر معها
ولا ينكر عليه فكان الانس سابقا على الطلب وهو من اقوى الدواعي كما قيل
لامراة شريفة من اشراف العرب ما حملك على الزنى قالت قرب الوساد وطول
السواد بيننا الحادي عشر انها استعانت عليه بائمة المكر والاحتيال فاراهن
اياه وشكت حالها اليهن لتستعين بهن عليه واستعان هو بالله عليهن فقال
والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين الثاني عشر انها
تواعدته بالسجن والصغار وهذا نوع اكراه اذ هو تهديد ممن يغلب على الظن
وقوع ما هدد به فيجتمع داعي الشهوة وداعي السلامة من ضيق السجن
والصغار الثالث عشر ان الزوج لم تظهر منه الغيرة والنخوة ما يفرق به بينهما
ويبعد كلا منهما عن صاحبه بل كان غاية ما قابلها به ان قال ليوسف
اعرض عن هذا وللمراة استغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين وشدة
الغيرة في الرجل من اقوى الموانع وهذا لم تظهر منه غيرة ومع هذه الدواعي
كلها فاثر مرضات الله وخوفه وحمله حبه لله على ان اختار السجن
على الزنى فقال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه واعلم انه لا يطيق

منهم

ابيح

صرف ذلك عن نفسه وان ربه تعالى ان لم يعصمه ويصرف عنه صبا اليهن
بطبعه فكان من الجاهلين وهذا من كمال معرفته بربه وبنفسه وفي هذه
القصة من العبر والفوائد والحكم على ما يزيد على الف فائدة لعلنا ان وفق
الله ان نفردها في مصنف مستقل **فصل** والطائفة الثانية
الذين ذكر حكى الله عنهم العشق هم اللوطية كما قال تعالى وجاء اهل المدينة
يستبشرون قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون
قالوا اولم ننهك عن العالمين قال هؤلاء بناتي ان كنتم فاعلين لعمرك انهم
لفي سكرتهم يعمهون فهذه عشقت فحكاه الله سبحانه عنها عن طائفة
عشق كل منهما ما حرم الله عليه من الصور ولم يبال بما في عشقه من الضرر
وهذا داء اعيا الاطبا دواؤه وعز عليهم شفاؤه وهو لعمر الله الداء
العضال والسم القتال الذي ما علق بقلب الا وعز على الورى استنقاذه
من اساره ولا اشتعلت ناره في مهجة الا وصعبت على الخلق تخليصها
من ناره وهو اقسام تارة يكون كفرا كمن اتخذ معشوقه ندا يحبه كما
يحب الله فكيف اذا كانت محبته اعظم من محبة الله في قلبه فهذا عشق
لا يغفر لصاحبه فانه من اعظم الشرك والله لا يغفر ان يشرك به
انما يغفر بالتوبة الماحية وعلامة هذا العشق الشركي الكفري ان
يقدم العاشق رضا معشوقه على رضا ربه واذا تعارض عنده حق
معشوقه وحظه وحق ربه وطاعته قدم حق معشوقه على حق ربه
واثر رضاه على رضاه وبذل لمعشوقه انفس ما يقدر عليه وبذل
لربه ان بذل اردى ما عنده واستفرغ وسعه في مرضاة معشوقه
وطاعته والتقرب اليه وجعل لربه ان اطاعه الفضلة التي تفضل
عن معشوقه من ساعاته فتامل حال اكثر عشاق الصور تجدها مطابقة
لذلك ثم ضع حالهم في كفة وتوحيدهم في ايمانهم في كفة ثم زن
وزنا يرضي الله ورسوله ويطابق العدل وربما صرح العاشق منهم
بان وصل معشوقه احب اليه من توحيد ربه كما قال العاشق الخبيث

عنهم مع

لعله والسم

لعله وايمانهم

وكما صرح ؛ بين سفني من فمي رشفات ؛ هن احلى فيه من توحيدي ؛
الخبيث الاخر بان وصل معشوقه اشهى اليه من رحمة ربه فعياذا بك اللهم من
هذا الخذلان فقال ؛ وصلك اشهى الى فؤادي ؛ من رحمة الخالق الجليل ؛
ولا ريب ان هذا العشق من اعظم الشرك وكثير من العشاق يصرح بانه لم
يبق في قلبه موضع لغير معشوقه البتة بل قد ملك معشوقه عليه قلبه
كله فصار عبدا محضا من كل وجه لمعشوقه فقد رضي هذا من عبودية
الخالق جل جلاله بعبودية مخلوق مثله فان العبودية هي كمال الحب
والخضوع وهذا قد استفرغ قوة حبه وخضوعه وذله لمعشوقه
فقد اعطاه حقيقة العبودية ولا نسبة بين مفسدة هذا الامر العظيم
وبين مفسدة الفاحشة فان تلك ذنب كبير لفاعله حكم امثاله ومفسدة
الفاحشة هذا العشق مفسدة الشرك وكان بعض الشيوخ من العارفين
يقول مفسدة الفاحشة لئن ابتلى بالفاحشة مع تلك الصورة احب
الي من ان ابتلي فيها بعشق يتعبد لها قلبي وتشغله عن الله **فصل**
ودواء هذا الداء القتال ان يعرف ما ابتلي به من الداء المضاد للتوحيد
اولا ثم ياتي من العبادات الظاهرة والباطنة بما يشغل قلبه عن دوام الفكرة
فيه ويكثر اللجا والتضرع الى الله سبحانه وتعالى في صرف ذلك عنه وان يراجع
بقلبه اليه وليس له دواء انفع من الاخلاص لله وهو الدواء الذي ذكره
في كتابه حيث قال كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا
المخلصين فاخبر سبحانه انه صرف عنه السوء من العشق والفحشاء من الفعل
باخلاصه فان القلب اذا خلص واخلص عمله لله لم يتمكن منه عشق الصور
فانه انما يتمكن من قلب فارغ كما قيل فصادف قلبا خاليا فتمكنا
وليعلم العاقل ان العقل والشرع يوجبان تحصيل المصالح وتكميلها
واعدام المفاسد وتقليلها فاذا عرض للعاقل امر يرى فيه مصلحة
ومفسدة وجب عليه امران امر علمي وامر عملي فالعلمي معرفة طلب
الراجح من طرفي المصلحة والمفسدة فاذا تبين له الرجحان وجب عليه

اتيان الاصلح له ومن المعلوم انه ليس في عشق الصور مصلحة دينية ولا
دنيوية بل مفسدة الدينية والدنيوية اضعاف اضعاف ما يقدر فيه
من المصلحة وذلك من وجوه **احدها** الاشتغال بحب المخلوق وذكره عن حب
رب العالمين تعالى وذكره لا يجتمع في القلب هذا وهذا الا ويقهر احدهما
صاحبه ويكون السلطان والغلبة له **الثاني** عذاب قلبه بمعشوقه
فان من احب شيئا غير الله عذب به ولا بد

؛ فما في الارض اشقى من محب ؛ وان وجد الهوى حلو المذاق ؛
؛ تراه باكيا في كل حين ؛ مخافة فرقة او لاشتياق ؛
؛ فيبكي ان ناوا شوقا اليهم ؛ ويبكي ان دنوا حذر الفراق ؛
؛ فتسخن عينه عند الفراق ؛ وتسخن عينه عند التلاقي ؛

الثالث ان العاشق قلبه اسير في قبضة معشوقه يسومه الهوان لكن
لسكرة العشق لا يشعر بمصابه فقلبه كعصفورة في كف طفل يسومها حياض
الردى والطفل يلهو ويلعب فعيش العاشق عيش الاسير الموثق وعيش الخلي
عيش المسيب المطلق ؛ طليق تراه العين وهو اسير ؛ عليل على قطب الهلاك يدور ؛
؛ وميت يرى في صورة الحي غاديا ؛ وليس له حتى النشور نشور ؛
؛ اخو غمرات ضاع فيهن قلبه ؛ فليس له حتى الممات حضور ؛
الرابع انه يشتغل به عن مصالح دينه ودنياه فليس شيء اضيع لمصالح الدين
والدنيا من عشق الصور اما مصالح الدين فانها منوطة بلم شعث القلب
واقباله على الله وعشق الصور اعظم شيء وتشتيته واما مصالح
الدنيا فهي تابعة في الحقيقة لمصالح الدين فمن انفرطت عليه مصالح دينه
وضاعت عليه فمصالح دنياه اضيع واضيع **الخامس** ان افات الدنيا والاخرة
اسرع الى عشاق الصور من النار في يابس الحطب وسبب ذلك ان القلب
كلما قرب من العشق وقوي اتصاله به بعد من الله فابعد القلوب من الله
قلوب عشاق الصور واذا بعد القلب من الله طرقته الافات من كل ناحية
فان الشيطان يتولاه ومن يتولاه عدوه لم يدع اذا امكنه ايصاله اليه

الا وصله فما الظن بقلب تمكن منه عدوه واحرص الخلق على عنته وفساده و
بعد منه وليه ومن لا سعادة له ولا فلاح ولا سرور الا بقربه ورؤيته السادس
انه اذا تمكن من القلب واستحكم وقوي سلطانه افسد الذهن واحدث
الوسواس وربما الحق صاحبه بالمجانين الذين فسدت عقولهم فلا
ينتفعوا بها واخبار العشاق في ذلك موجودة في مواضعها بل بعضها
مشاهد بالعيان واشرف ما في الانسان عقله وبه يتميز على سائر الحيوانات
فاذا عدم عقله التحق بالحيوان البهيم بل ربما كان حال الحيوان اصلح
من حاله وهل اذهب عقل مجنون ليلى واضربه الا العشق وربما زاد
جنونه على جنون غيره كما قيل

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم ** العشق اعظم مما بالمجانين
العشق لا يستفيق الدهر صاحبه ** وانما يصرع المجنون في الحين

السابع انه ربما افسد الحواس او بعضها اما فسادا معنويا او صوريا
اما الفساد المعنوي فهو تابع لفساد القلب فان القلب اذا فسد فسدت
العين والاذن واللسان فيرى القبيح حسنا منه ومن معشوقه كما في المسند
مرفوعا حبك الشيء يعمي ويصم فهو يعمي عين القلب عن رؤية مساوي المحبوب
وعيوبه فلا ترى العين ذلك ويصم اذنه عن الاصغاء الى العذل فيه فلا تسمع
الاذن ذلك والرغبات تستر العيوب فالراغب في الشيء لا يرى عيوبه حتى
اذا زالت رغبته فيه ابصر عيوبه فشدة الرغبة غشاوة على العين تمنع
من رؤية الشيء على ما هو به كما قيل

هويتك اذ عيني عليها غشاوة ** فلما انجلت قطعت نفسي الومها

والداخل في الشيء لا يرى عيوبه والخارج منه الذي لم يدخل فيه لا يرى عيوبه
ولا يرى عيوبه الا من دخل فيه ثم خرج منه ولهذا كان الصحابة الذين
في الاسلام بعد الكفر خيرا من الذين ولدوا في الاسلام قال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه انما ينقض الاسلام عروة عروة من اذا ولدوا في الاسلام من
لم يعرف الجاهلية واما افساده الحواس ظاهرا فانه يمرض البدن وينهكه وربما

ادى

ادى الى تلفه كما هو معروف في اخبار من قتلهم العشق وهو ان رجلا
دفع الى ابن عباس وقد كان يعرفه شابا وقد انحل حتى صار لحما على عظم فقال
ما شان هذا قالوا به العشق فجعل ابن عباس يستعيذ بالله من العشق عامة
يومه الثامن ان العشق كما تقدم هو الافراط في المحبة بحيث يستولي المعشوق
على قلب العاشق حتى لا يخلو من تخيله وذكره والفكر فيه بحيث لا يغيب
عن خاطره وذهنه فعند ذلك تشتغل النفس عن استخدام القوى النفسانية
والحيوانية فتتعطل بتعطيلها من الافات على البدن والروح ما يعز دواؤه
ويتعذر فتتغير افعاله وصفاته ومقاصده ويختل جميع ذلك فيعجز البشر عن
صلاحه كما قيل

الحب اول ما يكون لجاجة ** تاتي به وتسوقه الاقدار
حتى اذا خاض الفتى لجج الهوى ** جاءت امور لا تطاق كبار

والعشق مباديه سهلة حلوة واوسطه هم وشغل قلب وسقم واخره عطب
وقتل ان لم تتداركه عناية من الله كما قيل

وعش خاليا فالحب اوله عنا ** واوسطه سقم واخره قتل

وقال الاخر

تولع بالعشق حتى عشق ** فلما استقل به لم يطق
راى لجة ظنها موجة ** فلما تمكن منها غرق

والذنب له فهو الجاني وقد قعد تحت المثل السائر يداك اوكتا وفوك نفخ

فصل والعاشق له ثلاث مقامات مقام ابتداء ومقام توسط
ومقام انتهاء فاما مقام ابتدائه فالواجب عليه فيه مدافعته بكل ما يقدر عليه
اذا كان الوصول الى معشوقه متعذرا قدرا او شرعا فان عجز عن
ذلك وابى قلبه لا يستقر الا الى محبوبه وهذا مقام التوسط والانتهاء فعليه
بكتمان ذلك ولا يفشيه الى الخلق ولا يشبب بمحبوبه ويهتكه بين الناس
فيجمع بين الشرك والظلم فان الظلم في هذا الباب من اعظم انواع الظلم
وربما كان اعظم ضررا على المعشوق واهله من ظلمه في ماله فانه يعرض المعشوق
بهتكه في عشقه الى وقوع الناس فيه وانقسامهم الى مصدق ومكذب واكثر
الناس يصدق في هذا الباب بادنى شبهة واذا قيل فلان فعل بفلان او بفلانة

مرض

كذبه واحد وصدقه تسع مائة وتسعة وتسعون وخبر العاشق المنتهك
عند الناس في هذا الباب يفيد القطع اليقيني بل اذا اخبرهم المفعول به
عن نفسه كذبا وافتراء على غيره جزموا بصدقه جزما لا يحتمل النقيض
بل لو جمعهما مكان واحد اتفاقا لجزموا ان ذلك عن وعد واتفاق بينهما
وجزمهم في هذا الباب على الظنون والتخييل والشبه والاوهام والاخبار
الكاذبة كجزمهم بالحسيات المشاهدة وبذلك وقع الافك في
الطيبة المطيبة حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها المبراة
من فوق سبع سموات بشبهة مجي صفوان المعطل بها وحده خلف
العسكر حتى هلك من هلك ولولا ان تولى الله سبحانه وتعالى براءتها
عنها وتكذيب قاذفها والا كان امرا اخر والمقصود ان في اظهار المبتلى
عشق من لا يحل له الاتصال من ظلمه واذاه عدوان عليه وعلى اهله وتعريض
التصديق كثير من الناس ظنونهم فيه فان استعان عليه بمن يستميله
اليه اما برغبة او رهبة تعدى الظلم فانتشر وصار ذلك الواسطة ديوثا
ظالما واذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد لعن الرائش وهو الواسط بين الراشي
والمرتشي في ايصال الرشوة فما الظن بالديوث الواسط بين العاشق
والمعشوق في الوصلة المحرمة فيساعد العاشق والديوث على ظلم المعشوق
وظلم غيره ممن يتوقف حصول غرضهما على ظلمه في نفس ومال او عرض فانه كثيرا
ما يتوقف المطلوب فيه على قتل نفس تكون حياتها مانعة من غرضه فكم من
قتيل طل دمه بهذا السبب من زوج وسيد وقريب وكم خببت امراة على
بعلها وجارية وعبد على سيدهما وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من
ذلك وتبرا منه وهو من اكبر الكبائر واذا كان النبي صلى الله عليه وسلم
قد نهى ان يخطب الرجل على خطبة اخيه او يستام على سوم اخيه فكيف
بمن سعى في التفريق بينه وبين امراته حتى يتصل بها وعشاق الصور
ومساعدوهم من الديثة لا يرون ذلك ذنبا فان طلب العاشق وصل
معشوقه ومشاركته الزوج والسيد ففي ذلك من اثم ظلم الغير ما لعله

يقصر

يقصر عن اثم الفاحشة ان لم يربو عليها ولا يسقط حق الغير بالتوبة من الفاحشة
فان التوبة وان اسقطت حق الله فحق العبد باق له المطالبة يوم القيمة فان
ظلم الوالد بافساد ولد كبده ومن هو اعز عليه من نفسه وظلم الزوج بافساد
حبيبته والجناية على فراشه اعظم من ظلمه باخذ ماله كله ولهذا يوذيه ذلك اعظم
مما يوذيه باخذ ماله ولا يعدل ذلك عنده الا سفك دمه فيا له من ظلم اعظم اثما
من فعل الفاحشة فان كان ذلك حقا لغاز في سبيل الله وقف له الجاني الفاعل
يوم القيمة وقيل له خذ من حسناته ما شئت كما اخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ظنكم اي فما تظنون يبقى له من حسناته فان انضاف
الى ذلك ان يكون المظلوم جارا او ذا رحم تعدد الظلم وصار ظلما موكدا بقطيعة
الرحم واذى الجار ولا يدخل الجنة قاطع رحم ولا من لا يامن جاره بوائقه فان استعان
العاشق على وصال معشوقه بشياطين الانس اما بسحر او استخدام ونحو ذلك ضم
الى الشرك والظلم كفر السحر فان لم يفعله هو ورضي كان راضيا بالكفر غير كاره لحصول
مقصده وهذا ليس ببعيد من الكفر والمقصود ان التعاون في هذا الباب تعاون
على الاثم والعدوان واما ما يقترن بحصول غرض العاشق من الظلم المنتشر المتعدي
ضرره فامر لا يخفى فانه اذا حصل له مقصوده من المعشوق فان للمعشوق اغراضا
اخر يريد من العاشق اعانته عليها فلا يجد من اعانته بدا فيبقى كل منهما يعين الاخر
على ظلم من يتصل به من اهله واقاربه وسيده وزوجه والعاشق يعين المعشوق
على ظلم من يكون فيها ظلم الناس فيحصل العدوان والظلم للناس بسبب اشتراكهما
في القبيح لتعاونهما على الظلم كما جرت العادة بين العشاق والمعشوقين من
اعانة العاشق لمعشوقه على ما فيه ظلم وبغي وعدوان حتى ربما يسعى له في
منصب لا يليق به ولا يصلح لمثله وفي تحصيل مال من غير حله وفي استطالته
على غيره فاذا اختصم معشوقه وغيره او تشاكيا لم يكن الا في جانب المعشوق ظالما
كان او مظلوما هذا الى ما ينضم الى ذلك من ظلم العاشق للناس بالتحيل على اخذ
اموالهم والتوصل الى المعشوق بسرقة او غصب او خيانة او يمين كاذبة او
قطع طريق ونحو ذلك وربما ادى ذلك الى قتل النفس التي حرم الله ليأخذ ماله

يتوصل به الى معشوقه وكل هذه الافات واضعافها واضعاف اضعافها تنشا
من عشق الصور وتحمل على الكفر الصريح وقد تنصر جماعة ممن نشا في الاسلام بسبب
العشق كما جرى لبعض المؤذنين حين ابصر امراة جميلة على سطح ففتن بها فنزل
ودخل عليها وسالها نفسها فقالت هي نصرانية فان دخلت في ديني تزوجت بك
ففعل فرقى في ذلك اليوم على درجة عندهم فسقط منها فمات ذكر ذلك عبد
الحق في كتاب العاقبة لو واذا اراد النصارى ان ينصروا الاسير اروه امراة جميلة
وامروها ان تطمعه في نفسها حتى اذا تمكن حبها من قلبه بذلت له نفسها ان دخل
في دينها فهنالك يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا
وفي الاخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء وفي العشق من ظلم كل
واحد من العاشق والمعشوق لصاحبه بمعاونته له على الفاحشة وظلمه
لنفسه وصاحبه وظلمهما متعد الى الغير كما تقدم واعظم من ذلك ظلمهما بالشرك
فقد تضمن العشق انواع الظلم كلها والمعشوق اذا لم يتق الله فانه يعرض
العاشق لتلفه وذلك ظلم منه بان يطمعه في نفسه ويتزين له ويستميله بكل
طريق حتى يستخرج ماله ونفعه ولا يمكنه من نفسه لئلا يزول غرضه بقضاء وطره
منه فهو يسومه سوء العذاب والعاشق ربما قتل معشوقه ليشتفي نفسه منه ولا
سيما اذا جاد بالوصال لغيره فكم للعشق من قتيل من الجانبين وكم قد ازال من نعمة
وافقر من غنى واسقط من رتبة وشتت من شمل وكم افسد من اهل للرجل وولد
فان المراة اذا رات بعلها عاشقا لغيرها اتخذت هي معشوقا لنفسها فيصير
الرجل مترددا بين خراب بيته بالطلاق وبين القيادة فمن الناس من يؤثر
هذا ومن الناس من يؤثر هذا فعلى العاقل ان لا يحكم على نفسه عشق الصور
لئلا يؤديه ذلك الى هذه المفاسد او اكثرها او بعضها فمن فعل ذلك فهو المفرط
بنفسه المغرور بها فاذا هلكت فهو الذي اهلكها فلولا تكرر النظر الى وجه
معشوقه وطمعه في وصله لم يتمكن عشقه من قلبه فان اول اسباب العشق الاستحسان
سواء تولد عن نظر او سماع فان لم يقارنه طمع في الوصال وقارنه الاياس من ذلك لم
يحدث له العشق فان اقترن به طمع يصرفه عن فكره ولم يشغل قلبه لم يحدث له

ذلك

ذلك فانه اطال مع ذلك الفكر في محاسن المعشوق وقارنه خوف ما هو اكبر عنده
من لذة وصاله اما خوف ديني كدخول النار وغضب الجبار واحتقاب الاوزار
وغلب هذا الخوف على ذلك الطمع والفكر لم يحدث له العشق وان فاته هذا الخوف
وقارنه خوف دنيوي كخوف اتلاف نفسه وماله وذهاب جاهه وسقوط مرتبته
عند الناس وسقوطه من عين من يعز عليه وغلب هذا الخوف لداعي العشق دفعه
وكذلك اذا خاف من فوت محبوب هو احب اليه وانفع له من ذلك المعشوق و
قدم محبته على محبة ذلك المعشوق كذلك انجذب اليه بكليته ومالت اليه
النفس كل الميل فان قيل قد ذكرتم افات العشق ومضاره ومفاسده فهلا ذكرتم
منافعه وفوائده التي من جملتها رقة الطبع وترويح النفس وخفتها وزوال
ثقلها ورياضتها وحملها على مكارم الاخلاق من الشجاعة والكرم والمروة ورقة
الحاشية ولطف الجانب وقد قيل ليحيى بن معاذ الرازي ان ابنك عشق فلانة
فقال الحمد لله الذي صيره الى طبع الادمي وقال بعضهم العشق داء الكرام وقال
غيره العشق لا يصلح الا لذي مروة ظاهرة وخليقة طاهرة ولذي لسان فاصل
واحسان كامل ولذي ادب بارع وحسب ناصع وقال اخر العشق يشجع جنان
الجبان ويصفي ذهن الغبي ويسخي كف البخيل ويذل عزة الملوك ويسكن
نوافر الاخلاق وهو انيس من لا انيس له وجليس من لا جليس له وقال اخر العشق
يزيل الاثقال ويلطف الروح ويصفي كدر القلب ويوجب الارتياح لافعال الكرام
كما قال

سيهلك في الدنيا شفيق عليكم … اذا غاله من حادث الحب غائله
كريم يميت السر حتى كانه … اذا استفهموه عن حديثك جاهله
يود بان يمشي سقيما لعلها … اذا سمعت عنه بشكوى تراسله
ويهتز للمعروف في طلب العلى … لتحمد يوما عند ليلى شمائله

فالعشق يحمل على مكارم الاخلاق وقال بعض الحكماء العشق يروض النفس ويهذب
الاخلاق اظهاره طبيعي واضماره تكلفي وقال اخر من لم يتهيج نفسه بالصوت
والوجه البهي فهو فاسد المزاج يحتاج الى علاج وانشد في ذلك

شعر

اذا انت لم تعشق ولم تدر ما الهوى … فانت وعير في الفلاة سواء وقال اخر

اذا انت لم تعشق ولم تدر ما الهوى … فكن حجرا من جانب الصخر جلدا
وقال آخر
اذا انت لم تعشق ولم تدر ما الهوى … فما لك في طيب الحياة نصيب

وقال بعض العشاق اولوا العفة والصيانة عفوا تشرفوا واعشقوا تظرفوا
وقيل لبعض العشاق ما كنت تصنع لو ظفرت بمن تهوى فقال كنت امتع طرفي
بوجهه وأروح قلبي بذكره وحديثه واستر منه ما لا يحب كشفه ولا اصير
بقبح الفعل الى ما ينقض عهده ثم انشد

احلو بر فاعف عنه تكرما … خوف الديانة لست من عشاقه
كالماء في يد صائم يلتذ به … ظمأ فيصبر عن لذيذ مذاقه

وقال اسحق بن ابراهيم ارواح العشاق عطرة لطيفة وابدانهم رقيقة خفيفة
نزهتهم المؤانسة وكلامهم يحيي موات القلوب ويزيد في العقول ولولا
العشق والهوى لبطل نعيم الدنيا وقال آخر العشق للارواح بمنزلة الغذا للابدان
ان تركته قتلك وان كثرت منه قتلك وفي ذلك قيل

خليلي ان الحب فيه لذاذة … وفيه شفاء دائم وكروب
على ذاك ما عيش يطيب بغيره … ولا عيش الا بالحبيب يطيب
ولا خير في الدنيا بغير صبابة … ولا في نعيم ليس فيه حبيب

وذكر الخرائطي عن ابي غسان قال مر ابو بكر الصديق رضي الله عنه بجارية وهي تقول

وهويته من قبل قطع تمائمي … متمايسا مثل القضيب الناعم

فسألها أحرة انت ام مملوكة قالت بل مملوكة فقال من هواك فتلكأت فاقسم
عليها فقالت

وانا التي لعب الهوى بفؤادها … قتلت بحب محمد بن القاسم

فاشتراها من مولاها وبعث بها الى محمد بن القاسم بن جعفر بن ابي طالب وقال
هؤلاء فتن الرجال وكم والله قد مات بهن كريم فقتيل وعطب بهن سليم وجاءت
عثمان بن عفان جارية تستعدي على رجل من الانصار فقال لها عثمان ما
قصتك فقالت كلفت يا امير المؤمنين بابن اخيه فما انفك اراعيه فقال له
عثمان اما ان تهبها لابن اخيك او اعطيك ثمنها من مالي فقال اشهدك يا امير
المؤمنين انها له فنحن لا ننكر فساد العشق الذي تعلقه بفعل الفاحشة

بالمعشوق

بالمعشوق وانما الكلام في العشق العفيف من الرجل الظريف الذي يأبى له
دينه وعفته ومروته ان يفسد ما بينه وبين الله وما بينه وبين معشوقه من
الحرام وهذا كعشق السلف الكرام الائمة الاعلام فهذا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة
ابن مسعود احد الفقهاء السبعة عشق حتى اشتهر امره ولم ينكر عليه وعد ظالما لامه
من شعره

كتمت الهوى حتى اضر بك الكتم … ولامك اقوام ولومهم ظلم
فنم عليك الكاشحون وقبلهم … عليك الهوى قد نم لو نفع الكتم
فاصبحت كالهندي اذ مات حسرة … على اثر هند او كمن شفه سقم
تجنبت اتيان الحبيب تأثما … الا ان هجران الحبيب هو الاثم
فذق هجرها قد كنت تزعم انه … رشاد الا يا ربما كذب الزعم

وهذا عمر بن عبد العزيز عشق جارية فاطمة بنت عبد الملك امرأته مشهورة
وكانت جارية بارعة الجمال وكان معجبا بها وكان يطلبها من امرأته ويحرص على ان
تهبها له فتأبى ولم تزل الجارية في نفس عمر فلما استخلف امرت فاطمة بالجارية
فاصلحت وكانت مثلا في حسنها وجمالها ثم دخلت على عمر وقالت يا امير المؤمنين
انك كنت معجبا بجاريتي فلانة وسألتنيها فابيت عليك والان قد طابت نفسي
لك بها فلما قالت له ذلك استبان الفرح في وجهه وقال عجلي بها فلما ادخلتها
عليه ازداد عجبا وقال لها الق ثيابك ففعلت ثم قال على رسلك اخبريني لمن كنت
ومن اين صرت لفاطمة فقالت اغرم الحجاج عاملا بالكوفة مالا وكنت في رقيق
ذلك العامل فاخذني وبعث بي الى عبد الملك فوهبني لفاطمة قال وما فعل ذلك
العامل قالت هلك قال وهل ترك ولدا قالت نعم قال وما حالهم قالت سيئة
فقال شدي عليك ثيابك واذهبي الى مكانك ثم كتب الى عامله بالكوفة ان ابعث
الي فلان بن فلان على البريد فلما قدم قال له ارفع الجميع ما اغرمه الحجاج لابيك فلم
يرفع اليه شيئا الا دفعه اليه ثم امر بالجارية فدفعت اليه ثم قال له اياك
واياها فلعل اباك كان الم بها فقال الغلام هي لك يا امير المؤمنين قال لا حاجة لي بها
قال فابتعها مني قال لست اذا ممن نهى النفس عن الهوى فلما عزم الفتى على الانصراف
بها قالت اين وجدك بي يا امير المؤمنين قال على حاله ولقد زاد ولم تزل الجارية

في نفسه حتى مات رحمه الله تعالى وهذا ابو بكر بن محمد الظاهري العالم المشهور
في فنون العلوم من الفقه والحديث والتفسير والادب وله قول في الفقه وهو
من اكابر العلما وعشقه مشهور قال نفطويه دخلت عليه في مرضه الذي مات
فيه فقلت كيف تجدك فقال حب من تعلم اورثني ما ترى فقلت وما منعك
من الاستمتاع به مع القدرة عليه فقال الاستمتاع على وجهين احدهما النظر
المباح والاخر اللذة المحضورة فاما النظر المباح فهو الذي اورثني ما ترى و
اما اللذة المحضورة فمنعني منها ما حدثني ابي قال حدثنا سويد بن سعيد
حدثنا علي بن مسهر عن ابي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس يرفعه
من عشق وكتم وعف وصبر غفر له وادخله الجنة ثم انشد

انظر الى السحر يجري في لواحظه ... وانظر الى دعج في طرفه الساجي
وانظر الى شعرات فوق عارضه ... كانهن نمال دب في عاجي
ما لهم انكروا سوادا بخديه ... ولا ينكرون ورد الغصون
ان يكن عيب خده بدد الشعر ... فعيب العيون شعر الجفون

فقلت له كيف تصيب القياس في الفقه واثبته في الشعر فقال غلبة الوجد
وملكه الوجد النفس دعوا اليه ثم مات من ليلته وبسبب معشوقه صنف
كتاب الزهرة وهو كلام فيه من نأى سمح بهواه ولم يثبت من وقته سلا
وذلك ان اول روعات الناس تاتي القلب وهو غير مستعد لها فاما الثانية
فتاتي القلب وقد وطاته لها الروعة الاولى والتقى هو وابو العباس بن سريج
في مجلس ابي الحسن علي بن عيسى الوزير فتناظرا في مسئلة من الايلا فقال
له ابن سريج انت بان تقول من دامت لحصانة كثرت حسراته احذق منك
بالكلام على الفقه فقال الا ان كان ذلك فاني اقول

انزه في روض المحاسن مقلتي ... وامنع نفسي ان تنال محرما
واحمل من ثقل الهوا ما لو انه ... يصب على الصخر الاصم تهدما
رايت الهوى دعوى من الناس كلهم ... فلست اراه ودا صحيحا مسلما

فقال له ابو العباس ابن سريج بم تفخر علي ولو شئت لقلت

ومطاعم

ومطاعم كالشهد في نغماته ... قد بت امنعه لذيذ سناته
صبابة وبحسنه وحديثه ... وانزه اللحظات في وجناته
حتى اذا ما الصبح لاح عموده ... ولى بخاتم ربه وبراته

فقال ابو بكر يحفظ على الوزير ما اقر به حتى يقيم عليه شاهدين على انه
ولى بخاتم ربه وبراته فقال ابن سريج يلزمني في هذا ما يلزمك في قولك

انزه في روض المحاسن مقلتي ... وامنع نفسي ان تنال محرما

فضحك الوزير وقال لقد جمعتما لطفا وظرفا وكذلك ابو بكر الخطيب في تاريخه وجابه يوما
فتيا مضمونها

يابن داود يا فقيه العراق ... افتنا في قواتل الاحداق
هل عليها بما اتت من جناح ... ام حلال لها دم العشاق

فاجاب الجواب بخطه تحت البيتين

عندي جواب مسائل العشاق ... فاسمعه من قرح الحشا مشتاق
لما سالت عن الهوى هيجتني ... وارقت دمعا لم يكن بمراق
ان كان معشوقا يعذب عاشقا ... كان المعذب انعم العشاق

قال صاحب كتاب منازل الاحباب شهاب الدين محمد بن سلمان بن فهد
صاحب الانشا وقلت في جواب البيتين على وزنهما مجيبا السائل

قل لمن جا سائلا عن لحاظ ... هن يلعبن في دم العشاق
ما على السيف في الورى من جناح ... ان نبى الحد عن دم مهراق
وسيوف اللحاظ اولى بان ... تصفح عما جنت على العشاق
انما كل من قتلن شهيدا ... ولهذا يمضين صبا وهرماق

ونظير ذلك فتوى وردت على الشيخ ابي الخطاب محفوظ بن احمد الكلوذاني شيخ الحنابلة في وقته

قل للامام ابي الخطاب مسئلة ... جات اليك وما خلق سواك لها
ماذا على رجل رام الصلاة فمذ ... لاحت لخاطره ذات الجمال لها

فاجابه تحت سواله

قل للاديب الذي وافى بمسئلة ... سرت فوادي لما ان اصخت لها
ان التي فتنته عن عبادته ... خريدة ذات حسن فانثنى ولها
ان تاب ثم قضى عنه عبادته ... فرحمة الله تغشى من عصى ولها

عبد الله بن معمر القيسي حججت سنة ثم دخلت مسجد المدينة لزيارة قبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا انا جالس ذات ليلة بين القبر والمنبر اذ
سمعت انينا فاصغيت اليه فاذا هو يقول

اشجاك نوح حمائم السدر ... فاهجن منك بلابل الصدر
ام عز نومك ذكر غانية ... اهدت اليك وساوس الفكر
يا ليلة طالت على دنف ... يشكو السهاد وقلة الصبر
اسلمتني لهوى لحر جوى ... متوقد كتوقد الجمر
فالبدر يشهد انني كلف ... مغرى بحب شبيه البدر
ما كنت احسبني اهيم بها ... حتى بليت وكنت لا ادري

ثم انقطع الصوت فلم ادر من اين جا واذا به قد اعاد البكا والانين ثم انشد

اشجاك من ريا خيال زائر ... والليل مسود الذوائب عاكر
واغتاد مهجتك الهوى برسيسه ... واهاج مقلتك الخيال الزائر
ناديت ريا والظلام كانه ... يم بلاطم فيه موج زاخر
والبدر يسري في السماء كانه ... ملك ترجل والنجوم عساكر
وترى به الجوزاء ترقص في الدجا ... رقص الحبيب علاه سكر طاهر
يا ليل طلت على محب ما له ... الا الصباح مواسا عد ومؤازر
فاجابني مت حتف انفك واعلمن ... ان الهوى لهو الهوان الحاضر

قال وكنت قد ذهبت عند ابتدائه بالابيات فلم ينتبه الا وانا عنده
فرايت شابا مقتبلا شبابه قد خرق الدمع في خده خرقين فسلمت عليه
فقال اجلس من انت قلت عبد الله بن معمر القيسي قال الك حاجة قلت نعم
كنت جالسا في الروضة فما راعني الا صوتك فبنفسي افديك فما الذي
تجد فقال انا عتبة بن الحباب بن المنذر بن الجموح الانصاري غدوت
يوما الى مسجد الاحزاب فصليت فيه ثم اعتزلت غير بعيد فاذا بنسوة
قد اقبلن يتهادين مثل القطا فاذا في وسطهن جارية بديعة الجمال كاملة
الملاحة فوقفت علي وقالت يا عتبة ما تقول في وصل من تطلب وصلك

ثم تركتني

ثم تركتني وذهبت فلم اسمع لها خبرا ولا قفوت لها اثرا وانا حيران انتقل
من مكان الى مكان ثم صرخ واكب مغشيا عليه ثم افاق كانما صبغت وجنتاه بورس
ثم انشد

اراكم بقلبي من بلاد بعيدة ... فيا هل تروني في الفؤاد على بعد
فؤادي وطرفي يا سفان عليكم ... وعندكم روحي وذكركم عندي
ولست الذ العيش حتى اراكم ... ولو كنت في الفردوس في جنة الخلد

فقلت يا ابن اخي تب الى ربك واستغفر من ذنبك فبين يديك هول المطلع فقال
ما انا بسال حتى القا رضاه ولم ازل معه الى ان طلع الفجر فقلت قم بنا
الى مسجد الاحزاب فلعل الله ان يكشف كربتك قال ارجو ذلك ان شاء الله
ببركة طلعتك فذهبنا حتى اتينا مسجد الاحزاب فسمعته يقول

يا للرجال ليوم الاربعاء اما ... ينفك يحدث بعد النهى طربا
ما ان يزال غزال منه يقلقني ... ياتي الى مسجد الاحزاب منتقبا
يخبر الناس ان الاجر همته ... وما اتى طالبا للاجر محتسبا
لو كان يبغي ثوابا ما اتى صلفا ... مضمخا بفتيت المسك مختضبا

ثم جلسنا حتى صلينا الظهر واذا بالنسوة قد اقبلن وليست الجارية فيهن
فوقفن عليه وقلن يا عتبة ما ظنك بطالبة وصلك وكاشفة بالك قال وما
بالها قلن اخذها ابوها وارتحل بها الى ارض السماوة فسالتهن عن الجارية
فقلن هي ريا ابنة الغطريف السلمي فرفع عتبة راسه اليهن وقال

خليلي ريا قد اجد بكورها ... وسارت الى ارض السماوة عيرها
خليلي اني قد عشيت من البكا ... فهل عند غيري مقلة استعيرها

فقلت له اني وردت بمال جزيل اريد به اهل الستر فوالله لابذلنه امامك حتى
تبلغ رضاك وفوق الرضا فقم بنا الى مسجد الانصار فقمنا وسرنا حتى اشرفنا
على ملا منهم فسلمت فاحسنوا الرد فقلت ايها الملا ما تقولون في عتبة وابيه
قالوا من سادات العرب فقلت انه قد رمي بداهية من الهوى وما اريد منكم
الا المساعدة الى السماوة فقالوا سمعا وطاعة فركبنا وركب القوم معنا حتى
اشرفنا على منازل بني سليم فاعلم الغطريف بنا فخرج مبادرا فاستقبلنا وقال

حييتم بالاكرام فقلنا وانت فحياك الله انا لكم اضياف فقال نزلتم اكرم
منزل ثم نادى يا معشر العبيد انزلوا القوم فنحرت الانطاع والنمارق وذبحت
الذبائح فقلنا لسنا بذائقي طعامك حتى تقضي حاجتنا فقال وما حاجتكم
فقلنا نخطب عقيلتك الكريمة لعتبة ابن الحباب بن المنذر فقال ان التي
تخطبونها امرها الى نفسها وانا ادخل اخبرها ثم دخل مغضبا على ابنته
فقالت يا ابت مالي ارى في وجهك فقال قد ورد الانصار يخطبونك مني قالت
سادة كرام استغفر لهم النبي صلى الله عليه وسلم فلمن الخطبة منهم فقال لعتبة بن الحباب
فقالت والله قد سمعت عن عتبة هذا انه يفي بالوعد ويدرك اذا قصد
فقال اقسمت لا ازوجنك به ابدا ولقد نمي الي بعض حديثك معه فقالت
ما كان ذلك ولكن اذا اقسمت فان الانصار لا يردون ردا قبيحا فاحسن لهم الرد
فقال باي شي قالت اغلظ لهم المهر فانهم يرجعون ولا يجيبون فقال ما احسن
ما قلت ثم خرج مبادرا لهم فقال ان فتاة الحي قد اجابت ولكني اريد
مهرا مثلها فمن القايم فقال عبد الله بن معمر انا فقل ما شئت فقال مائة اوقية
من الذهب ومائة ثوب من الابراد وخمسة اكرشة عنبر فقال عبد الله
لك ذلك فهل اجبت فقال اجل قال عبد الله فانفذت نفرا من الانصار الى المدينة
فاتوا بجميع ما طلب ثم صنعت الوليمة واقمنا على ذلك اياما ثم قال خذوا فتاتكم
وانصرفوا مصاحبين ثم حملها في هودج وجهزها بثلاثين راحلة من المتاع
والتحف فودعناه وسرنا حتى بقي بيننا وبين المدينة مرحلة خرجت علينا
خيل تريد الغارة احسبها من سليم فحمل عليها عتبة بن الحباب فقتل منهم
رجالا وجندل اخرين ثم رجع وبه طعنة تفور دما فسقط الى الارض فاتتنا
نجدة فطردت عنا الخيل وقد قضى عتبة نحبه فقلنا واعتباه فسمعتنا الجارية
فالقت نفسها عن البعير وجعلت تصيح بحرقة وانشدت

تصبرت لا اني صبرت وانما ... اعلل نفسي انها بك لاحقة
فلو انصفت روحي لكانت الى الردى ... امامك من دون البرية سابقة
فما احد بعدي وبعدك منصف ... خليل ولا نفس لنفس موافقة

ثم شهقت

ثم شهقت وقضت نحبها فاحتفرنا لهما قبرا واحدا ودفناهما فيه ثم رجعت
واقمت سبع سنين ثم ذهبت الى الحجاز ووردت المدينة فقلت والله لآتين
قبر عتبة ازوره فاتيت القبر فاذا عليه شجرة عليها عصائب حمر وصفر
فقلت لارباب المنزل ما يقال لهذه الشجرة قالوا شجرة العروسين ولو لم
يكن في العشق من الرخصة المخالفة للتشديد الا الحديث الوارد بالحسن من
الاسانيد وهو حديث سويد عن سعيد عن علي بن مسهر عن ابي يحيى
القتات عن مجاهد عن ابن عباس من عشق وكتم وعف ثم مات
فهو شهيد ورواه سويد ايضا عن ابن مسهر عن هشام عن عروة عن ابيه
عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا ورواه الخطيب عن الازهري عن المعافى
ابن زكريا عن قطبة بن الفضل عن احمد بن مسروق عنه ورواه الزبير
ابن بكار عن عبد العزيز الماجشون عن عبد العزيز بن ابي حازم عن ابن
ابي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس وهذا سيد الاولين والاخرين رسول
رب العالمين نظر الى زينب بنت جحش فقال سبحان مقلب القلوب وكانت
تحت زيد بن حارثة مولاه فلما هم بطلاقها قال اتق الله وامسك عليك
زوجك فلما طلقها زوجها الله سبحانه وتعالى من فوق سبع سموات فكان
هو وليها وولي تزويجها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقد عقد نكاحها
فوق عرشه وانزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم واذ تقول للذي انعم الله
عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك
ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه وهذا داود نبي الله
لما كان تحته تسع وتسعون امراة ثم احب تلك المراة فتزوج بها وكمل
بها المائة قال الزهري اول حب كان في الاسلام حب النبي صلى الله عليه وسلم
عائشة وكان مسروق يسميها حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابي
مولى عبد الله بن عمر ارسلني عبد الله بن عمر الى ام سلمة اسالها اكان النبي صلى
الله عليه وسلم يقبل اهله وهو صائم فقالت لا فقال ان عائشة رضي الله عنها قالت
كان النبي صلى الله عليه وسلم يقبلها وهو صائم فقالت ام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم

كان اذا رأى عائشة لم يتمالك عنها **وذكر** سعد عن ابراهيم عن عامر بن سعد
عن ابيه قال كان ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم يزوره جبريل في كل يوم على
البراق من شغفه به وقلة صبره عنه **وذكر** الخرائطي ان عبد الله بن عمر
اشترى جارية رومية فكان يحبها حبا شديدا فوقعت ذات يوم عن بغلة
له فجعل يمسح التراب عن وجهها ويقبلها وكانت تكثر ان تقول له يا بطرون
انت قالون تعني يا مولاي انت جيد ثم انها هربت منه فوجد عليها وجدا شديدا
وقال قد كنت احسبني قالون فانصرفت فاليوم اعلم اني غير قالون
قال ابو محمد بن حزم وقد احب من الخلفاء الراشدين والائمة المهديين كثير
وقال رجل لعمر بن الخطاب يا امير المؤمنين رأيت امرأة تعشقها فقال ذاك
ما لا يملك **فالجواب** وبالله التوفيق ان الكلام في الباب لا بد فيه من
التمييز بين الواقع والجائز والنافع والضار ولا يستعجل عليه بالذم والانكار
ولا المدح والقبول من حيث الجملة وانما يتبين حكمه وينكشف امره بذكر
متعلقه والا فالعشق من حيث هو لا يحمد ولا يذم ونحن نذكر النافع من
الحب والضار والجائز والحرام **اعلم** ان انفع المحبة على الاطلاق واوجبها
واعلاها واجلها محبة من جبلت القلوب على محبته وفطرت الخليقة
على تألهه وبها قامت السموات والارض وعليها فطرت المخلوقات وهي سر
شهادة ان لا اله الا الله فان الاله الذي تألهه القلوب بالمحبة والاجلال
والتعظيم والذل والخضوع وتعبده والعبادة لا تصلح الا له وحده
والعبادة هي كمال الحب مع كمال الخضوع والذل والشرك في هذه العبودية
من اظلم الظلم الذي لا يغفره الله والله تعالى يحب لذاته من جميع الوجوه وما
سواه فانما يحب تبعا لمحبته **وقد** دل على وجوب محبته سبحانه جميع كتبه المنزلة
ودعوة جميع رسله وفطرته التي فطر عباده عليها وما ركب فيهم من العقول
وما اسبغ عليهم من النعم فان القلوب مجبولة مفطورة على محبة من
انعم عليها واحسن اليها فكيف بمن كل الاحسان منه وما بخلقه جميعهم من
نعمة فمنه وحده لا شريك له كما **قال تعالى** وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم

الضر

الضر فاليه تجأرون وما تعرف الى عباده من اسمائه الحسنى وصفاته العلى
وما دلت عليه آثار مصنوعاته من كماله وبهائه وجلاله وعظمته والمحبة لها
داعيان الجمال والاجلال والرب تعالى له الجمال المطلق من ذلك فانه جميل يحب الجمال
بل الجمال كله له والاجلال كله منه فلا يستحق ان يحب لذاته من كل وجه
سواه **قال تعالى** قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله **وقال تعالى**
يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه
اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون
لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم انما وليكم الله
ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون
ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون والولاية
اصلها الحب فلا موالاة الا بحب كما ان العداوة اصلها البغض والله ولي
الذين آمنوا وهم اولياؤه فهم يوالونه بمحبتهم له وهو يواليهم بمحبته لهم
فالله يوالي عبده المؤمن بحسب محبته له **ولهذا** انكر سبحانه على من اتخذ من
دونه اولياء بخلاف من والى اولياءه فانه لم يتخذهم من دونه بل موالاته لهم
من تمام موالاته وقد انكر على من سوى بينه وبين غيره في المحبة واخبر ان من
فعل ذلك فقد اتخذ من دونه اندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا اشد
حبا لله **واخبر** عن من سوى بينه وبين الانداد في الحب انهم يقولون في النار
لمعبودهم تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وبهذا
التوحيد في الحب ارسل الله سبحانه جميع رسله وانزل جميع كتبه واطبقت
عليه دعوة الرسل من اولهم الى آخرهم ولاجله خلق السموات والارض
والجنة والنار فجعل الجنة لاهله والنار للمشركين به فيه واقسم النبي صلى
الله عليه وسلم انه لا يؤمن عبد حتى يكون هو احب اليه من ولده ووالده
والناس اجمعين فكيف بمحبة الرب جل جلاله **وقال** لعمر بن الخطاب
لا حتى اكون احب اليك من نفسك اي لا تؤمن حتى اكون احب اليك بكمال
محبتك الى هذه الغاية واذا كان النبي صلى الله عليه وسلم اولى بنا من انفسنا في

المحبة ولوازمها فليس الرب جل جلاله وتقدست اسماؤه وتبارك اسمه
وتجاجله اولى بمحبته وعبادته وعباده من انفسهم وكل ما منه الى عبده المؤمن
يدعوه الى محبته من ما يحب العبد او يكره نعطاؤه ومنعه ومعافاته وابتلاؤه
وقبضه وبسطه وعدله وفضله واماتته واحياؤه ولطفه وبره ورحمته
واحسانه وستره وعفوه وحلمه وصبره على عبده واجابته له عليه وكشف
كربه واغاثته لهفته وتفريج كربته من غير حاجة منه اليه بل مع غناه التام
عنه من جميع الوجوه كل ذلك داع للقلوب الى تألهه ومحبته بل تمكينه
عبده من معصيته واعانته عليها وستره حتى يقضي وطره منها وكلاءته
وحراسته له وهو يقضي وطره من معصيته بعينه وهو يستعين عليها
بنعمه من اقوى الدواعي الى محبته فلو ان مخلوقا فعل بمخلوق ادنى شيء
من ذلك لم يملك قلبه عن محبته فكيف لا يحب العبد بكل قلبه وجوارحه
من يحسن اليه على الدوام بعدد الانفاس مع اساءته فخيره نازل اليه وشره
اليه صاعد يتحبب اليه بنعمه وهو غني عنه والعبد يتبغض اليه بالمعاصي
وهو فقير اليه فلا احسانه وبره وانعامه عليه يصده عن معصيته
ولا معصية العبد ولومه يقطع احسان ربه عنه فالام اللوم تخلف
القلوب عن محبة من هذا شأنه وتعلقها بمحبة سواه وايضا من يحبه من
الخلق ويحبك انما يريدك لنفسه وغرضه منك والله سبحانه يريدك لك
كما في الاثر الالهي عبدي كل يريدك لنفسه وانا اريدك لك فكيف لا يستحي
العبد ان يكون ربه له بهذه المنزلة وهو معرض عنه مشغول بحب غيره
وقد استغرق قلبه محبة سواه وايضا فكل من تعامله من الخلق ان لم يربح
عليك لم يعاملك فلا بد له من نوع من انواع الربح والرب تعالى انما عاملك
لتربح انت عليه اعظم الربح واعلاه فالدرهم بعشرة امثاله الى سبعمائة ضعف
الى اضعاف كثيرة والسيئة بواحدة وهي اسرع شيء محوا وايضا فهو سبحانه
خلقك لنفسه وخلق كل شيء لك في الدنيا والاخرة فمن اولى منه باستفراغ
الوسع في محبته وبذل الجهد في مرضاته وايضا فمطالبك بل مطالب الخلق

كلهم

كلهم جميعا لديه وهو اجود الاجودين واكرم الاكرمين اعطى عبده قبل ان
يسأله وفوق ما يؤمله يشكر القليل من العمل وينميه ويغفر الكثير من
الزلل ويمحوه يسأله من في السموات والارض كل يوم هو في شأن لا يشغله
سمع عن سمع ولا تغلطه كثرة المسائل ولا يتبرم بالحاح الملحين في الدعا
ويحب ان يسأل ويغضب اذا لم يسأل يستحيي من عبده حيث لا يستحيي العبد
منه ويستره حيث لا يستر نفسه ويرحمه حيث لا يرحم نفسه دعاه بنعمه
واحسانه واياديه الى كرامته ورضوانه فابى فارسل رسله في طلبه وبعث
معهم عهده ثم نزل سبحانه بنفسه وقال من يسألني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له

ادعوك للوصل تأبى ٭ ابعث رسولي في الطلب ٭ انزل اليك بنفسي ٭ القاك في النوم ٭

وكيف لا تحب القلوب من لا يأتي بالحسنات الا هو
ولا يذهب السيئات الا هو ولا يجيب الدعوات ويقيل العثرات ويغفر
الخطيئات ويستر العورات ويكشف الكربات ويغيث اللهفات وينيل
الطلبات سواه فهو احق من ذكر واحق من شكر واحق من عبد واحق
من حمد وانصر من ابتغي وارأف من ملك واجود من سئل واوسع من اعطى و
ارحم من استرحم واكرم من قصد واعز من التجي اليه واكفى من توكل عليه ارحم
بعبده من الوالدة بولدها واشد فرحا بتوبة التائب من الفاقد لراحلته
التي عليها طعامه وشرابه في الارض المهلكة اذ يئس من الحياة ثم وجدها
وهو الملك لا شريك له والفرد لا ند له كل شيء هالك الا وجهه لن يطاع
الا باذنه ولن يعصى الا بعلمه يطاع فيشكر وبتوفيقه ونعمته اطيع ويعصى
فيغفر ويعفو وحقه اضيع فهو اقرب شهيد واجل حفيظ واوفى وفي
بالعهد واعدل قائم بالقسط حال دون النفوس واخذ بالنواصي وكتب
الآثار ونسخ الآجال فالقلوب له مفضية والسر عنده علانية والغيب
لديه مكشوف وكل احد اليه ملهوف عنت الوجوه لنور وجهه وعجزت
العقول عن ادراك كنهه ودلت الفطر والادلة كلها على امتناع مثله وشبهه
اشرقت لنور وجهه الظلمات واستنارت له الارض والسموات واصلحت

عليه جميع المخلوقات لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه
يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل حجابه النور لو كشفه
لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ما اعتاض باذل جهده
لسواه من عوض ولو ملك الوجود بأسره **فصل** وههنا أمر عظيم
يجب على اللبيب الاعتناء به وهو أن كمال اللذة والسرور والفرح ونعيم
القلب وابتهاج الروح تابع لأمرين أحدهما كمال المحبوب في نفسه و
جماله وأنه أولى بإيثار المحبة من كل ما سواه والأمر الثاني كمال محبته و
استفراغ الوسع في حبه وإيثار قربه والوصول إليه على كل شيء وكل عاقل
يعلم أن اللذة بحصول المحبوب بحسب قوة محبته فلما كانت المحبة أقوى كانت
لذة المحب أكمل فلذة من اشتد ظمأه بإدراك الماء الزلال ومن اشتد جوعه
بأكل الطعام الشهي ونظائر ذلك على حسب شوقه وشدة إرادته ومحبته
وإذا عرف هذا فاللذة والسرور والفرح أمر مطلوب في نفسه بل هو
مقصود كل حي وإذا كانت اللذة مطلوبة لنفسها فهي تذم إذا أعقبت ألما
أعظم منها أو منعت لذة خيرا منها فكيف إذا أعقبت أعظم الحسرات وفوتت
أعظم اللذات والمسرات وتحمد إذا أعانت على لذة عظيمة دائمة مستقرة لا تنغيص
فيها ولا نكد بوجه من الوجوه وهي لذة الآخرة ونعيمها وطيب العيش فيها
قال تعالى بل تؤثرون الحيوة الدنيا والآخرة خير وأبقى وقالت سحرة
فرعون لما آمنوا فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحيوة الدنيا إنا
آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى والله
سبحانه خلق الخلق لينيلهم هذه اللذة الدائمة في دار الخلد وأما هذه
الدار فمنقطعة ولذاتها لا تصفو أبدا ولا تدوم بخلاف الآخرة فإن
لذاتها دائمة ونعيمها خالص من كل كدر وألم وفيها ما تشتهيه الأنفس و
تلذ الأعين مع الخلود أبدا فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين بل
فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهذا المعنى
الذي قصده الناصح لقومه بقوله يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد

يا قوم

يا قوم إنما هذه الحيوة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار فأخبرهم
أن الدنيا متاع يتمتع بها إلى غيرها وأن الآخرة هي دار المستقر وإذا عرف
أن لذات الدنيا ونعيمها متاع ووسيلة إلى لذات الآخرة ولذلك خلقت
الدنيا ولذاتها فكل لذة أعانت على لذة الآخرة وأوصلت إليها لم يذم
تناولها بل يحمد بحسب إيصالها إلى لذة الآخرة إذا عرف هذا فأعظم نعيم الآخرة
ولذاتها النظر إلى وجه الرب جل جلاله وسماع كلامه منه والقرب منه كما ثبت
في الصحيح في حديث الرؤية فوالله ما أعطاهم شيئا أحب إليهم من النظر إليه
وفي حديث آخر أنه إذا تجلى لهم ورأوه نسوا ما هم فيه من النعيم وفي النسائي و
مسند الإمام أحمد من حديث عمار بن ياسر عن النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه
وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك وفي كتاب السنة لعبد الله
ابن الإمام أحمد مرفوعا كأن الناس يوم القيمة لم يسمعوا القرآن
إذا سمعوه من الرحمن فكأنهم لم يسمعوه قبل ذلك فإذا عرف هذا
فأعظم الأسباب التي تحصل هذه اللذة هو أعظم لذات الدنيا على الإطلاق
وهو لذة معرفة الله سبحانه وتعالى ولذة محبته فإن ذلك هو جنة الدنيا
ونعيمها العالي ونسبة لذاتها الفانية إليه كتفلة في بحر فإن الروح والقلب
والبدن إنما خلق لذلك فأطيب ما في الدنيا معرفته ومحبته وألذ ما في
الجنة رؤيته ومشاهدته فمحبته ومعرفته قرة العيون ولذة الأرواح وبهجة
القلوب ونعيم الدنيا وسرورها بل لذات الدنيا القاطعة عن ذلك تنقلب
آلاما وعذابا ويبقى صاحبها في المعيشة الضنك فليست الحياة الطيبة إلا بالله
وكان بعض المحبين تمر به أوقات فيقول إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم
لفي عيش طيب وكان غيره يقول لو علم الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف
وإذا كان صاحب المحبة الباطلة التي هي عذاب على قلب المحب يقول في حاله

وما الناس إلا العاشقون ذوو الهوى ... ولا خير فيمن لا يحب ويعشق
ويقول الآخر
أف للدنيا متى لم يكن ... صاحب الدنيا محبا أو حبيب
ويقول الآخر
ولا خير في الدنيا ولا في نعيمها ... وأنت وحيد مفرد غير عاشق

ويقول الآخر ، ابكي الى سكنى تلذ بحبه ، ذهب الزمان وانت متفرد ،
ويقول الآخر ، تشكى المحبون الصبابة ليتني ، تحملت ما يلقون من بينهم وحدي ،
، فكانت لقلبي لذة الحب كلها ، فلم يلقها قبلي محب ولا بعدي ،

فكيف المحبة التي هي حياة القلوب وغذاء الارواح وليس للقلب لذة
ولا نعيم ولا فلاح ولا حياة الا بها واذا فقدها القلب كان المه اعظم من الم العين
اذا فقدت نورها والاذن اذا فقد سمعها والانف اذا فقد شمه واللسان
اذا فقد نطقه بل فساد القلب اذا خلا من محبة فاطره وباديه والهه الحق
اعظم من فساد البدن اذا خلا من الروح وهذا امر لا يصدقه الا من في
قلبه حياة وما لجرح بميت ايلام ، والمقصود ان اعظم لذات الدنيا هو
السبب الموصل الى اعظم لذة الاخرة ولذات الدنيا ثلاثة انواع فاعظمها
واكملها ما اوصل الى لذة الاخرة ويثاب الانسان على هذه اللذة اتم ثواب
ولهذا كان المؤمن يثاب على ما يقصد به وجه الله من اكله وشربه ولباسه
ونكاحه وشفاء غيظه بقهر عدو الله وعدوه فكيف بلذة ايمانه ومعرفته
ومحبته له وشوقه الى لقائه وطمعه في رؤية وجهه الكريم في جنات النعيم

النوع الثاني لذة تمنع لذة الاخرة ويعقب الاما اعظم منها كلذة الذين
اتخذوا من دون الله اوثانا مودة بينهم في الحيوة الدنيا يحبونهم كحب الله
ويستمتع بعضهم ببعض كما يقولون في الاخرة اذا لقوا ربهم ربنا
استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا قال النار مثواكم
خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم وكذلك نولي بعض
الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون ولذة اصحاب الفواحش والظلم
والبغي في الارض والعلو بغير الحق وهذه اللذات في الحقيقة انما هي
استدراج من الله لهم ليذيقهم اعظم الالام ويحرمهم بها اكمل اللذات بمنزلة
من قدم لغيره طعاما لذيذا مسموما مستدرجة به الى هلاكه قال تعالى
سنستدرجهم من حيث لا يعلمون واملي لهم ان كيدي متين قال بعض
السلف في تفسيرها كلما احدثوا ذنبا احدثنا لهم نعمة حتى اذا فرحوا بما اوتوا

اخذناهم

٣

اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب
العالمين وقال تعالى لاصحاب هذه اللذات ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع
لهم في الخيرات بل لا يشعرون وقال في حقهم فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما
يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون وهذه
اللذات تنقلب اخرا الاما من اعظم الالام كما قيل
، مآرب كانت في الحيوة لاهلها ، عذابا فصارت في المعاد عذابا ،

النوع الثالث لذة لا تعقب لذة في دار القرار ولا الما ولا تمنع اصل لذة دار القرار
وان منعت لذة كمالها وهذه اللذة المباحة التي يستعان بها على لذة الاخرة فهذه
زمانها يسير ليتمتع النفس بها قدر ولا بد ان يشتغل عما هو خير وانفع منها وهذا
القسم هو الذي عنا النبي صلى الله عليه وسلم بقوله كل لهو يلهو به الرجل فهو باطل
الا رميه بقوسه او تاديبه فرسه وملاعبته امراته فانهن من الحق فما اعان على اللذة
المطلوبة لذاتها فهو حق وما لم يعن عليها فهو باطل

فصل

فهذا الحب لا ينكر ولا
يذم بل هو احد انواع الحب وكذلك حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما نعني المحبة
الخالصة وهي التي تشغل قلب المحب وفكره وذكره لمحبوبه والا فكل مسلم في قلبه محبة
الله ورسوله لا يدخل في الاسلام الا بها والناس متفاوتون في درجات هذه المحبة
تفاوتا لا يحصيه الا الله فبين محبة الخليلين ومحبة غيرهم ما بينهما فهذه المحبة
التي تلطف وتخفف اثقال التكاليف وتسخي البخيل وتشجع الجبان وتصفي
الذهن وتروض النفس وتطيب الحيوة على الحقيقة لا محبة الصور المحرمة
واذا بليت السرائر يوم اللقا كانت سريرة صاحبها خير سرائر العباد كما قيل
، سيبقى لكم في مضمر القلب والحشا ، سريرة حب يوم تبلى السرائر ،
هذه المحبة التي تنور الوجه وتشرح الصدر وتحيي القلب وكذلك محبة كلام الله
فانه من علامة محبة الله واذا اردت ان تعلم ما عندك وعند غيرك من محبة الله فانظر
محبة القرآن من قلبك والتذاذك بسماعه اعظم من التذاذ اصحاب الملاهي والغنا
المطرب بسماعهم فانه من المعلوم ان من احب محبوبا كان كلامه وحديثه احب شيء اليه كما قيل
، ان كنت تزعم حبي فلم هجرت كتابي ، اما تاملت ما فيه من لذيذ خطابي ،

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله وكيف يشبع المحب
من كلام محبوبه وهو غاية مطلوبه وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوما لعبد الله بن مسعود
اقرا علي فقال اقرا عليك وعليك انزل فقال اني احب ان اسمعه من غيري فاستفتح
وقرا سورة النساء حتى اذا بلغ الى قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا
بك على هؤلاء شهيدا قال حسبك فرفع راسه فاذا عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
تذرفان من البكاء وكان الصحابة اذا اجتمعوا وفيهم ابو موسى يقولون يا ابا موسى
ذكرنا ربنا فيقرا وهم يستمعون فلمحبي القران من الوجد والذوق والحلاوة و
السرور اضعاف ما لمحبي السماع الشيطاني فاذا رايت الرجل ذوقه ووجده
وطربه وتشوقه في سماع الابيات دون سماع الايات وفي سماع الالحان دون سماع
القران فهو كما قيل ؏ تقرا عليك الختمة ؏ وانت جامد كالحجر ؏ وبيت من الشعر ينشد
تميل كالسكران ؏ فهذا من اقوى الادلة على فراغ قلبه من محبة الله وكلامه وتعلقه
بمحبة سماع الشيطان والمغرور يعتقد انه على شيء ففي محبة الله وكلامه ورسوله اضعاف
اضعاف ما ذكره السائل من فوائد العشق ومنافعه بل لا حب على الحقيقة انفع منه
وكل حب سوا ذلك باطل ان لم يعن عليه ويسوق المحب اليه

فصل

واما محبة النسوان فلا لوم على المحب فيها بل هي من كماله وقد امتن الله سبحانه وتعالى بها على عباده
فقال ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم
مودة ورحمة ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون فجعل المراة سكنا للرجل يسكن
قلبه اليها وجعل بينهما خالص الحب وهو المودة المقرونة بالرحمة وقد قال تعالى
عقيب ذكره ما احل من النسا وما حرم منهن يريد الله ليبين لكم ويهديكم
سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم والله يريد ان يتوب
عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما يريد الله ان
يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا ذكر سفيان الثوري في تفسيره عن ابن
طاووس عن ابيه قال كان اذا نظر الى النساء لم يصبر وفي الصحيح من حديث جابر
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه راى امراة فاتى زينب فقضى حاجته منها وقال ان
المراة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان فاذا راى احدكم امراة

فاعجبته

فاعجبته فليات اهله فان ذلك يرد ما في نفسه ففي هذا الحديث عدة فوائد
الارشاد الى التسلي عن المطلوب بجنسه كما يقوم الطعام مقام الطعام والثوب
مقام الثوب ومنها الامر بمداواة الاعجاب بالمراة المورثة لشهوتها بانفع الادوية
وهو قضاء وطره من اهله وذلك تنقض شهوته لها وهذا كما ارشد المتحابين الى
النكاح كما في سنن ابن ماجه مرفوعا لم ير للمتحابين مثل النكاح فنكاح المعشوقة
هو دواء العشق الذي جعله الله دواءه شرعا وقدرا وبه تداوى داود صلى الله
عليه وسلم ولم يرتكب نبي الله محرما وانما تزوج المراة وضمها الى نسائه لمحبته لها وكانت
توبته بحسب منزلته عند الله وعلو مرتبته ولا يليق بنا المزيد على هذا واما قصة
زينب بنت جحش فزيد كان قد عزم على طلاقها ولم توافقه وكان يستشير النبي صلى
الله عليه وسلم في فراقها وهو يامره بامساكها فعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم انه مفارقها
لا بد فاخفى في نفسه ان يتزوجها اذا فارقها زيد وخشي مقالة الناس ان رسول
الله تزوج زوجة ابنه فانه كان قد تبنى زيدا قبل النبوة والرب تعالى يريد ان
يشرع شرعا عاما فيه مصالح عباده فلما طلقها زيد وانقضت عدتها منه ارسله
اليها يخطبها لنفسه فجاء زيد واستدبر الباب بظهره وعظمت في صدره لما ذكرها رسول
الله صلى الله عليه وسلم فناداها من وراء الباب يا زينب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبك
فقالت ما انا بصانعة شيئا حتى اوامر ربي وقامت الى محرابها فصلت فتولى الله
عز وجل نكاحها من رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وعقد النكاح له فوق عرشه
وجاء الوحي بذلك فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها فقام رسول الله صلى الله عليه
وسلم لوقته فدخل عليها وكانت تفخر على نساء النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وتقول
زوجكن اهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات فهذه قصة رسول الله
صلى الله عليه وسلم مع زينب ولا ريب ان النبي صلى الله عليه وسلم كان قد حبب اليه النساء كما في
الصحيح من حديث انس عنه صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم النساء والطيب وجعلت
قرة عيني في الصلاة هذا لفظ الحديث لا ما يرويه بعضهم حبب الي من دنياكم ثلاث
زاد الامام احمد في كتاب الزهد في هذا الحديث اصبر عن الطعام والشراب ولا اصبر
عنهن وقد حسدهم اعداء الله اليهود على ذلك فقالوا ما همه الا النكاح فرد الله سبحانه وتعالى

عن رسوله وكافح عنه فقال ام يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله
فقد اتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة واتيناهم ملكا عظيما خليل الله
ابراهيم عليه السلام امام الحنفا كان عنده سارة اجمل نساء العالمين واحب هاجر وتسرى
بها داود كان عنده تسع وتسعون امراة فاحب تلك المراة وتزوج بها فكمل بها الماية
وهذا سليمان ابنه كان يطوف في الليلة على تسعين امراة سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن احب نسائه اليه فقال عائشة وقال عن خديجة اني قد رزقت حبها فمحبة النساء من
كمال الانسان ابن عباس خير هذه الامة اكثرها نساء ذكر الامام احمد ان عبد الله
ابن عمر وقع في سهمه يوما جارية كان عنقها ابريق فضة قال عبد الله فما صبرت ان قبلتها
والناس ينظرون وبهذا احتج الامام احمد على جواز الاستمتاع من المسبية قبل
الاستبرا بغير الوطي بخلاف الامة المشتراة والفرق بينهما انه لا يتوهم في المسبية كلا
المشتراة فقد ينفسخ بها الملك فيكون مستمتعا بامة غيره وقد شفع النبي صلى
الله عليه وسلم العاشق ان تواصله معشوقته بان تتزوج به فاثبت وذلك في قصة
مغيث وبريرة فانه راه يمشي خلفها بعد فراقها ودموعه تجري على خديه فقال
لها لو راجعتيه فقالت اتامرني يا رسول الله قال لا انما اشفع فقالت لا حاجة
لي به فقال لعمه يا عباس الا تعجب من حب مغيث بريرة ومن بغضها له ولم ينكر
عليه حبها وان كانت قد بانت منه فان هذا ما لا يملكه وكان النبي صلى الله عليه وسلم
يسوي بين نسائه في القسم ويقول اللهم هذا قسمي فيما املك فلا تلمني فيما لا املك يعني
الحب قال الله تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم يعني
في الحب والجماع ولم يزل الخلفاء الراشدون والرحماء من الناس يشفعون في الوصال
الى المعشوق بالجائز وصلتي كما تقدم من فعل ابي بكر وعثمان وكذلك علي ابي طالب
من العرب وجد في دار قوم بالليل فقال ما خصك قال لست بسارق ولكني اصدقك

تعلقت في دار الرباحي خودة ... يذل لها من حسن منظرها البدر
لها في بنات الروم حسن ومنصب ... اذا افتخرت بالحسن خوفها الفخر
فلما طرقت الدار من مهجة احبت ... وصيفا من توقدها الجمر
تبادر اهل الدار بي ثم صيحوا ... هو اللص محتوما له القتل والاسر

فلما سمع

فلما سمع امير المؤمنين علي رضي الله عنه شعره رق له وقال للمهلب بن رباح اسمح له
بها فقال يا امير المؤمنين سله من هو فقال النهاس بن عيينة فقال خذها فهي لك
واشترى معاوية رضي الله عنه جارية فاعجب بها عجبا شديدا فسمعها يوما تنشد ابياتا منها

وفارقته كالغصن يهتز في الثرى ... طريرا وسيما بعد ما طر شاربه

فسالها فاخبرته انها تحب سيدها فردها اليه وفي قلبه منها وذكر الزمخشري في ربيعة ابن بدية قرا في طريق
مكة على حائط

اما في عباد الله او في امائه ... كريم يجلي الهم عن ذاهب العقل
له مقلة اما المآقي فقريحة ... واما الحشا فالنار منه على رجل

فنذرت ان تحتال لقائلهما ان عرفته حتى يجمع بينه وبين من يحبه فبينا هي في المزدلفة
اذ سمعت من ينشد البيتين فطلبته فزعم انه قالهما في ابنة عم له نذر اهلها ان لا
يزوجوها منه فوجهت الى الحي وما زالت تبذل لهم المال حتى زوجوها منه فاذا المراة
اعشق له منه لها فكانت تعد من اعظم حسناتها وكانت تقول ما انا بشيء اسر مني
من جمعي بين ذلك الفتى والفتاة قال الخرائطي وكان لسليمان بن عبد الملك غلام وجارية يتحابا فكتب الغلام
اليها يوما

ولقد رايتك في المنام كانما ... عاطيتني من ريق فيك البارد
وكان كفك في يدي وكاننا ... بتنا جميعا في فراش واحد
فطفقت يومي كله متراقدا ... لاراك في نومي ولست براقد

فاجابته الجارية

خيرا رايت وكلما ابصرته ... ستناله مني برغم الحاسد
اني لارجو ان تكون معانقي ... فتبيت مني فوق ثديي ناهد
واراك بين خلاخلي ودمالجي ... واراك فوق ترائبي ومجاسدي
ونكون انعم عاشقين تعاطيا ... ملح الحديث بلا مخافة راصد

فبلغ ذلك سليمان فانكحها الغلام واحسن حالهما على فرط غيرته وقال جامع بن مرخيه
سالت سعيد بن المسيب مفتي المدينة هل في حب دهماء وزر فقال سعيد بن
المسيب انما يلام على ما يستطيع من الامر فقال سعيد والله ما سالني احد عن هذا
ولو سالني ما كنت اجيب الا به تعشق النساء ثلاثة اقسام عشق هو قربة وطاعة
وهو عشق الرجل امراته وجاريته وهذا العشق عشق نافع فانه ادعى الى
المقاصد التي شرع الله لها النكاح واكف للبصر والقلب عن التطلع الى غير اهله

ولهذا تجد هذا العشق عند الله وعند الناس وعشق هو مقت من الله وبعد من
رحمته وهو اضر شي على العبد في دينه ودنياه وهو عشق المردان فما ابتلي به الا من
سقط من عين الله وطرد عن بابه وابعد قلبه وهو من اعظم الحجب القاطعة عن الله كما قال
بعض السلف اذا سقط العبد من عين الله ابتلاه بمحبة المردان وهذه المحبة
التي جلبت على قوم لوط ما جلبت فما اتوا الا من هذا العشق قال الله تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم
يعمهون ودوا هذا الداء الاستغاثة بمقلب القلوب وصدق الالتجا اليه والاشتغال
بذكره والتعوض بحبه وقربه والتفكر في الالم الذي يعقبه هذا العشق واللذة التي
تفوته به فيترتب عليه فوات اعظم محبوب وحصول اعظم مكروه فان اقدمت نفسه على
هذا واثرته فليكبر عليه تكبيره على الجنازه وليعلم ان البلا قد احاط به والقسم الثالث
من العشق عشق مباح لا يمكن كعشق من وصفت له امراة جميلة او راها فجاة من
غير قصد فاورثه ذلك عشقا لها ولم يحدث له ذلك العشق معصية فهذا لا يملك ولا
يعاقب عليه والانفع له مدافعته والاشتغال بما هو انفع له والواجب على هذا
ان يكتم ويعف ويصبر على بلواه فيثيبه الله على ذلك ويعوضه على صبره لله وعفته
وتركه طاعة هواه وايثار مرضات الله وما عنده **فصل** والعشاق
ثلاثة اقسام منهم من يعشق الجمال المطلق ومنهم من يعشق الجمال المقيد
سواء طمع في وصاله او لم يطمع ومنهم من لا يعشق الا من يطمع في الوصال اليه
وبين هذه الانواع تفاوت في القوة والضعف فعاشق الجمال المطلق قلبه يهيم
في كل واد وله في كل صورة جميلة مراد **شعر**

> يوما بحزوى ويوما بالعقيق وبالعذيب يوما ويوما بالخليصاء
> وتارة ينتحي نجدا وآونة شعب العقيق وطورا قصر تيماء

فهذا عشقه واسع ولكنه غير ثابت كثير التنقل وقال **آخر**

> يهيم بهذا ثم يعشق غيره ويسلاهم من وقته حين يصبح

وعاشق الجمال المقيد اثبت على معشوقه وادوم محبة له ومحبته اقوى من محبة
الاول لاجتماعها في واحد وتقسيم الاولى ولكن يضعفها عدم الطمع في الوصال وعاشق
الجمال الذي يطمع في الوصال اعقل العشاق واعرفهم وحبه اقوى لان الطمع يمده

ويقويه **فصل** واما حديث من عشق وكف فهذا يرويه سويد بن سعيد
فقد انكره حفاظ الاسلام عليه قال ابن عدي في كامله هذا الحديث احد ما انكر
على سويد وكذا ذكره البيهقي وابن طاهر في الذخيرة والتذكرة وابو الفرج ابن
الجوزي وعده في الموضوعات وانكره ابو عبد الله الحاكم على تساهله وقال انا اتعجب
منه **قلت** والصواب في الحديث انه من كلام ابن عباس مرفوعا عليه فغلط سويد
في رفعه قال محمد بن خلف بن المرزبان حدثنا ابو بكر الازرق عن سويد به
فعاتبته على ذلك فاسقط ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فكان بعد ذلك يسال عنه فلا يرفعه
ولا يشبه هذا الكلام النبوة واما رواية الخطيب له عن الزهري **ثنا** المعافا بن زكريا
ثنا قطنه بن الفضل **ثنا** احمد بن مسروق **ثنا** سويد **ثنا** ابن مسهر عن هشام
ابن عروة عن ابيه عن عائشة مرفوعا فمن ابين الخطا ولا يحتمل هشام عن ابيه عن
عائشة مثل هذا عند ادنى من شم ادنى رائحة من الحديث ونحن نشهد بان
عائشة ما حدثت بهذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قط **واما** حديث الماجشون عن
عبد العزيز بن ابي حازم عن ابن ابي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس مرفوعا فكذب
على ابن الماجشون فانه لم يحدث بهذا ولا حدث به عنه الزبير بن بكار وانما هذا من
تركيب بعض الوضاعين ويا سبحان الله كيف يحتمل هذا الاسناد مثل هذا المتن فقبح الله
الوضاعين وقد ذكره ابو الفرج من حديث محمد بن جعفر بن سهل ثنا يعقوب
ابن عيسى من ولد عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن عوف عن ابن ابي نجيح عن مجاهد
مرفوعا وهذا غلط قبيح فان محمد بن جعفر هذا هو الخرائطي ووفاته سنة سبع
وعشرين وثلثمائة فمحال ان يدرك شيخه يعقوب ابن ابي نجيح لا سيما وقد رواه
في كتاب الاعتلال عن يعقوب هذا عن ابن الزبير عن عبد الملك عن عبد العزيز
عن ابن ابي نجيح والخرائطي هذا مشهور بالضعف في الرواية ذكره ابو الفرج بن
الجوزي في الرواية في كتاب الضعفا وكلام حفاظ الاسلام في هذا الحديث هو الميزان
واليهم يرجع في هذا الشان وما صححه بل ولا حسنه احد يعول في علم الحديث عليه
ويرجع في التصحيح اليه ولا من عادته التساهل والتسامح فانه لم ينطق نفسه له ويكفي ان
ابن طاهر الذي يتساهل في احاديث التصوف ويروي منها الغث والسمين والمنخنقة

والموقوذة قد انكره وشهد ببطلانه ابن عباس غير مستنكر ذلك عنه وقد ذكر
ابو محمد بن حزم عنه انه سئل عن الميت عشقا فقال قتيل الهوى لا عقل ولا قود ورفع
اليه بعرفات شاب قد صار كالفرخ فقال ما شانه فقالوا العشق فجعل عامة يومه
يستعيذ من العشق فهذا نفس من قال من عشق وعف وكتم ثم مات فهو شهيد ومما
يوضح ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم عد الشهدا في الصحيح فذكر المقتول في الجهاد و
المبطون والحرق والنفسا يقتلها ولدها والغرق وصاحب ذات الجنب ولم يذكر
منهم العاشق يقتله العشق وحسب قتيل العشق ان يصح له هذا الاثر عن ابن عباس
على انه لا يدخل تحته حتى يصبر لله ويعف لله ويكتم لله وهذا لا يكون الا مع قدرته
على معشوقه وايثار محبة الله وخوفه ورضاه وهذا من احق من دخل تحت قوله تعالى
واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وتحت قوله
ولمن خاف مقام ربه جنتان فنسئل الله العظيم رب العرش العظيم ان يجعلنا ممن
اثر حبه على هواه وابتغى بذلك قربه ورضاه بمنه وكرمه انه جواد كريم. تم
الكتاب بحمد الله تعالى وعونه ومعونته وحسن توفيقه نسئل الله العظيم ان
يلهمنا رشدنا وان يقينا شرور انفسنا وسيئات اعمالنا وان يختم لنا بخير في
عافية انه ارحم الراحمين ورب العالمين

وكان الفراغ من نسخ هذا الكتاب المبارك ضحوة يوم الاحد اخر شهر ربيع الاول ٢٩
سنة ثلاث واربعين ومائتين بعد الالف من الهجرة النبوية على مهاجرها افضل
الصلاة وازكى التسليم وكان تمامه على يد احقر العباد الى الله واعفرهم ولطفهم [illegible]
احمد بن محمد بن عبد الله بن جمال الفاسي الشافعي غفر الله له ولوالديه
والمسلمين اجمعين امين وصلى الله على سيدنا محمد
واله وصحبه وسلم والحمد لله رب
العالمين

اللهم صل وسلم على حبيبنا محمد النبي الامي وعلى اله وصحبه وسلم